تعريف الخلف

بمنهج السلف

دراسة منهجية لأصول مذهب السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها وطرق التأليف فيها

تأليف

الدكتور إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان

عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالدمام



دار ابن الجوزي

تعريف الخلف

بمنهج السلف

الطّبعَة الأولى
ربيع الأول ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الإحساء: الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٦٥١٦٥٤٩٢
الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد... فلم يزل العلماء في كل زمن ينصرون الحق ويدعون الناس إليه وهذا نابع مما حملهم الله إياه من أمانة التبليغ لهذا الدين ودرء تحريف الغالين وفساد المبتدعين حتى يكون الدين لله رب العالمين ونظرا لخروج عدد من الدعوات الباطلة التي تنكر ما عند السلف تارة عن الحق وأخرى تنكر أن يكون للسلف مذهباً وثالثة تدعي أن السلف هم الأشعرية ومن نحا نحوهم ورابعة تدعي أن مذهب السلف مذهب طائفة من اليهود والنصارى والمجسمة والمعطلة علاوة على محاولة البعض أن يصبغ مذهب السلف بصبغة المبتدعة فيدعي أن مذهبهم هو التأويل ونحو ذلك من الأقاويل، رأيت أن من الواجب علي أن أشارك في الدفاع عن مذهب السلف بتأليف يظهر هذا المذهب ويبين عن أصوله ومناهج البحث فيه وسميته (تعريف الخلف بمنهج السلف) وأردت بالخلف المتأخرين من المسلمين و لم أرد به ضد السلف ممن وسموا بالبدعة من الفرق الضالة.

أهمية هذا الموضوع:

تأتي أهمية هذا الموضوع وتظهر من الوجوه التالية:

أولاً: أنه دراسة منهجية عن منهج السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها وطرقهم في التأليف.

ثانياً: كونه ترجمة لمذهب الفرقة الناجية التي قال عنها الرسول "كلها في النار إلا واحدة" وبَيَّنَ منهجها بقوله: "ما كنت عليه أنا وأصحابي".

ثالثاً: وجود من يدعي السلفية وهو ليس كذلك فهو يكشف زيف هذا الانتساب ويبين ما تقتضيه النسبة الصحيحة لمذهب السلف الذين هم خير القرون.

رابعاً: أنه رد على كل كتاب ألف في هذا العصر وقبله ينكر السلفية أو يحاول تمييع معناها أو إلباسها غير ثوبها.

خامساً: بناء مذهب السلف بناء ينبئ عن أصوله المنهجية مما يظهره كمذهب مستقل له منهجه وعقائده المتميزة عن غيره.

سادساً: يصحح جملة المفاهيم الخاطئة حول مفهوم السلف والسلفية الأمر الذي يرد الباطل ويحق الحق السلفي.

أسباب الكتابة في هذا الموضوع:

ويمكن حصر هذه الأسباب فيما يلي:

أولاً: إبطال الدعوة القائلة أن لفظ السلف بدعة في هذا الدين وادعاء أن النسبة إليهم نسبة بدعية.

ثانياً: غلط كثير من المتأخرين كما هو الحال بالنسبة لغيرهم في فهم مذهب السلف حيث جعلوه هو عين مذهب أهل التأويل تارة وأخرى مذهب المفوضة المبتدعة.

ثالثاً: إنكار بعض المتأخرين أن يكون للسلف مذهباً في الاعتقاد.

رابعاً: خروج بعض الكتب التي تهاجم السلفية.

خامساً: بيان أن الانتساب لمذهب السلف مستلزم للعمل بموجبه وأن النسبة وحدها غير كافية في الانتساب إليهم.

سادساً: وجود محاولات جادة لتمييع مفهوم السلفية.

سابعاً: بيان أن لفظ السلفية لا بدعة فيه وانتساب بعض المنحرفين عن مذهب السلف إليه لا أثر له فيه لأنه مصطلح صحيح له مدلوله ومفهومه الصحيح فهو كاستعمال كلمة "توحيد" في نفي الصفات مع أنه يدل على إثباتها.

ثامناً: دعوى أن السلف لهم منهج متبع وليس لهم مذهباً واضحاً في

الاعتقاد ايهاماً منهم لغيرهم أنهم معظمون للسلف.

تاسعاً: الرغبة الأكيدة مني للدفاع عن مذهب السلف وتعريف الناس به عن طريق دراسة منهجهم في تقرير العقيدة والدفاع عنها وبيان أصناف التأليف عندهم.

عاشراً: طلب المثوبة من الله بتجلية مذهب السلف والدفاع عنه.

هذا وقد بذلت ما يدخل تحت قدرتي في تقرير مذهب السلف وإن كنت لست من فرسان هذا الشأن لكن حداني إلى ذلك حب البحث والاستزادة من المعرفة بمذهب السلف مع اعترافي بقصور باعي في هذا المجال، فإن يكن من صوابٍ فهو بتوفيقٍ من الله وتسديد، وإن كان من خطأ فهو من نفسي ومِنَ الشيطان والله ورسوله بريئان منه وحسبي أني اجتهدت ما استطعت وأستغفر الله العظيم من كل خطأ أو زلل ندبه قلمي أو قصر عنه علمي، والرجاء من كل أخ استفاد من هذا الجهد ألاّ ينسى أخاه من دعوةٍ في ظهر الغيب فإني أحوج ما أكون لدعوةٍ صالحةٍ من قلب سليم، هذا وأسأله تعالى التوفيق والسداد فيما كتب والصواب فيما قصد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه:

د. إبراهيم بن محمد البريكان

عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالدمام.

الفصل الأول

التعريف بالسلف

السلف في لغة العرب:

يطلق السلف ويراد به لغة أحد ثلاثة معانٍ(١):

الأول: التسوية، ومنه (سَلَف بفتح السين واللام - الأرض من باب نصر سواها بالمِسلفة- بكسر الميم شيء تسوَى به الأرض).

الثاني: بمعنى مضى وتقدم، من سلف يسلُف -بضم اللام. ومنه السلاف المتقدمون، وسلف الرجل آباؤه المتقدمون وجمعه أسلاف وسلاف.

الثالث: بمعنى السَّلم، نوع من أنواع البيع يعجل فيه الثمن، وتضبط السِّلعة بالوصف إلى أجل معلوم، وقد لوحظ فيه معنى التقدم؛ لأن دفع الثمن متقدم على تسليم السلعة.

السلف في القرآن الكريم(٢):

وردت كلمة سلف في القرآن الكريم مراداً بها معنىً واحداً وهو السبق والتقدم في الزمن، ومما ورد:

قوله سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾(٣)، أي: قوماً

---

(١) انظر: مختار الصحاح، باب السين، ص(٢٦٤)، قاموس الألفاظ والإعلام القرآنية، ص(١٨١)، باب سلف، والمفردات للراغب الأصفهاني، ص(٣٣٩)، باب السين.

(٢) تفسير التسهيل لابن جُزَيّ المالكي، ص(٢١)، تفسير معاني اللغات حرف السين.

(٣) سورة الزخرف: الآية (٥٦).

سابقين من جاء بعدهم، وقد لوحظ فيه معنى كونهم قدوة لمن بعدهم.

وقوله سبحانه: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾[(١)]، أي: سبق وتقدم.

وقوله جلّ شأنه: ﴿يُغْفَر لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[(٢)]، أي: تقدم وسبق من الذنب.

وقوله جل جلاله: ﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[(٣)]، أي: تقدم وسبق من قتل الصيد في الإحرام.

وقوله عزوجل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[(٤)]، أي: قدمتم في الدنيا.

السلف في السنة النبوية[(٥)]:

يطلق السلف في السنة النبوية ويراد به أحد خمسة معانٍ وهي:

الأول: القرض.

الثاني: السلم.

(١) سورة البقرة: الآية (٢٧٥).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٣٨).

(٣) سورة المائدة: الآية (٩٥).

(٤) سورة الحاقة: الآية (٢٤).

(٥) انظر: مختصر النهاية لابن الأثير إعداد: صلاح الدين حنفي، ص(٦٩).

الثالث: سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من الأمة السلف الصالح.

الرابع: السالفة صفحة العنق وهما سالفتان من جانبيه.

الخامس: السلف من التمر: الجراب الضخم.

وأنسب هذه الإطلاقات -لما نحن بصدده- هو المعنى الثالث.

السلف في اصطلاح علماء العقيدة:

يطلق السلف عند علماء العقيدة ويراد به الصحابة ﷺ والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم وأئمة الإسلام العدول ممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظم شأنهم في الدين، وتلقى المسلمون كلامهم خلفاً عن سلف بالقبول دون من رمي ببدعة أو لقب غير مرضي كالخوارج والرافضة والناصبة والقدرية والمرجئة والأشعرية والمعتزلة والجهمية ونحوهم[(١)].

ومنه يظهر أن السلف يطلق بالأصالة على القرون الثلاثة المفضلة الصحابة والتابعين وتابعيهم، ثم يأتي بعد ذلك من سلك مسلكهم واختط خطتهم في الدين أصولاً وفروعاً ومنهجاً.

ويدل على ذلك مدح الله لهم الدال على عدالتهم واستقامة دينهم

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية ١/٢٠، الأسئلة والأجوبة الأصولية، ص(١١،١٢)، نظريات شيخ الإسلام من السياسة والاجتماع الكتاب الأول نشأة الفطرية، ص(٣١،٣٢).

وصحة سيرتهم، كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ ا للهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ﴾(١).

ولا يرضى ا لله إلاّ عمّن صح دينه وثبتت عدالته على الدوام. وقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ا للهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ ا للهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنْجِيلِ كَزَرعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَأَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ...﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ا للهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَه وَمِنْهُم مَن يَّنْتَظِر وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(٣)، و"مِنْ" هنا لابتداء الغاية، وليست للتبعيض وقد وصفهم بعدم التبديل في الدين مما تثبت به عدالتهم واستقامة دينهم.

كما يظهر منه كونهم قدوة في الدين لمن بعدهم كما قال ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٠).

(٢) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(٣) سورة الأحزاب: الآية (٢٣)

عليها بالنواجذ)[١].

وهذا متضمّن لوجوب اتباع ماهم عليه من الحق؛ لأنهم طريق هذه الأمة في تلقي دينها والحفاظ على كتابها وسنة نبيها ﷺ، ولذا كان القدح فيهم قدحاً في الدين كله بل قدحاً في حكمة الله حيث اختار لنبيه ﷺ من الأصحاب من ليس أهلاً لنقل دينه وحماية شرعته ولا أميناً على نقلها وتبليغها كما أنزلت على رسوله ﷺ.

هذا وقد نص الرسول ﷺ على صحة ما عليه أصحابه الكرام ﭫ وجعله علامة على الحق والنجاة يوم القيامة فقال ﷺ: مجيباً من سأله عن صفة الفرقة الناجية: (ما كنت عليه أنا وأصحابي).

فوضع بذلك معياراً للحق وميزاناً للطريق الذي يجب اتباعه والتمسك به، قال تعالى: ﴿**وأنَّ هَذاَ صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُل فَتَفَرَّقَ بِكُم عَنْ سَبِيله**﴾[٢]، فسبيلهم هو سبيله ﷺ المتعين للحق دون سواه فهو من سنته الماضية، قال ﷺ: (فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٣].

ومما تقدم يظهر أنه لا يشترط في إطلاق لفظ السلفية الزمن إلا في زمن القدوة الذي هو عصر الرسول ﷺ وصحبه وأما من بعدهم فلا يشترط

---

(١) رواه أبو داود في السنة، والترمذي في العلم، عن العرباض بن سارية.

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

(٣) حديث الثلاثة الذين أتوا إلى دار النبي ﷺ، رواه البخاري في صحيحه.

إلا الموافقة للرسول ﷺ وصحبه الكرام ﷺ، وبذا يعلم بطلان القول الذي خص السلفية بزمن الرسول وصحبه فقط ومنع إطلاق هذا الاسم على من سواهم إلا أننا مع ذلك لابد من اعتبارنا كون المتسمي بهذا الاسم موافقاً للرسول ﷺ في الأصول والفروع والمنهج المتبع، فمن تسمى بهذا الاسم وخالف مدلوله ومسماه فهذه التسمية غير مطابقة لحقيقة الأمر وواقعه فتكون كاذبة لكن لا يرفض ما وافق مذهب السلف مما ادعاه المتسمى بالسلفية بل يقبل الحق ويرفض الباطل ويوضح له أنه خالف السلف فيما خالف فيه، وبذا يعلم أن المقصود بتعين زمن القدوة السلفية المراد به الاقتداء لا التبرك بمجرد النسبة إليهم وإن كنا نقول إنّ هذه النسبة موجبة لمدح من التزمها لفظاً ومعنى، وأما النسبة إليها دون الالتزام بها فلا مدح فيه بل غاية الأمر أنه يدل على كون النسبة ممدوحة وإن كان المنتسب إليها له حظ من الذم بحسب ما فيه من مخالفةٍ لهذه النسبة وما قيل في النسبة للأشخاص يقال في النسبة للمعاني، فمن حمل السلفية معتقداً أو معنى غير ما تدل عليه لم يكن ذلك موجباً لمدحه لأن السلفية لها معنى محدد حدده الرسول ﷺ بقوله: (ما كنت عليه أنا وأصحابي)[1]، فما خالف هذا المدلول فهو من إلباس السلفية غير لباسها وإظهارها بغير مظهرها المحدد شرعاً.

---

(١) تقدم تخريجه.

هذا ومن تعريف السلفية يظهر لنا أنها لاتدخل في مسمى الفـرق الـتي انقسمت إليها الأمة الإسلامية وذلك لأنها هي الممثلة للعقيدة الإسـلامية في صفائها ونقائها فهي المعبرة عن الإسلام الحق الذي جاء بـه رسـول ا لله ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، وما عداها فهو داخلٌ في السبل الـتي حـذر ا لله عنهـا بقولـه جـلّ شـأنه: ﴿وَ أَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فاتبعوه ولا تَتَّبِعُوا السُّبُل فَتَفَـرَّقَ بِكُـم عَـن سَبِيلِه﴾[2]، وعـين سبيله الذي هو الحق بقوله جلّ شأنه: ﴿قُل هِذِه سَـبِيْلِي أَدْعـوا إِلَـى ا للهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبعنِي وَسُبْحَانَ ا للهِ وَمَـا أَنـا مِـنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3]، وسبيله ﷺ وسبيل أصحابه جامعة بين الهدى الذي هو العلم النـافع وديـن الحق الذي هو العمل الصالح، فمن كان على ما كان عليه ﷺ وصحبه في العلم والعمل هو أسعد بإصابة الحق، تقول الهيئة الدائمة للإفتاء: "السـلفية نسبة إلى السلف والسلف هم صحابة رسـول ا لله ﷺ وأئمـة الهـدى مـن أهل القرون الثلاثة الأولى ﷺ الذين شـهد لهـم رسـول ا لله ﷺ بالخـير في قوله: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجـيء أقـوامٌ

(١) سورة التوبة: الآية (٣٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

(٣) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته)[١]، رواه أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم، والسلفيون جمع سلفي نسبةً إلى السلف وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة[٢].

وتقول في موضع آخر: "دين الله واحد والطريق إليه واحد فمن كان على دين الإسلام وعلى مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ فهو المصيب"[٣].

ومنه يعلم أن الحق لا يكون إلا مع السلف الصالح قطعاً وأن طريقهم هو الطريق الموصل إلى معرفة الله على سبيل البيان والكمال فلا يجوز لأحد أن يتعبد الله إلا عن طريقهم علماً وعملاً واعتقاداً، ولايكون الولاء التام إلا لهم، وأما ماعدا هذا الاسم والمسمى فلا يوالى عليه ولا يعادى عليه إلا أن يكون اسماً ورد الكتاب والسنة أو ورد عن السلف ما يدل على أنه متعلق بالولاء والبراء.

وعليه فكل تجمع يحصل في الأمة الإسلامية فميزانه كونه على الحق أو على الباطل أو أنه ممن خلط فيه الحق بالباطل هو ما عليه سلف الأمة

---

(١) الإمام أحمد (٤/٤٢٦،٤٧٩)، والبخاري برقم ٢٦١٥، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨)، ومسلم رقم (٢٤٣٥).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية عدد (٣٤)، سنة ١٤١٢هـ، فتوى رقم (١٣٦١).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية عدد (٣٤)، سنة ١٤١٢هـ، فتوى رقم (٦٨٠٠).

سواء كان ذلك في الأمر العلمي الاعتقادي أو العلمي العملي فهم المرجع لنا في ذلك كله وعلى كلامهم نعول دون سواهم.

أسماء السلف:

يطلق على السلف عدة أسماء لوحظ في كل اسم صفة يتصفون بها وهي كالتالي:

أولاً: أهل السنة والجماعة.

أ – فالسنة تطلق ويراد بها في اصطلاح السلف معنيان:

أحدهما: الإسلام العام المتضمن اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من علم نافع وعمل صالح وممن استعمله في هذا المعنى البغوي في مصابيح السنة، وشرح السنة فقد ضمن كتبه هذه ما يتعلق بالعقائد والأحكام العملية وفي ذلك يقول البربهاري في شرح السنة: "اعلم أن الإسلام هو السنة وأن السنة هي الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر"[(١)].

الثاني: ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من العقيدة الصحيحة وممن استعمله في هذا المعنى، ابن أبي عاصم، حيث سمّى كتابه السنة، وقد ذكر فيه العقائد دون غيرها والأمر نفسه حصل في كتاب السنة للإمام أحمد

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٢١)، انظر: مجلة البحوث الإسلامية، عدد (٣٤)، سنة ١٤١٢هـ، ص(٨٦).

وكتاب السنة المسمّى بـ(الردّ على الزنادقة والجهمية)، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد، فَقَدْ ذكرا فيهما جملة العقائد التي التزمها السلف الصالح، وليس بين هذين المعنيين تعارُضٌ وكل واحد فيهما يعضد الآخر، فالمعنى الأول أعم من الثاني.

حيث اشتمل على العقائد والأحكام العملية، والمعنى الثاني أخص حيث لم يشمل إلا العقائد والجامع للمعنيين هو الاتباع للرسول ﷺ وأصحابه في الأمور العلمية الاعتقادية والأمور الشرعية العملية التي هي أحكام الحلال والحرام المعبر عنها بالفقه.

ب- والجماعة يراد بها الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين، وقد لحظ فيه اجتماعهم على الحق المدلول عليه بالكتاب والسنة، كما أنه لحظ فيه اجتماعهم حول أئمة العدل من المسلمين مع قيامهم بحق النصيحة لهم والجهاد معهم والانضواء تحت لوائهم وإن جاروا، كما قال ﷺ: (عليكم بالجماعة فإنّ يد الله مع الجماعة)، وقال ﷺ عندما سئل عن الفرق الناجية: (هي الجماعة).

وبذا يظهر أن معنى أهل السنة والجماعة لابدَّ فيه من أربعة أمور هي:

١- الإقتداء بالرسول ﷺ وصحابته الكرام.

٢- الاجتماع على الحق المدلول عليه بالكتاب والسنة.

٣- الالتفاف حول أولياء الأمور من المسلمين.

٤- المنهج المتبع في العلم والعمل وهو دين الله الذي جاء به الرسول ﷺ وثبت عليه أصحابه ﷺ وأئمة التابعين وتابعيهم من بعدهم وعليه فأهل السنة والجماعة معناه هم المقتدون بالرسول وصحبه مجتمعين عليه غير متفرقين فيه تحت لواء إمام واحد يطبق شرعة الله ويحمي دولته على هدى من كتاب الله وسنة رسوله علماً وعملاً واعتقاداً.

ثانياً: أهل الحديث:

والحديث يطلق ويراد به القرآن الكريم، كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾.

ويطلق ويراد به ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو صفة خَلقية أو خُلُقية كما قال: (من حدث عني بحديثٍ يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين). متفق عليه.

وعليه فأهل الحديث هم أهل الكتاب والسنة المتمسكين بهما والمعتمدين عليهما[١].

وإن كان لفظ الحديث أغلب في الإطلاق على السنة النبوية منه على القرآن الكريم، ولأن الخلاف بين السلف وأهل البدع في السنة أكثر، ومن هنا كانت من الصفات البارزة للسلف عنايتهم بالسنة إسناداً ومتناً

---

(١) انظر: عقيدة أصحاب الحديث، ص(٣).

وفقهاً وعملاً ومنهجاً متبعاً، ومنه يمكن أن يقال: إن أهل الحديث هم كل من اتخذ السنة النبوية مصدراً للتلقي في باب العلم وفي باب العمل واعتنى بها إسناداً ومتناً وفقهاً وعملاً، وعليه فلا يختص أهل الحديث بحفاظ متون الحديث وأسانيدها كما هو في مصطلح علماء علوم السنة أو مصطلح الحديث بل يشمل كل من اتصف بما تقدم من محدثين وفقهاء ومفسرين ولغويين ونحوهم، وكلا المعنيين المتقدمين لأهل الحديث مقصود بهذا اللفظ فيكون شاملاً لذلك كله. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً واتباعه باطناً وظاهراً وكذلك أهل القرآن وأدنى خصلة في هؤلاء محبة القرآن والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما علموه من موجبهما، ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم"(١).

ثالثاً: السواد الأعظم:

يطلق ويراد به أن الرسول ﷺ وصحابته هم الأكثرون الذين تمسكوا بالحق المنّزل من عند الله، الذين يجب اتخاذهم قدوة في الحق فيتمسك بما

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٩٥).

تمسكوا به، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبداً فإنَّ يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار)[١].

وهو يدل على أن ما أجمع عليه السلف الصالح كان حجة يجب العمل به سواء كان في باب العلميات أو العمليات، ويدخل في مسمى السواد الأعظم عصر التابعين وتابعيهم لأن الحق فيهم أظهر، وأنصاره أكثر واتباع السنة هو الغالب عليهم.

رابعاً: الفرقة الناجية:

وإنما وصفت بالنجاة لأنها خرجت عن مفهوم الوعيد في قوله ﷺ: (كلها في النار) إذ سواها مستحق للوعيد، وأما هي فالوعيد منفي عنها من حيث الجملة وإن كان بعضها قد يستحق وعيداً آخر غير الوعيد المترتب على التفرق إذ لا يُجزم لأحدٍ بدخول النار أو الجنّة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ.

خامساً: الفرقة المنصورة.

وإنما وصفت بالمنصورة إما لأن الله ينصرها ويؤيدها وينصرها على

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وأشار محققه إلى أن إسناده حسن (٣/١٠٦)، رقم الحديث (١٥٤).

من سواها ممن تزعم البدع والباطل والكفر، أو بمعنى أنها ناصرة للحق مدافعة عنه وحافظة له وصيانة لحماه من أن يتطرق له أي نوع من الانحراف، فهي صفة مشبهة على وزن اسم المفعول وكلا المعنيين صحيح ولا تنافي بينهما ولا تضاد، فهي موصوفة بهما.

وبناء على هذا الوصف قوله ﷺ: (لا يزال ناس من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)[١].

سادساً: الغرباء:

يطلق هذا اللفظ على السلف ويقصد بيان أنهم في الأزمان المتأخرة يكون قلة بين الأمة المحمدية مع قوتهم وعزتهم كما كان أصحاب رسول الله ﷺ في أول الإسلام في قلتهم مع قوتهم في الحق وكمال تمسكهم به ويدل على اتصافهم بهذا النوع من الغربة حديث أبي هريرة وأنس ابن مالك: أن النبي ﷺ قال: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)[٢]، وفي رواية: قلنا من هم يا رسول الله؟ قال: (الذين يصلحون حين يفسد الناس)، وفي رواية: (الذين يصلحون ما أفسد

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة، وأشار محققه إلى أنه صحيح (١١٢/١)، رقم الحديث (١٧٢).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة، باب الإيمان رقم (٢٣٢)، ورواه ابن ماجة بإسناد حسن رقم (٣٩٨٧)، ورواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٧١/١، ١٧٢).

الناس)، وفي رواية: (الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلّمونها الناس)، ويدل على معنى هذا الحديث حديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمانٌ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)، هذا ورأى بعض أهل العلم أن معنى غربة هذه الطائفة ليس في قلة الأمة المحمدية ولكن في انصرافهم عن دينهم وانشغالهم بدنياهم عنه فيكون لهذه الطائفة من التمسك بالدين والحرص عليه ونصرة الكتاب والسنة ما لايكون في غيرهم ويشهد لهذا المعنى حديث: "ستتكالب عليكم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها، قالوا أو من قلة يا رسول الله؟ قال ﷺ: أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل"، والذي يظهر لي أنه لاتنافي بين المعنيين، إذ لا تعارض بينهما.

سابعاً: نشأة مذهب السلف والانتساب إليه:

بما أننا قررنا أن مفهوم السلف يعني الصحابة ﷺ والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن مذهب السلف نشأ مصاحباً لهذا المفهوم للسلف حيث أن هذا المفهوم يعبر عن الإسلام الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ، وبذا يمكن القول بأن مذهب السلف بانت بوادره وظهرت معالمه في زمن الصحابة ﷺ وإنما تأخرت النسبة إليه لأنه لم يكن ثم في حياة المسلمين غيره، فلما حصلت الفرقة في الأمة بسبب كيد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وسواهم برزت الحاجة للانتساب له رمزاً للحق ودلالة عليه، ومن هنا رأى علماء الأمة أن الحاجة قائمة لتحرير ما عليه السلف بالنقول

الصحيحة المعتبرة عند أهل الأثر، فألّف الإمام أحمد كتابه -السنة- الذي قرر فيه الأصول السلفية وجمع ابنه عبد الله كتابه الذي ما هو في الحقيقة إلا نقول عن والده والذي سماه السنة أو الرد على الجهمية، ثم سار علماء الأمة على ما سار عليه الإمام أحمد حيث دوّن أبو عثمان الدارمي رده على بشر المريسي، وكتب البخاري رحمه الله كتابه -خلق أفعال العباد- رداً على المعتزلة والقدرية وصنف عبد العزيز الكناني كتابه -الحيدة- في الرد على بشر المريسي، وبذا يُعلم أن لفظ السلف ليس اصطلاحاً كلامياً ولا بدعةً لفظية بل هو حقيقة شرعية يعبّر عما كانت عليه القُرُوْن الثلاثة المفضلة من اتباع الكتاب والسنة في العلم والعمل ومن ذلك العهد والنسبة إلى هذا الاسم رَمْزٌ للعدالة وهذا مما اتفقت عليه الأمة المحمدية قاطبةً إلا فئةً لا عبرة بها في الإجماع(١).

موقف الناس من مذهب السلف:

انقسم الناس في مذهب السلف على ثلاثة طوائف(٢):

الطائفة الأولى: أهل التجهيل:

الذين يدّعون أن السلف جهّال بمعاني نصوص الكتاب والسنة وبناءً

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٧-٢٦)، وانظر: نظريات شيخ الإسلام ص(٣٢).

(٢) انظر: الحموية ص(١٠٥-١٠٨-١٦٠).

على ذلك فليس لهم منهج في الاعتقاد يمكن أن يُتّبع وينسب إليهم فهم بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾(١)، وهو مذهب طوائف من الفلاسفة الالهيين المنسوبين للإسلام والباطنية، وقد تزعمه بعض المعاصرين ممن ينتسبون إلى حقل الدعوة الإسلامية.

الطائفة الثانية: المفوضة.

التي تدعي أن مذهب السلف ما هو إلا قراءة حروف الكتاب والسنة دون اعتقاد ما يتضمنه من عقائد ومعاني وذلك لأنهم يعتقدون أنهم لم يتعبدوا إلا بذلك اختباراً للمكلفين بأن يؤمنوا بما لا يفهمون معناه ولا يعلمون المقصود منه، وهذا قول عموم المتكلمين من المعتزلة والأشعرية وغيرهم، ومن هنا جاءت مقولتهم (أي: المتكلمين): "مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم".

الطائفة الثالثة: المؤولة:

من يدّعي أن السلف يوافقون المتكلمين في تأويل النصوص إلا أن منهم من يتوقف في تعيين المعنى المراد، ومنهم من يدّعي عدم العلم بالمراد مع دعوى أنهم والمتكلمين متفقون على أن ظواهر النصوص غير مرادة من الشارع وعلى هذا بعض المتكلمين.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٧٨).

مناقشة الطوائف المتقدمة وإثبات مذهب السلف:

ويمكن مناقشته من أربعة أوجه:

الوجه الأول: ثبوت النقل عن السلف بمذهبهم بالأسانيد الصحيحة عنهم ودلالة العقل على ذلك.

الوجه الثاني: نقل الإجماع عن سائر الطوائف بأن القول المعين هو مذهب السلف.

الوجه الثالث: إثبات أن السلف قد بنوا مذهبهم على العلم والحكمة والسلامة.

الوجه الرابع: بطلان ما أطلق من قول بعضهم: "مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم وأعلم".

ونحن سنتتبع كل وجه بما يخصه مما يدل عليه:

فالوجه الأول: يدل عليه تلك النقول المتكاثرة المتوافرة المتواترة في جملتها الصحيحة من جهة نقلها بحسب قواعد علماء الحديث، وقد تتبع هذه النقول عدد من الكتب أهمها:

١- الإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري.

٢- شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة، للالكائي.

٣- كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي إسماعيل الصابوني.

٤- السنة، للإمام أحمد بن حنبل.

٥- السنة (الرد على الجهمية)، لأبي عبد الرحمن عبد ا لله بن أحمد.

٦- شرح السنة، لأبي محمد البربهاري.

٧- الفتوى الحموية، لابن تيمية.

٨- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية.

٩- الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم إسماعيل الأصفهاني.

١٠- السنة، لابن أبي عاصم.

وإنما قلنا في جملتها لأن أفرادها ربما لم تتواتر فكان مجموعها مفيداً لليقين والقطع بما دلت عليه.

يقول أبو إسماعيل الصابوني في عقيدته: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة -حفظ ا لله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم -عزوجل- بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه"(١).

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص(٣،٤،٦).

ثم قال في موضع آخر: "وَآيَاتِ الْكِتَابِ وَأَخْبَار الرَّسُول ﷺ الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة يطول الكُتَّابُ بإحصائها وذكر اتفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها وأكثرها مخرج بالأسانيد الصحيحة"(١).

وإليك بعض عبارات السلف المنقولة عنهم بالأسانيد الصحيحة.

أولاً: ما رواه البيهقي وغيره بإسناد صحيح عن أبي عمرو الأوزاعي قال: "كنا والتابعون متوافرون -نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه- نؤمن بما ورد في السنة به من صفاته جل وعلا"(٢).

ثانياً: وروى البيهقي أيضاً أن الأوزاعي وَمَالِكاً وسفيان الثوري والليث بن سعد عندما سُئِلُوا عن أحاديث الصفات قالوا: "أمّروها كما جاءت بلا كيفية"(٣).

ثالثاً: روى أبو إسماعيل الصابوني في عقيدته بسنده عن الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن الأحاديث في الصفات والرؤية قال: "أمروها كما جاءت"(٤).

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص(٣،٤،٦).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٤،٨)، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾.

(٣) الاعتقاد ص(١١٨).

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص(٥٦)، الاعتقاد (١١٨).

رابعاً: وروى الصابوني بسنده عن سفيان بن عيينة يقول: "كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه"(١).

خامساً: وروى البيهقي بسنده عن سعيد بن أسد قال قلت للشافعي رحمه الله: "ما تقول في حديث الرؤية؟ فقال لي يا ابن أسد أقضي عليّ حييت أو مت أنّ كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني"(٢).

سادساً: قال أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري: "إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام فإنه رجل رديء المذهب والقول ولا يطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه، لأنا إنما عرفنا الله وعرفنا رسوله وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن"(٣).

سابعاً: قال الإمام الترمذي في الكلام على حديث الرؤية: "المذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، وابن المبارك، ومالك، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: "نروي هذه الأحاديث كما

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص(٥٦)، الاعتقاد (١/١٦٥).

(٢) الاعتقاد ص(١٣١).

(٣) شرح السنة ص(٣٥).

جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم"[١].

ثامناً: وروى اللآلكائي بسنده عن علي بن المديني أنه قال: "... ثم تصديق بالأحاديث والإيمان بها لا يقال لِمَ؟ ولا كيف؟ وإنما هو التصديق بها والإيمان بها وإن لم يعلم تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم عليه الإيمان به والتسليم"[٢].

تاسعاً: قال أبو إسماعيل الصابوني بعد أن عدّ جملة من علماء السلف: "وهذه الجملة التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها ولم يثبت عن أحدٍ منهم بما يضادها"[٣].

هذا والنقول في بيان مذهبهم موفورة في مظانها من الكتب المتقدمة فليرجع إليها، وأنا قد ذكرت منها ما يفي بالغرض" والله المستعان.

الدليل من العقل على أن ما تقدم هو مذهب السلف:

هذا وقد قام الدليل من العقل الصحيح على ما دل عليه النقل الصحيح فتعاضد العقل والنقل في الدلالة على أن ما تقدم هو مذهب السلف ومن

---

(١) أقاويل الثقات ص(٦١).

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٦٥).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص(١١١).

الأدلة العقلية الدالة على ذلك ما يلي:

أولاً: نَقْلُ السلف لنصوص الكتاب والسنة نقلٌ مُصَدَّقٌ به موقن بمضمونه ولم ينقل عنهم ما يعارض ذلك ويخالفه ولا نتصور كونهم كتموا ما اعتقدوه فيه لجريان ذلك مجرى الكذب على صاحب الشرع في القبح، فثبت بذلك أنّ ما نقل عنهم هو عين مذهبهم في الاعتقاد.

ثانياً: أنّ السلف قد نقلوا أدق تفاصيل أحواله ﷺ فلا يتصور مع ذلك أن لا ينقلوا اعتقاده وما كان عليه إذ هو أعلى الدين وأهمه وما تقدم هو المنقول عنهم فتعين كونه اعتقادهم.

ثالثاً: أن الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين ومات عليه الصلاة والسلام بعد أن ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولأن يكون قد بلغّهم أمور اعتقادهم من باب أولى لأنها أصل الدين وأساسه وقد نقلوا ما تقدَّم فيكون هو اعتقادهم دون سواه.

رابعاً: أن الرسول ﷺ حدد النجاة فيما كان عليه هو وأصحابه وهو إما أن يكون جهلاً أو علماً والأول باطل ضرورةً فثبت أنه علم ولايكون علماً إلا إذا كان معلوماً لهم ولا يُتصور ضياعه أيضاً لأن تحديده للنجاة فيه موجب لبقائه في الأمة لأن رسالته خاتمة والحق فيها ماضٍ إلى قيام الساعة، ولأنه لو ضاع للزم أن تكون هذه الأمة على ضلالة، وكذلك الأمر مع اشتباهه فلابد وأن يكون بيناً بحيث يعرف من الأمة ويُنقل.

خامساً: إن الرسول ﷺ مدح الفرقة الناجية بظهور الحق فيها ولا حق إلا ما كان عليه ﷺ وأصحابه فلابد من نقله، إذ لو لم يُنقل للزم جهلها بالحق الذي هو عليه وأصحابه الذي به ظهرت وما تقدم هو ما نقل عنهم فلابد وأنه كان عليه ﷺ وأصحابه.

سادساً: أنه إذا كان الحق فيما كان عليه رسول الله وأصحابه فلابد من نقله نقلاً تقوم به الحجة على الخلق لأنه دين الله الذي ارتَضَاه لعباده ولا يُتصور حينئذٍ خفاؤه ولا اشتباهه؛ لأن لازم ذلك أن الأمة على ضلالة، والأمة المحمدية لا تجتمع على ضلالة وأي ضلالة أعظم من تضييع عقيدتها بحيث تخفى عليهم أو تشتبه بغيرها.

سابعاً: إن القرآن الكريم والسنة النبوية نُقِلا نقلاً يستحيل معه ضياع شيء منهما وهما بلاشك ولا ريب قد تضمنا فروع الشرع وأصوله أي عقائده وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، والصحابة قد نقلوا لنا القرآن والسنة ولم يُعرف عنهم مخالفة ما جاء فيهما مما يدل على أنهم يسلمون بما جاء فيهما من العقائد وهو عين المنقول عنهم فتعين كونه مذهبهم.

ثامناً: إن وصف الفرقة الناجية بإصلاحها ما أفسد الناس وبصلاحها إذا فسد الناس مع تعيينها بأنها مع ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه دليل على أنها على الحق المنقول عن الرسول ﷺ وأصحابه وهذا يدل

على بقاء ذلك النقل عنهم صحيحاً وما تقدم هو المنقول عنهم فيتعين كونه مذهبهم وأنه الحق.

تاسعاً: أن نقل مذهب السلف نقل متواتر وهو أقوى من النقل الخبري بوجود بلد من البلدان تعاضدت عليه نصوص القرآن والسنة والنقل الأثري عنهم.

عاشراً: إن الحق باقٍ في هذه الأمة إلى قيام الساعة والسلف أولى الناس به فلابد وأن ينقل عليهم؛ لأن عدم نقله يعني أن الحق منقطع وهو باطل.

الوجه الثاني: النقل عن سائر الطوائف بأن ما تقدم هو مذهب السلف أن مما أجمعت عليه الأمة المحمدية أن أقوال السلف تعتبر دليلاً يحتج بها دون أقوال غيرهم سواء كان ذلك في النقل أو الجرح والتعديل، يقول ابن تيمية: "وهذا إجماع من جميع هذه الطوائف على تعظيم السنة والحديث واتفاق شهاداتهم على أن الحق في ذلك ولهذا نجد أعظمهم موافقه لأئمة السنة والحديث أعظم عند جميعهم ممن هو دونه".

هذا والطوائف تُمدح بمقدار قربها من الكتاب والسنة وهم لهم النصيب الأوفر من ذلك.

وممن نقل ذلك من أئمة أهل الكلام:

أولاً: قال أبو المعالي الجويني في كتابه الرسالة النظامية: "اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزام ذلك في آي

الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب - ثم قال والذي أرتضيه رأياً وأدين الله به عقداً: اتباع سلف الأمة والدليل السمعي القاطع في ذلك: إجماع الأمة وهو حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة وكانوا لايألون جهداً في ضبط قواعد الملة(١) والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً أو محتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذ قد انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع"(٢).

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصفهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده قال: "أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين ... ثم قال فيها: إن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول،

---

(١) نقض المنطق، ص(١٠-١٦).

(٢) الرسالة الحموية من النفائس، ص(١٥٤،١٥٥).

وأنه عزوجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق"(١).

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب الحلية في عقيدته قال في أولها: "طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة قال: فمما أعتقده أن الأحاديث التي تثبت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لايحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه"(٢).

قال أبو القاسم القشيري: "حدثنا محمد بن الحسين سمعت النصراباذي يقول: أنت متردد بين صفات الفعل وصفات الذات وكلاهما صفته تعالى على الحقيقة فإذا هيّمك في مقام التفرقة قربك بصفات فعله وإذا بلغّك إلى مقام الجمع قربك بصفات ذاته".

قال ابن تيمية تعليقاً: "قلت هذا الكلام من النصراباذي أنه موصوف بصفات فعله على الحقيقة مثل الخلق والرزق كما أنه موصوف بصفات الذات على الحقيقة كالعلم والقدرة وهذا هو ما ذكره أبو بكر محمد بن

---

(١) المرجع السابق، ص(١٢٩).

(٢) المرجع السابق، ص(١٢٥).

إسحاق الكلاباذي عن مذهب الصوفية في كتاب التعرف وهو قول جمهور الفقهاء وأهل الحديث وطوائف أهل الكلام"[١].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: "قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عزوجل وبسنة نبينا محمد ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون ولمن خالف قوله مجانبون..."[٢].

وقال أبو الحسن الأشعري أيضاً بعد أن حكى معتقد أهل الحديث: "وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب"[٣].

وقال أبو بكر الباقلاني: "فنص تعالى على إثبات أسمائه وصفات ذاته..."[٤].

وقال الشهرستاني: "وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا للتشبيه فمنهم مالك بن أنس ﷺ... ومثل أحمد بن حنبل رحمه الله وسفيان الثوري وداود بن علي الأصفهاني ومن تابعهم"[٥].

---

(١) الاستقامة، ص(١٨٢،١٨٣).

(٢) الإبانة في أصول الديانة، ص(٨،٩).

(٣) الإنصاف، ص(٢٥).

(٤) مقالات الإسلامين، ص(٣٢٠،٣٢٥).

(٥) الملل والنحل، ص(٩٣/١).

وقال الباقلاني في التمهيد: "فإن قال قائل فما الحجة في أن لله عزوجل وجهاً ويدَيْن؟.

قيل له: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[1].

وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ...﴾[2].

وإذا تحرر ما تقدم ثبت المطلوب وهو إجماع الطوائف على أن المنقول هو مذهب السلف، وإذا ثبت ذلك وجب لزومه؛ لأنه ما كان عليه رسول الله وأصحابه الكرام الذين هم أولى بالحق كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ﴾[3]، فرضاه عنهم رضى لما يعتقدونه ويعملونه، لأن الرضى هنا مطلق في جميع الأحوال وإذا رضي حالهم فلابد وأن يكون كل مرضي هو من حالهم وعلى حالهم، إذ كل خيرٍ هم أولى به من غيرهم.

الوجه الثالث: إثبات أن السلف قد بنوا مذهبهم على العلم والحكمة والسلامة، وذلك من طريقين:

الطريق الأول: طريق النقل من الكتاب والسنة والأثر ويظهر ذلك من

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٢٧).

(٢) سورة ص: الآية (٧٥).

(٣) سورة التوبة: آية (١٠٠).

عدة وجوه نذكر أهمها وهي:

أولاً: أمره جل جلاله بتدبر القرآن الكريم كما في قوله سبحانه: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاه إِلَيْكَ مُبارك لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِه**﴾[1]، وقوله جل شأنه: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُون الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَاها**﴾[2]، فهذا خطاب من الله ينكر فيه على من لم يتدبر القرآن ويفهمه ولا يصح هذا الخطاب إلا مع كون القرآن مما يمكن فهمه وعقله وتدبره وأولى من تدبره هم سلف هذه الأمة ضرورة حضورهم التنزيل وتلقيهم إياه عن الرسول ﷺ.

ثانياً: قوله سبحانه: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُم تَعْقِلُون**﴾[3].

وقوله جل جلاله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاه قُرآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُم تَعْقِلُون**﴾[4].

فبين الله أن الحكمة من إنزاله باللغة العربية هو فهمه وعلم مقاصده وإدراك معانيه والسلف أعلم الناس بلغة العرب فهي لغتهم وهم أعرف الناس بها فإن امتنع فهمهم فامتناعه على غيرهم من باب أولى.

ثالثاً: ذمه تعالى من لم يفهم القرآن وجَعْلُهُ سلب الفهم من أعظم ما يعاقب به أعداءه، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ**

---

(١) سورة ص: الآية (٢٩).

(٢) سورة محمد: الآية (٢٤).

(٣) سورة يوسف: الآية (٢).

(٤) سورة الزخرف: الآية (٣).

الَّذِينَ لا يُؤْمِنونَ بالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أن يَّفْقَهُوه وَفِي آذَانِهِم وَقْراً﴾[1]، كما إنه إذا سلب أعداءه الفهم عقوبة، فإنه لا يسلبه أحبابه لأنهم غير معاقبين ولو سلبه إياهم لكانوا كأعدائه معاقبين فتعين أن يكون السلف الذين هم أخص أحبابه أولى بالعلم بكتابه وما يدل عليه من علمٍ وعمل.

رابعاً: قوله جل شأنه في ذم الكفار لعدم اهتدائهم بالقرآن: **﴿فَمَالِ هؤُلاءِ الْقَوم لايَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾**[2]، ولو كان المؤمنون لا يفهمون القرآن لشاركوا المشركين والكفار في توجه الذم لهم وهو ممنوع فلابد وأن يكون المؤمنون يفقهون معاني القرآن الكريم والسلف هم أخص المؤمنين فهم أعلم بكتاب الله من غيرهم.

خامساً: إن الله ذم من كان حظه من القرآن الكريم قراءة حروفه دون فهم معانيه ومقاصده، فقال سبحانه: **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إلاَّ دُعاءً ونِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لا يَعْقِلُون﴾**[3].

وقال جل شأنه: **﴿أَمْ تَحْسبُ أن أَكْثَرَهُم يَسْمَعُونَ أَو يَعْقِلُون إنْ**

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٤٥).

(٢) سورة النساء: الآية (٧٨).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٧١).

﴿هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُم أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[(١)].

وقال جل جلاله عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَن يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ ا للهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾[(٢)]، فدلت الآيات على أن الكفار والمنافقين لا يفهمون معاني القرآن الكريم بدليل أنهم يسألون أهل العلم عما سمعوه منه ﷺ، ولو فهموا لما احتاجوا للسؤال ولو كان المؤمنون كذلك لكانوا مثلهم فيتوجه لهم الذم، واللازم باطل فالملزوم كذلك، والسلف هم أخص المؤمنين فيكونون أولاهم بفهم القرآن زيادة على ما لهم من حضور مواقع التنزيل وكونه نزل بلغتهم التي يفهمونها ولا يقال أن الكفار كانوا عرباً لأنهم قد طبع على قلوبهم وإلا فإن فهمهم للغة القرآن كافٍ في معرفة معناه.

سادساً: ورود الآثار عن السلف الدالة على فهمهم لنصوص الوحي وإدراكهم لمعانيه ومن ذلك: قول ابن مسعود ﷺ: (لو أعلم أحداً أعلم بكتاب ا لله مني تبلغه الإبل لأتيته)[(٣)].

ونصوص العقائد من كتاب ا لله وهو لم يستثن شيئاً من الآي فهي

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٤٤).

(٢) سورة محمد: الآية (١٦).

(٣) رواه البخاري، انظر: فتح الباري (٩/٤٧)، رقم ٥٠٠٢، كتاب (٦٦)، باب (٨).

معلومة لديه معروفة مقاصدها له، ومن ذلك أيضاً قول مجاهد رحمه الله: "عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره أوقّفه عند كل آية منه وأسأله عنها"[١]، ففيه دليل على علم ابن عباس بمعاني التنزيل كله ولم يتوقف في معنى آية منه وآيات العقائد أهمها وأجلها فلابد وأن يكون عالماً بمعانيها وما أراده الله فيها، ولا يكدر على هذا الوجه اختلاف الصحابة في تفسير القرآن، لأنه من قبيل اختلاف التنويع لا التضاد فاختلافهم لا يخرج عن ثلاثة أمور هي:

الأول: التفسير بالمترادفات.

الثاني: التفسير بذكر بعض أفراد العام.

الثالث: تفسير الآيات بالحوادث من باب بيان أن حكم الحادثة مما يدخل في معنى الآية وهو ما يسمى سبب النزول[٢]، وهذه الأمور الثلاثة كما هو واضح لأهل العلم لا تضاد بين التفاسير فيها.

وبهذه الوجوه المتقدمة يثبت بدلالة النصوص والآثار أن السلف كانوا من أعلم الناس بدين الله وأولى الناس بالعلم به وتبطل الدعوى القائلة بجهلهم.

---

(١) تفسير الطبري (١/٣١)، الحديث الثالث من الصفحة، وتفسير ابن كثير (١/٤).

(٢) انظر: القاعدة المراكشية (٢٩-٣٥)، الحموية من النفائس (٣٦).

الطريق الثاني: دلالة العقل على أن السلف عَالِمُون بمعاني النصوص وبالتالي هم عالمون بدلالة آيات العقائد ونحن نذكر من دلالة العقل ما يتسع له المقام، فمن أدلة العقل ما يلي[(١)]:

أولاً: إن من الممتنع ببداهة العقول أن يكون الرسول ﷺ الذي أمر الله بالتحاكم إليه فيما يجري فيه الخلاف، وأن يرد الأمر المتنازع فيه إليه والذي وصفه بأنه يدعو إلى الله على بصيرة هو وأتباعه ونص على أن أكمل الدين له، ترك باب العقائد الذي هو أساس الهداية وأصل الدين غير ظاهر، ولا بيّن بحيث تبقى الأمة بعده مضطربة فيه غير عالمة به، لأن ذلك جار مجرى عدم الأمانة في التبليغ والكذب على الله وهو باطل فما لزم منه الباطل فهو باطل.

ثانياً: كما أنه من الممتنع عليه ﷺ أن يعلّم أمّته كل شيء حتى الخراءة كما قال ﷺ: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)، ثم يترك باب العقائد مغلقاً عليهم غير معلوم لهم فأي محجة بيضاء عندئذ تركهم عليها مع خفاء أصل الدين وأساسه.

ثالثاً: أن السلف هم خير الأمة وأفضلها فلا يتصور عقلاً جهلهم بأصول الدين، لأنها أهم ما تكون به الفضيلة والخيرية، كما أنهم هم المبلغون عن الرسول ﷺ دينه فإذا كانوا جاهلين بأصول الدين فهذا لعدم

---

(١) انظر: الحموية من النفائس (٨٧-٩٧)، نقض المنطق (٢،٢٧،١١٦).

تبليغه لهم وهو ممتنع عقلاً فما بني عليه يكون ممتنعاً وهو جهلهم بأصول الدين.

رابعاً: أن ضد عدم علم السلف بأصول الدين هو عدم قولهم بالحق فيها إما باعتقاد الباطل أو قول الكذب، وكلا الأمرين ممتنع عقلاً، ودليل ذلك: قيام المقتضى في نفوسهم لطلب العلم بأصول الدين، لأنه أهم مطالب الدين وأعظمها مع دلالة الفطرة عليه، وإذا كان الأمر كذلك فمن الممتنع أن يتخلف عن هذا المقتضى السلف في جملة عصورهم، إذ هو إجماع منهم على قول الباطل أو اعتقاده، وهذا لا يتصور في أعظم البلاد مشاقة للرسل وإعراضاً عن الحق فكيف يتصور مثل ذلك في حق سلف الأمة الموسومة بالخيرية كما أن اعتقادهم غير الحق مما لا يتصور اعتقاده من مسلم.

خامساً: كما أن العقل لا يتصور أن يكون الخلف أعلم بالله ودينه من السلف إذ الدواعي عند السلف لمعرفة الحق أكثر وصفاء الدين أعظم والباطل أدحر، أما عند الخلف فالشبهات أكثر والبدعة في أزمنتهم أشهر والحيرة بينهم أوفر.

سادساً: أنه إذا كان غير الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان على علم بأصول الدين فإن السلف أولى بهذا العلم، لأن الدواعي عندهم أعظم والمقتضيات أكثر.

سابعاً: إن التبليغ واجب شرعاً على النبي ﷺ ولازم ذلك أنه بلغ جميع شرائع الدين وعقائده، والعقائد أصل الدين وأساسه، فلابد من تبليغه إياها، وإذا ثبت أنه قد بلغها فلابد وأن يكون السلف عالمين بما بلغ لهم وقد ثبت أنهم نقلوه لمن بعدهم فلابد وأن يكونوا به عالمين إذ الإيمان به بعد التبليغ واجب كما أن نقلهم له لمن بعدهم دليل على علمهم به فثبت بذلك المطلوب وهو علم السلف بأصول الدين.

ثامناً: إن لازم عدم علمهم أن الرسول ﷺ قد بلغ بلفظ ملغز أو مدلس أو خاطبهم بلسان عربي غير مبين وعندئذٍ يكون حالهم بعد رسالته كحالهم قبلها وهو باطل، وما لزم منه الباطل فهو باطل، وهو عدم علمهم فثبت ضده وهو علمهم بأصول الدين.

الوجه الرابع: بيان بطلان المقالة القائلة: "إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم وأعلم" ويتضح ذلك من الوجوه التالية(١):

أولاً: إن العبارة متناقضة في نفسها إذ لا سلامة إلا مع العلم والحكمة فمذهب السلف هو الأعلم والأحكم والأسلم.

ثانياً: أن العلم والحكمة في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وهذا ما هو عليه السلف دون الخلف فمذهب السلف هو الأولى بالعلم والحكمة.

---

(١) الحموية من النفائس (٨٩ وما بعدها)، الرسالة التدمرية من النفائس (٣٨ وما بعدها).

ثالثاً: إن السلامة في الدنيا والآخرة منوطة شرعاً باتباع ما جاء به الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لاَيَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[1]، وهذا هو ما عليه السلف وهذا لا يكون إلا مع العلم كما قال تعالى: ﴿**فاعْلَم أَنَّهُ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ واستَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿**إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[3]، والحكمة اتباع ما فيه السلامة ودل عليه البرهان والدليل ما جاء به الرسول ﷺ فثبت أن العلم والحكمة والسلامة فيما عليه السلف.

رابعاً: إن سبب هذه المقالة هو ظن من تكلم بها بأن مذهب السلف هو مذهب أهل التفويض وهو قراءة حروف القرآن الكريم والسنة النبوية دون اعتقاد ما تدل عليه من معنى عند من يقول منهم إن لها معنى مفهوم وعند من يقول أنها لها معنى لا يفهم أو ليس لها معنى فلا يزيد على قراءة الحروف فقط، والحق أن هناك فرق بين مذهب السلف ومذهب أهل التفويض وتحريره هو أن مذهب السلف تفويض في الكيفيات والحقائق الخارجية الواقعية دون المعاني اللغوية فلا تفويض في المعاني اللغوية، لأن

(١) سورة النساء: الآية (٦٥).

(٢) سورة محمد: الآية (١٩).

(٣) سورة الزخرف: الآية (٨٦).

ألفاظ الكتاب نزلت بلغة العرب وهي موضوعة لِمَعَانٍ مقصودة من إطلاق اللفظ، ولذا ثبت عنهم أنهم قالوا أمّروها كما جاءت، ولا يمكن أن يصح الإمرار إلا بأن يمر اللفظ بما حمله من معنى ولذا لا يصح أن يقال للفظ المهمل لغة أنه أمر ولو كان مقصودهم النطق باللفظ دون اعتقاد المعنى لصرحوا بذلك فقالوا النطق باللفظ دون اعتقاد ما دل عليه من معنى، ولا يكدر علينا ما تقدم بيانه بورود عبارة أمروها كما جاءت بلا تفسير، لأن المراد بنفي التفسير تفسيرها بالكيفية والحقيقة والماهية وهو مالا يعلمه إلا الله وهو ما يطلق عليه المعنى الخاص وبناءً على ذلك فلا محذور في بيان المعنى اللغوي لألفاظ العقائد التي يتعلق بها الأمرين بشرط أن يكون ذلك المعنى هو المراد باللفظ لغة وشرعاً لا صرفاً للّفظ عن المراد به إلى معنى آخر يخالف الظاهر عند المفسر بل يفسر بما يدله عليه ظاهر اللفظ اللائق بجلال الله في واقع الأمر وحقيقته، وعندئذٍ لايضر أن يسمى تأويلاً أو تفسيراً خالف الظاهر أو وافقه وعليه فحقيقة ما في يوم القيامة من الظواهر التي ذكرها الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ مما لا يعلمه إلا الله وإن كانت معاني تلك الألفاظ لها ملولات لغوية معلومة لنا وعن طريقها نستطيع فهم ما أراده الله في الجملة فتحصل لنا بذلك الرغبة والرهبة والأمر نفسه في باب صفات الله وأسمائه فإن معانيها اللغوية معروفة وبمعرفتها تتولد في نفوسنا من أنواع المعارف المتناسبة، وذلك الاسم أو الصفة ما به يظهر لنا من كمال الباري وجلاله ما يقتضي

توحيده وإجلاله وتعظيمه كما يظهر لنا من ذلك نفي ما يضاد كماله المقدس جلّ جلاله.

يقول ابن تيمية: "فتأويل ما أخبر الله تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هو حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر الله به تعالى عن الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا كما أخبر أن في الجنة لحماً، ولبناً، وعسلاً، وخمراً ونحو ذلك، هذا يشبه ما في الدنيا لفظاً ومعنى لكن ليس هو مثله ولا حقيقته حقيقته، فأسماء الله تعالى وصفاته أولى، وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته كحقيقته"[(١)].

وهذا هو معنى قول الإمام مالك -رحمه الله تعالى-: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"[(٢)]، وقول شيخه ربيعة بن عبد الرحمن: "الإستواء معلوم والكيف مجهول ومن الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا الإيمان"، وليس معناه أنه موجود في القرآن

---

(١) الرسالة التدمرية من النفائس، ص(٣٨).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي، ص(٤٠٨)، الاعتقاد، ص(١١٦).

بحروفه أو تفسيره بما لا يدل عليه من أنواع المجازات وغرائب اللغات بل معناه إن معانيه اللغوية واضحة المدلول من وضع اللغة وحقيقته الذي هو معناه الخاص مجهول لا يعلمه إلا الله فهو بيّن من وجه وخفي من وجه آخر[١].

هذا والسلف يعتقدون في أحاديث الصفات والأسماء أن ظاهرها صفات للباري جلّ شأنه لائقة بجلاله وعظمته لا تماثل صفات المخلوقات ولا أسمائهم، وأما المفوضة فهم لا يوجبون دلالتها على ذلك وإنما يجوزون ذلك ويجوزون أن يكون المراد غيره أو يتوقفون[٢].

خامساً: إن اتفاق السلف في سائر عصورهم على ماهم عليه دليل علمهم، واضطراب الخلف وتنقلهم من رأي إلى آخر دليل عدم علمهم بالحق واضطرابهم في الاستدلال[٣].

سادساً: رجوع كثير من أئمة الخلف إلى مذهب السلف وتصريحهم بصحة ما عليه السلف كالأشعري والجويني وغيرهما وقد تقدم شيء مما يدل عليه[٤]، وأما السلف فما علم عن أحد علمائهم ولا صالح عامتهم

---

(١) الرسالة التدمرية من النفائس، ص(٣٩)، الحموية منها، ص(٩٠).

(٢) الرسالة الحموية من النفائس، ص(١٦٥).

(٣) انظر: نقض المنطق، ص(٤٢).

(٤) انظر: الرسالة الحموية من النفائس، ص(٩٠، ٩١).

رجوع عما هم عليه[١].

سابعاً: شهادة أئمة الخلف على أنفسهم بالضلال ومن ذلك قول الغزالي: "الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة بل الإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم من الصبا بتواتر السماع"[٢].

وقال الجويني: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن..."[٣].

وقال بعضهم[٤]:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعاً سن نادم

وقال آخر[١]:

نهاية إِقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال

---

(١) انظر: نقض المنطق، ص(٤٢).

(٢) الجواهر الغوالي للغزالي (٩٩)، إعلام الموقعين (٤/٢٤٧).

(٣) انظر: الرسالة الحموية من النفائس، ص(٩١).

(٤) انظر الرسالة الحموية من النفائس، ص(٩١).

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا * وغـاية دنـيانا أذى ووبـال
و لم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سـوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

أبعد هذا يقال: إن الخلف مذهبهم أعلم وأحكم ومذهب السلف أسلم، بل إن مذهب السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم.

الضوابط العقدية لمذهب السلف:

وقد حدد السلف عدة ضوابط عقدية بمجموعها يدل على أن من اعتقدها سلفي متتبع لمذهب السلف ومن خالف في عنصرٍ منها كان خلفياً مجانباً لمذهب السلف موسوم باسم المبتدع في الدين حيث خالف ما كان عليه رسول الله وأصحابه والتابعون وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين وهي كما يلي:

أولاً: إن الطريق الوحيد الذي يستقى منه الاعتقاد هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والآثار الصحيحة المروية عن الصحابة ﷺ وإجماع السلف، قال اللالكائي: "وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول ﷺ ثم صحابته الأخيار المتقين ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين"[1].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩/١).

ثانياً: اجتناب البدع في الدين وذم المبتدعين قال اللالكائي: "ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون".

ثالثاً: إن العقل لايحكم في باب الاعتقاد ولا يعول عليه في إدراك العقائد وإن كانوا لا يرفضون دلالته عليها ولا ينفون إمكان إداركه لمجملاتها ومع ذلك فهم في غنىً عنه بما لديهم من نصوص الوحيين وما أُثر عن القرون الثلاثة المفضلة[1].

رابعاً: الإيمان بكل مادلت عليه النصوص والآثار جملة وتفصيلاً، فما فصلته حقه الإيمان على التفصيل وما أجملته فحقه الإيمان به كما ورد وإرجاع علم تفصيله إلى الله، لا يتعدون ما دلت عليه النصوص والآثار كما قال سبحانه: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[2].

يقول الإمام أحمد بن حنبل: "ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم له فعليه الإيمان به والتسليم له"[3].

خامساً: الإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) المرجع السابق، ص(١/ ١٠-١٢).

(٢) سورة النساء: الآية (٦٥).

(٣) انظر: شرح أصول أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٧).

سادساً: إن القرآن كلام ا لله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

سابعاً: الإيمان برؤية المؤمنين لربهم في الجنة عياناً.

ثامناً: ترك الخصومة والمراء في الدين وذم ذلك والنهي عنه.

تاسعاً: ترك الجدل في الدين وذمه والنهي عنه وهو ما يسمى بعلم الكلام.

عاشراً: الإيمان بعلو ا لله على عرشه.

الحادي عشر: الإيمان باستواء الله على عرشه.

الثاني عشر: الإيمان بكل ما وصف ا لله به نفسه أو وصفه به رسوله من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف كالسمع والبصر والعلم والمشيئة والإرادة والفرح والعجب والضحك والنزول ونحوها.

الثالث عشر: إن ا لله متكلم بصوت وحرف متى شاء كيفما شاء.

الرابع عشر: الإيمان بالميزان يوم القيامة وإن له كفتان ولسان.

الخامس عشر: الإيمان بعذاب القبر وإنه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

السادس عشر: الإيمان بفتنة القبر وهو سؤال منكر ونكير عن الأصول الثلاثة ...من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟.

السابع عشر: الإيمان بحوض النبي ﷺ.

الثامن عشر: الإيمان بالشفاعة بأنواعها.

التاسع عشر: الإيمان بالصراط المنصوب على متن جهنّم.

العشرون: إن الجنة حقٌّ وإن النار حق وإنهما مخلوقتان باقيتان دائمتان.

الحادي والعشرون: الإيمان بجميع علامات الساعة الصغرى والكبرى مما وردت به الأحاديث الصحيحة.

الثاني والعشرون: إن الإيمان قول وعمل ونيّة يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الثالث والعشرون: إنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يكن كفراً.

الرابع والعشرون: الإيمان بالأنبياء والملائكة وإن النبوة اصطفاءٌ واختيارٌ من الله.

الخامس والعشرون: إن الموحّدين لا يخلّدون في نار جهنم إذا ماتوا على التوحيد بل هم تحت مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

السادس والعشرون: إن أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسبهم، كما قال سبحانه: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[1]، ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ**

---

(١) سورة الصافات: الآية (٩٦).

﴿وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[١]، وأنها واقعة بمشيئة الله وهم الفاعلون لها بقدرتهم.

السابع والعشرون: جواز الاستثناء في الإيمان.

الثامن والعشرون: إن الخلافة في قريش لا ينازعون فيها إلى قيام الساعة.

التاسع والعشرون: وجوب السمع والطاعة للأئمة وإن جاروا وحرمة الخروج عليهم وإن فسقوا إلا أن يأتوا كفراً بواحاً لنا عليه من الله برهان، وإن طاعتهم في المعروف، مع وجوب الكف عن مساوئهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

الثلاثون: "ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين والكف عن الذي شجر بينهم... والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر وخيرهم بعد أبي بكر، عمر وخيرهم بعد عمر، عثمان وخيرهم بعد عثمان، علي، رضوان الله عليهم خلفاء راشدون مهديّون"[٢].ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم بقية أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) سورة الروم: الآية (٤١).

(٢) السنة للإمام أحمد، تحقيق محمد حامد الفقي، ص(٤٩)، من شذرات البلاتين.

الحادي والثلاثون: ولا يشهدون لأحدٍ بجنة أو نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ.

الثاني والثلاثون: الإيمان بالصور والنفخ فيه، وإن النافخ إسرافيل.

الثالث والثلاثون: الإيمان بالبعث بعد الموت والقيامة وما فيها.

الرابع والثلاثون: الإيمان بالقلم والعرش والكرسي واللوح المحفوظ والبيت المعمور وغيره ممّا وردت به النصوص، هذا وقد يذكر بعض السلف في معتقداتهم بعض ما يدخل في مسمى فقه الفروع عند المتأخرين مثل المسح على الخفين وتحريم المتعة ونحو ذلك مما ثبت بالدليل المتواتر عند أهل الحديث والنقل لإفادة النصوص القطعية في ثبوته ولأن هذه الأمور مما يفارق فيها أهل السنة والجماعة -أعني السلف- غيرهم من أهل البدع والأهواء وممن ذكر ذلك الإمام أحمد في كتاب السنة والإمام البربهاري في شرح السنة(١).

---

(١) انظر: السنة للإمام أحمد، ص(٥٢)، من شذرات البلاتين، انظر: شرح السنة للبربهاري، ص(٣٠،٣٩،٤١)، انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(٩٧ وما بعدها).

الفصل الثاني

منهج السلف العام في تقرير العقيدة

بيان منهج السلف العام في تقرير العقيدة

ويمكن تلمس مذهبهم العام من خلال كتاباتهم وقد ظهر لي أننا يمكننا حصره فيما يلي:

أولاً: بيان الحقائق العقدية بياناً واضحاً خالياً من التعقيد اللفظي أو المعنوي وإنما يحصل ذلك -أي التعقيد- من الأمور التالية:

أ - استعمال اللفظ في غير معناه.

ب- استعمال الألفاظ المشتركة وضعاً.

جـ- استعمال الألفاظ المجملة إما بسبب الوضع أو بسبب تعدد المصطلحات في التعبير عن المعنى الواحد في السياق الواحد.

د - تحميل اللفظ ما لايحتمله من المعاني لغة وشرعاً.

هـ-استعمال اللفظ في غير ما وضع له لغة سواء بمفرده أو في غير ما يناسبه من السياق.

و - استعمال ألفاظ اصطلاحية لاحظ لها من الاستعمال اللغوي أو الشرعي بل هي إما ألفاظ منقولة من لغات أخرى وأعطيت معاني غير المراد بها في لغتها أو نقلت بمعانيها في تلك اللغة فهي غير عربية وضعاً.

ز - استعمال اللفظ في سياق لغوي مخالف للوضع اللغوي كإرجاع الضمير على متأخر لفظاً ورتبة أو تقديم ما حقه التأخير مع وجود اللبس كتقديم المبتدأ على الخبر وكلاهما اسمٌ مقصورٌ لا تظهر عليه الحركات.

حـ- استعمال المجازات اللغوية مع ضعف القرائن أو عدم وجوده علماً بأن السلف لا يقولون بوجود المجاز لا في القرآن ولا في السنة ولا في لغة العرب بل لم يكن معروفاً عندهم فإن أول من قال به هو عبد الله بن سعيد بن كلاب، وأما عند السلف فكان معناه التفسير، ومنه مجاز القرآن لأبي عبيد بن سلام.

وإذا كان أسلوب السلف مبرأ من هذه الاستعمالات في مفرداته وتراكيبه وسياقاته فإن التعقيد لا يعتري شيئاً من استعمالاتهم اللغوية.

ثانياً: الاستدلال على إثبات الحقائق العقدية بالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل الصحيح والحس والفطرة وهذه هي أصح الأدلة وأقواها ممّا يدل على صحة أصولهم في الاستدلال ولهم في كل واحد من هذه الأصول قواعد في الاستدلال به لا يتسع لمثلها هذا المختصر ومن أهمها:

١- في النقل.

يستدلون بكل نقل صحيح صريح ولا يقدّمون عليه قول كائن من

كان ولا يعارضونه بأي شيء مهما كان امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُم عَنْهُ فَانْتهُوا﴾[١]، وقوله جلّ جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ا للهِ وَرَسُولِه واتَّقُوا ا للهَ إنَّ ا للهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

والنقل يشمل القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وإجماع السلف الصالح ولايقصرون دلالة الوحي على الدلالة الخبرية بل يؤمنون بنوعي الدلالة ويستدلون بهما وهما:

أ - الدلالة الخبرية كقوله سبحانه: ﴿ا للهُ لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُومُ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هُو ا للهُ أَحَد﴾[٤]، وقوله: ﴿قُل يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُون﴾[٥].

ب- الدلالة العقلية كقوله سبحانه: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أوْلي الأَبْصَار﴾، وقوله: ﴿لَو كَان فِيهِما آلهةٌ إلاَ ا للهُ لَفَسَدَتَا﴾[٦].

وقوله جل جلاله: ﴿أَمْ خلقوا مِنْ غَيْرِ شَيءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون﴾[٧]،

---

(١) سورة الحشر: الآية (٧).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

(٤) سورة الإخلاص: الآية (١).

(٥) سورة الكافرون: الآية (١-٢).

(٦) سورة الأنبياء: الآية (٢٢).

(٧) سورة الطور: الآية (٣٥).

يقول الإمام البربهاري: "واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم ومن قال على الله ما لايعلم فهو من المتكلفين والحق ما جاء من عند الله عزوجل والسنة ما سنه رسول الله ﷺ والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ فلج على أهل البدعة كلهم واستراح بدنه وسلم له دينه إن شاء الله، لأن رسول الله ﷺ قال: (ستفترق أمتي) وبيّن لنا رسول الله ﷺ الفرقة الناجية منها فقال: (ما أنا عليه وأصحابي)[1]، فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستقيم"[2]. كما أنهم لا يتبعون المتشابه بل يؤمنون بمحكم الكتاب والسنة ويردون ما تشابه مما لايعلمه إلا الله أو ما خفي المراد به على بعض الناس إلى المحكم البين الواضح، لأن تتبع المتشابه من التكلف والله يقول عن رسوله: ﴿قُل مَا أَسْأَلُكُم عَلَيه مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتكَلّفِين﴾[3]، ولأن اتباع المتشابه من صفات أهل الزيغ والضلال[4]، كما قال جلّ شأنه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتّبِعُونَ

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩١)، بسند حسن، انظر: تحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني على شرح السنة للبربهاري، ص(٤٥).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٤٥).

(٣) سورة ص: الآية (٨٦).

(٤) انظر: عقيدة السلف أهل الحديث، ص(٥٠-٦٤).

مَا تَشَابَه مِنْه ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه﴾[١].

وحكى أبو إسماعيل الصابوني قال: "قرأت في رسالة للشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلي أهل جيلان"، ومما حكاه عنه "فانتهينا إلى ما أحكم وكففنا عن الذي يتشابه إذ أمرنا به في قوله: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مَتشابِهَات...﴾**[٢]، كما إنهم يعتقدون أن دلالة النصوص القرآنية والنبوية نص في معناها والمراد منها فإذا أتى البيان من الرسول ﷺ وأصحابه لم يطلب من غيرهما"[٣]، لقوله تعالى: **﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِم﴾**[٤].

وهم أيضاً لا يجادلون ولا يخاصمون في آيات الله وأحاديث الرسول ﷺ بل هو التسليم والإيمان والتصديق والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله، يقول البربهاري رحمه الله: "اعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله يقول: **﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إلا الَّذِينَ**

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٥).

(٤) سورة النحل: الآية (٤٤).

﴿كَفَرُوا﴾[١]، فعليك بالتسليم والرضى بالآثار"[٢]، ولا يستدلون بالقرآن دون السنة بل السنة والقرآن لا يكمل دين العبد إلا بالإيمان بما فيهما لأنهما مما أوتيه الرسول ﷺ قال ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)، فهما في الاحتجاج والاستدلال سواء لا يُعزل أحدهما من أجل التحاكم إلى الآخر قال تعالى: ﴿وَ إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرَدُّوهُ إِلَى ا للهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣]، وقال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيماَ شَجَرَ بَيْنَهُم﴾[٤].

يقول البربهاري: "وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن فلا شك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم عنه ودعه"[٥].

٢- في العقل:

ويتبين ذلك فيما يلي:

أولاً: إن عمل العقل هو الفهم عن ا لله ورسوله ﷺ ثم بعد ذلك التسليم لما دلت عليه نصوص الوحي يقول الشافعي رحمه ا لله تعالى: "إذا

---

(١) سورة غافر: الآية (٤).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٤).

(٣) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٤) سورة النساء: الآية: (٦٥).

(٥) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٤).

رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه فاعلموا أن عقلي قد ذهب"[١].

يقول البربهاري: "وكل ما سمعت من الآثار مما لم يبلغه عقلك... فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى"[٢].

ثانياً: إنه لا عبرة بالأقيسة العقلية في مقابل النصوص المنزلة من عند الله كتاباً وسنة يقول البربهاري: "إنه ليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولاتتبع فيها الأهواء بل التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح ولا يقال: لم؟ ولا كيف؟"[٣].

ثالثاً: إن ما تعلق بالديانة من عقائد وأعمال مما لادخل للعقل فيه يقول البربهاري: "اعلم رحمك الله أن الدين إنما جاء من قِبَلِ الله تبارك وتعالى لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم"[٤].

رابعاً: إنه لا عبرة للعقل فيما يتعلق بالله لقول البربهاري: "والفكرة في الله بدعة لقول رسول الله ﷺ (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله)[٥]

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(٢٣).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٢).

(٣) الرجع السابق، ص(٢٤).

(٤) شرح السنة للبربهاري، ص(٢٢).

(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع وسلسلة الأحاديث الصحيحة، انظر: شرح السنة للبربهاري، ص(٣٢) هامش (٣).

فإن الفكر في الرب تقدح الشك في القلب"[١].

خامساً: إن العقول متفاوتة المدارك فلا يمكن الرجوع إليها في أمور العقائد.

سادساً: إنه يطلب من كل أحد من الإيمان بالعقائد الإسلامية ما يطيقه عقله وذلك إنعكاس لتفاوت العقول في الفهم فيتفاوت الناس في توجه الطلب والتكليف بحسب قدراتهم العقلية، يقول البربهاري: "والعقل مولود -أي مخلوق- أعطي كل إنسان من العقل ما أراده الله يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السماوات ويطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل"[٢].

سابعاً: إنه لاحكم للعقل بعد أن جاء الشرع وإن تحكيم العقل من أعظم أسباب البدع في الدين يقول البربهاري عن أسباب البدع: "وحملوا قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه وماخالف عقولهم ردوه فصار الإسلام غريباً والسنة غريبة وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم"[٣]، وعليه فلا حكم إلا للشرع.

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٢) (٣)، شرح السنة للبربهاري، (٣٧)، انظر أيضاً: الحجة في بيان المحجة (٢/٢٦).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٧)، انظر أيضاً في بيان المحجة (٢/٢٦).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٤١).

ثامناً: حرمة التكلم في باب الاعتقاد بالرأي بل يجب الوقوف مع النص حيث دار والسكوت عما سكت عنه فليس كل ما قبله العقل يقال به، يقول ابن مسعود: (يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم)[١].

وقال أبو علي الحسين بن الفضل البجلي لما سئل عن الاستواء: "أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا"[٢].

تاسعاً: إن ميزان صحة المعقولات هي الموافقة للكتاب والسنة قال في الحجة: "وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم وطلبوا الدين من قبلهما وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم عليه وإن وجدوه مخالفاً لهم تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم"[٣].

عاشراً: إن معرفة الله ومعرفة الرسل وجبت بالسمع دون العقل يقول اللالكائي: "فدل على أن معرفة الله والرسل بالسمع كما أخبر الله عزوجل وهذا مذهب أهل السنة والجماعة"[٤].

---

(١) رواه أبو إسماعيل الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(٥٨).

(٢) عقيدة السلف أهل الحديث، ص(١٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٩٦).

الحادي عشر: "إن العقل لا مجال له في إدراك الدين إذا كان منفرداً عن قرينة ولو كان للعقل مجال في الدِّين أن يدرك به الدين لكان العقلاء من الكفار لا يصرون على الكفر ويبصرون الدين القويم لاسيما كفار قريش الذين كانوا معروفين بوفور العقل وأصالة الرأي حتى وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: **﴿أَم تَأمُرُهُم أَحْلامهم بِهَذا﴾**[1]، أي: عقولهم، فدل أن العقل لا يهدي إلى الدين"[2]. وهذا إنكار منهم لوجوب النظر الذي يبنى عليه كثير من الخَلَف الإيمان با لله ورسوله.

الثاني عشر: إن إدراك العقل في أمور الدين إدراك إجمالي عام لا إدراك تفصيلي تام، ففي الحجة: "ولأن العقل لا مجال له في إدراك الدين بكماله وبالعلم يدرك بكماله"[3]، وأراد بالعلم علم الكتاب والسنة، وقال: "لأن العلم يستحسن أشياء في الدين ولا يردها شرعاً ويستقبحها العقل ويردها طبعاً".

٣ - في الفطرة.

ومن الأصول المنهجية في ذلك ما يلي[4]:

---

(١) سورة الطور: الآية (٣٢).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٥٠٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/٥٠٤).

(٤) انظر الحجة في بيان المحجة (٢/٣٤-٤٣)، وانظر: مجموعة الرسائل الكبرى (٢/٣٣٣-٣٤٩)، وانظر: ٨سورة.

أولاً: يؤمنون بأن الإنسان مولود على الفطرة وفقاً لقوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة)[1].

ثانياً: إن الفطرة هي دين الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿**فطرتَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا لاَتَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّم**﴾[2]، فبين سبحانه أن الفطرة هي الدين القيم وهو الإسلام.

ثالثاً: إن هذه الفطرة مرجحة للحق على الباطل والهدى على الضلال فإذا عرض عليها الحق أحبته ومالت إليه قال ﷺ فيما يروي عن ربه: (خلقت عبادي حنفاء فأجتالتهم الشياطين)[3]، وقال ﷺ: (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[4].

رابعاً: أن الحجة على الحق تقوم بإرسال الرسل لا بالفطرة، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً**﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ للنَّاس عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلْ**﴾[6]، فلا تكليف بناء على الفطرة، قال

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة، ج(٦٣).

(٢) سورة الروم: الآية (٣٠)

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب (٧٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب الجنة، ج(٦٣).

(٥) سورة الإسراء: الآية (١٥).

(٦) سورة النساء: الآية (١٦٥).

تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[١].

خامساً: إن إثبات كون الإسلام هو الفطرة لا يقتضي خلق علم ضروري في نفسه يجعله عالماً بالعقيدة، قال تعالى: ﴿وَا للهُ أَخْرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لا تَعْلَمُون شَيئاً﴾[٢]، فهو يولد ولا علم لديه بشيء.

سادساً: إن الإنسان لا يولد ساذجا خاليا من الكفر والإيمان والخير والشر بلا مرجح لأحدهما.

سابعاً: أن معرفة الصانع فطرية وقد تكون نظرية بالنسبة لبعض الناس التي تعتريهم بعض الشبهات.

ثامناً: إن المعرفة التامة للصانع لا تكون إلا بالسمع من جهة الرسول ﷺ فتفاصيل الإيمان با لله وعبادته وأسمائه وصفاته إنما تعلم بالنقل لا بالفطرة.

تاسعاً: إن معنى خلق المولود على الفطرة هو: "أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي أخذه ا لله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه"[٣].

---

(١) سورة الحشر: الآية (٧).

(٢) سورة النحل: الآية (٧٨).

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى (٢/٣٣٣،٣٣٤).

عاشراً: أنه لا تعارض ولا تناقض بين الفطرة وبين عقيدة القضاء والقدر لأن الله "وإن خلقه مولوداً سليماً، فقد قدَّر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وعلم ذلك"[1].

الحادي عشر: إن التربية الفاسدة من أهم الأسباب في صرف الإنسان عن فطرته كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة: (فأبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه)[2]، وجرى ذلك على الوالدين على الغالب وإلا فإن غير الوالدين من أولياء الطفل يكون لهم نفس الأثر.

الثاني عشر: أن موجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سَلِمَتْ عن المعارض، كما قال سبحانه: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾[3]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[4].

الثالث عشر: أنه "لا فرق بين حال الولادة وسائر أحوال الجنين فإنه من حين كان جنينا إلى ما لانهاية له من أحواله على ما سبق في علم الله"، "وليس إذا كان الله قد كتبه كافراً يقتضي أنه حين الولادة كافر

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٦٢).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٣٧٩).

(٣) سورة طه: الآية (٥٠).

(٤) سورة الأعلى: الآية (٢،٣).

بل يقتضي أنه لابد أن يكفر وذلك الكفر هو التغيير"[١].

٤- في الحس:

لقد جاءت آيات القرآن الكريم آمرة بالنظر إلى الأمور المحسوسة كما في قوله سبحانه: ﴿**أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾[٢]، وقال جل شأنه: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُم أَفَلاَ تبصرُون**﴾[٣]، كما أنها دلت وأرشدت إلى أخذ العبرة منه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ**﴾[٤]، فأمرت بالانتقال من الأمر المحسوس وهو حال المخاطبين وأنه سيصيبهم إن كذبوا مثل ما أصابهم.

ونوه بأهمية السمع والبصر في سياق الامتنان بهما فقال: ﴿**وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُون**﴾[٥]، لأن السمع والبصر أشمل أدوات الحس وأكثرها مجالاً.

وجرت السنة النبوية على ما جرى عليه القرآن الكريم من ضرب

---

(١) فراغ في الأصل درء تعارض العقل والنقل (٣٨٩/٨).

(٢) سورة الغاشية: الآية (١٧-٢٠).

(٣) سورة الذاريات: الآية (٢١).

(٤) سورة الحشر: الآية (٢).

(٥) سورة النحل: الآية (٧٨).

الأمثلة المحسوسة لما فيها من سهول التصوير وتقريب الفهم فقال ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)[١]، وقال ﷺ: (إنما مثل المؤمنين كرجل واحد إذا اشتكا عينه اشتكا كله وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله)[٢]، وعلى ما في الكتاب والسنة جرى عمل السلف الصالح.

فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة بسنده عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: (القلوب أربعة: قلب أجرد كأنما فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم فأيما غلب عليه غلبه)[٣].

"روي أنه خاصم جماعة من الدهرية أبا حنيفة -رحمه الله- فقال لهم ما تقولون في رجل يقول أنني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأثقال قد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها!! هل يجوز

---

(١) رواه ابن مندة بسند صحيح، الإيمان (٤٥٦/١) رقم (٣٢١).
(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة وأشار محققه إلى أن الشيخ الألباني حسنه موقوفاً، انظر: كتاب السنة (٣٧٧/١) برقم (٧٢٠).
(٣) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة وأشار محققه إلى أن الشيخ الألباني حسّنه موقوفاً، انظر: كتاب السنة (٣٧٧/١) رقم (٧٢٠).

ذلك في العقل؟! قالوا: لا هذا شيء لا يقبله العقل. فقال أبو حنيفة: "يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة يجري بها في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتبيان أكنافها من غير صانع وحافظ، فقالوا: صدقت، وتابوا"[١].

وسئل الشافعي رحمه الله الدليل على وجود الصانع قال: ورقة الفرصاد[٢] طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد تأكلها دودة القز فيخرج منها الأبريسم والنحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر ويأكلها الضباء فينعقد في نوافجها المسك فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد، قال الرازي: "فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده وهم سبعة عشر"[٣].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في بيان أن الله بصفاته إله واحد وذات واحدة، فقال: "فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجُمَّار واسمها اسم واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله -وله المثل الأعلى- بجميع صفاته إله

---

(١) دلائل التوحيد، ص(١٤٧)، القاسمي.

(٢) شجر التوت.

(٣) دلائل التوحيد، ص(١٤٧)، القاسمي، انظر: مناقب الإمام أبي حنيفة (١/١٥١)، للموفق ابن أحمد المكي.

واحد"[١]، وأنت ترى فيما تقدم مدى سهولة ما يستدلون به من المحسوس لأن الاستدلال كلما كان أوضح كلما كان إثبات الحقائق به أقوى وألزم للخصم بحيث لا يستطيع دفعه ولا يجد مناصاً عن التسليم به.

ثالثاً: بيان الآثار المترتبة على الاعتقاد الصحيح: وهم في هذا أسوة بالكتاب العزيز والسنة النبوية حيث أظهر أثر الاعتقادات الصحيحة في عدد من النصوص كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدوا زَادَهُم هُدَى وَآتَاهُم تَقْوَاهُمْ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وإذا تُلِيَتْ عَلَيهم آياتُه زَادَتْهُم إيْمَاناً﴾[٣]، وقال جل جلاله: ﴿فَمَن يرد ا للهُ أَن يَهْدِيهِ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ولَو أَنَّ أَهْلَ القُرى آمَنُوا واتَّقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٥]، وقال ﷺ: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله)[٦]، وقال ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له)[٧]، وقال: (لايزني رجل حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن، تحقيق الفقي، ص(٣٢)، من مجموع شذرات البلاتين.

(٢) سورة محمد: الآية (١٧).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٢٠).

(٥) سورة الأعراف: الآية (٩٦).

(٦) رواه البخاري (انظر الإيمان).

(٧) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان بسند صحيح (١٨)، رقم الحديث (٦) تخريجها الألباني.

وهو مؤمن)[١]، ومما ذكره السلف من آثار الاعتقاد الصحيح.

أولاً: التسليم بما جاءت به نصوص الوحيين الكتاب والسنة قال في كتاب العين والأثر: "أسلم الطرق التسليم فما سلم دين من لم يسلم لله ورسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه إلى عالمه ومن أراد علم ما يمتنع علمه وحجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فيتردد بين الإقرار والإنكار شاكاً زائغاً متحيراً لا مؤمنا صادقاً ولا جاحداً كاذباً ولامؤمنا محققاً"[٢].

ثانياً: قوة اليقين وعدم تطرق الشك إلى القلب، يقول البربهاري: "بل هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح ولا يقال لِمَ ولاكيف فالكلام والخصومة والجدال والمراء المحدث يقدح الشك في القلب وإن أصاب صاحبه الحق والسنة"[٣].

ثالثاً: الترفع عن البدعة في الدين والبعد عنها، قال أبو إسماعيل الصابوني: "يبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ولا يحبونهم ولايصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم

---

(١) رواه الشيخان وابن أبي شيبة، انظر: الإيمان رقم (٣٨،٧٢)، ص(٢٤،٣٢).

(٢) انظر: كتاب العين والأثر، ص(٥١)، لعبد الباقي الحنبلي.

(٣) السنة البربهاري، س(٢٤)، فقرة (٨).

التي إذا مرت بالآذان وقرت بالقلوب ضرت وجرت عليها من الوساوس والخُطات الفاسدة ما جرت"[١]، وقد بلغ من تشدد السلف في الترفع عن البدع والبعد عنها أن نهوا عن مجالسة أهلها مشيرين إلى الأثر السيء الذي يحصل بسببها قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلونهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ظلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون"[٢]، وقال عمرو بن قيس:

"كان يقال لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك"[٣]، وقال إبراهيم النخعي: "لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب وتسلب محاسن الوجه وتورث البغض في قلوب المؤمنين"[٤]، وقال الحسن البصري: "لا تمكن أذنيك من صاحب هوى فيمرض قلبك ولا تجيبن أميراً وإن دعاك لتقرأ عنده سورة من القرآن فإنك لاتخرج من عنده إلا بشر مما دخلت"[٥]، وقال الفضيل: "صاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس إليه ومن يجلس إلى صاحب البدعة أورثه

---

(١) عقيدة السلف أهل الحديث، ص(١٠٠).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٢/٤٣٥) رقم (٣٦٣،٣٦٤).

(٣) نفس المرجع (٢/٤٣٦) رقم (٣٦٦).

(٤) نفس المرجع (٢/٤٣٩) رقم (٣٧٥).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٥٦) رقم (١٥).

ا لله العمى يعني قلبه"[١]، وروى اللالكائي بسنده عن الزهري قال: "الاعتصام بالسنة نجاة"[٢].

رابعاً: النجاة من الإنحراف عن سبيل ا لله.

وذلك لأن الاعتقاد الصحيح هو سبيل ا لله، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُل فَتَفَرَّقَ بِكم عَن سَبِيلِهِ**﴾[٣]، والانحراف عن سبيل ا لله هو اتباع السبل والطرق المخالفة لما أمر ا لله به في الأصول والفروع، قال أبو العالية الرياحي: "تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينا ولا شمالاً وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء فرددها مراراً"[٤]، وقال عمر بن عبد ا لعزيز: "سن رسول ا لله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب ا لله عزوجل واستكمال لفرائض ا لله وقوة على دين ا لله من عمل بها مهتد ومن استنصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه ا لله ما تولى"[٥]، وقال أبو الدرداء:

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٤٣٥/٢) رقم (٣٦٣،٣٦٤).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٤٣٥/٢) رقم (٣٦٣،٣٦٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

(٤) الإبانة (٣٥٢/١) رقم (٢٣٠).

(٥) الإبانة (٣٥٢/١) رقم (٢٣٠).

"لن تضل ما أخذت بالأثر"[١]، وقال ابن سيرين: "الرجل ما كان على الأثر فهو على الطريق"[٢]، وهذا الآثار تصديق لقوله جل شأنه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحسن أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَسُولَ مِن بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّه مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[٤]، قال ابن بطة رحمه الله: " فرحم الله عبداً لزم الحذر واقتفى الأثر ولزم الجادة الواضحة وعدل عن البدعة الفاضحة"[٥].

خامساً: سلامة القلب من الغل والبغض لأهل السنة والجماعة.

وهذا يتضمن أن من أبغض أهل الحديث والآثار وتكلم بما يدل على تنقصهم فهو دليل على أنه صاحب بدعة. يقول أبو إسماعيل الصابوني رحمه الله: "وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها"[٦]، وقال: "وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة

---

(١) الإبانة (١/٢٥٣) رقم (٢٣٢).

(٢) الإبانة (١/٣٥٦) رقم (٢٤١،٢٤٢).

(٣) سورة النساء: الآية (٦٩).

(٤) سورة النساء: الآية (١١٥).

(٥) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (١/٣٦٥).

(٦) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١٠٨،١٠٩).

ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله"[(١)]، ويقول أبو محمد البربهاري: "وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن حضير فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله وإذا رأيت الرجل يحب أيوب وابن عون ويونس بن عبيد وعبد الله بن إدريس الأودي والشعبي ومالك بن مغول ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذ ووهب بن جرير وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ومالك بن أنس والأوزاعي وزائدة بن قدامة فاعلم أنه صاحب سنة وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل والحجاج بن المنهال وأحمد بن نصر وذكرهم بخير وقال قولهم فاعلم أنه صاحب سنة"[(٢)]، وروى الصابوني عن الحاكم أبا عبد الله الحافظ بسنده عن أحمد بن سنان القطان يقول: "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه"[(٣)]، وروى بسنده عن محمد بن إسماعيل الترمذي: "كنت وأحمد بن الحسن الترمذي عند إمام الدين أبي عبد الله أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال أصحاب الحديث قوم سوء فقال أحمد بن حنبل وهو ينفظ ثوبه يقول زنديق زنديق زنديق حتى دخل

---

(١) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١٠٨،١٠٩).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٢،٥٣).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١٠٢،١٠٣).

البيت"[١]، إذ بغضهم بغض لما هم عليه من الحق الذي حملوه للأمة وبلغوه.

سادساً: الاجتماع وعدم الفرقة في الدين:

وهذا هو ما دعى الله إليه عباده بقوله: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِين تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُم الْبَيِّنَات وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٣]، وقال ﷺ: (من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات فقد مات ميتة جاهلية)[٤]، وقال ﷺ: (الجماعة رحمة والفرقة عذاب)[٥]، وقد اقتفى السلف نصوص الكتاب والسنة فكانوا مجتمعين على اعتقاد واحد وهو ما كان عليه رسول الله وأصحابه ينقله سلفهم إلى خلفهم لا يختلفون فيه أبداً، وقال الأصفهاني في كتابه الحجة: "ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم من الديار

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١٠٢،١٠٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٥).

(٤) رواه ابن بطه في الإبانة وهو مما رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة رقم (٥٣)، انظر: الإبانة عن شريطة الفرق الناجية (١٨٢/١،٢٨٢).

(٥) رواه ابن بطه في الإبانة (٢٨٧/١)، وأشار محققه إلى أنه صحيح.

وسكون كل واحد فيهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجى على لسان واحد وهل على الحق دليل أبين من هذا"[1].

يقول أبو إسماعيل الصابوني: "وهذه الجمل اتيتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم لم يخالف بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها و لم يثبت من أحد منهم بما يضادها"[2]، وقال ابن بطة العكبري: "إلا من كان على طريق الاتباع واقتفى الأثر والانقياد للأحكام الشرعية والطاعة الديانية فإن أولئك من عين واحدة شربوا فعليها يردون وعنها يصدرون قد وافق الخلف الغابر للسلف الصادر"[3]، وقال ابن قدامة المقدسي: "وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف ﷺ كلهم يتفقون على الإقرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب ا لله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله"[4]، وإنما سموا جماعة لاجتماعهم على الحق علماً وعملاً فكان

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٤،٢٢٥).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١١١).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٦/٣٨٦).

(٤) لمعة الاعتقاد تحقيق الأرناؤوط، ص(١٥).

اشتقاق الجماعة عن اجتماعهم.

ثامناً: بغض أهل البدع والأهواء وذمهم لأن ذلك مقتضى الولاء والبراء قال ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"[(١)].

وهو مقتضى الإيمان بالله لأن المؤمنين أولياء الله كما قال سبحانه: **﴿ألاَ إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لاخَوفٌ عَلَيْهِم وَلاَهُم يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**[(٢)]، وقال سبحانه: **﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُم الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِن النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[(٣)]، وأهل البدع والأهواء لهم حظ من ولاية الشيطان بحسب بدعتهم وهواهم، قال أبو إسماعيل الصابوني: "ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه"[(٤)]، وقال البربهاري: "وإذا رأيت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد والمريسي أو ثمامة أو أبا هذيل وهشام الفوطي أو واحداً من اتباعهم وأشياعهم فاحذره فإنه صاحب بدعة وإن هؤلاء كانوا على الردة واترك

---

(١) انظر: الإيمان لأبن أبي شيبة، ص(٤٢) رقم (١١٠،١١١)، وصحح الألباني أنه موقوف على مجاهد وحسنه مرفوعاً من حديث ابن مسعود في المعجم الكبير للطبراني ، انظر: الإيمان، ص(٤٨) رقم (١٣٤).

(٢) سورة يونس: الآية (٦٢-٦٣).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٧).

(٤) عقيدة السلف، ص(١٠٠).

هذا الرجل الذي ذكرهم بخير"[١]، وقال الفضيل بن عياض: "من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عزوجل على محمد ومن زوج كريمته مبتدعاً فقد قطع رحمها ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط حتى يرجع"[٢]، وقال أيضاً: "إذا علم الله عزوجل من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له وإن قل علمه"[٣]،

رابعاً: إيضاح الفروق بين معاني الألفاظ العقدية وما يترتب على الخلط بينها من فساد عقدي وانحراف فكري عن جادة الحق الذي جاء به الرسول ﷺ وهم في ذلك يقتدون بكتاب الله حيث نص على الفرق بين الحق والضلالة في قوله سبحانه: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلال**﴾[٤]، وبين المسلم من المجرم في قوله سبحانه: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾[٥]، وبين المعروف والمنكر في قوله: ﴿**وَأمر بِالْمعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[٦]، ونحو ذلك مما هو مثبوت في كتاب الله وقد جاءت

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٥) فقرة (١١٧).

(٢) شرح السنة للبربهاري ص(٥٥) فقرة (١١٧).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٦٠،٦١) فقرة (١٣٠).

(٤) سورة يونس: الآية (٣٢).

(٥) سورة القلم: الآية (٣٥).

(٦) سورة لقمان: الآية (١٧).

السنة المطهرة بمثل ما جاء في كتاب الله ففرق ﷺ بين المؤمن والمهاجر فقال: "المؤمن من أمنه المسلمون على أموالهم وأعراضهم والمهاجر من هجر ما حرم الله عليه"، وفرق بين الإيمان والإسلام والإحسان، فقال ﷺ: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، والإسلام أن تشهد لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتأتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، ونحو ذلك مما هو منثور في الأحاديث النبوية.

ولم يخرج السلف في فروقهم عما في كتاب الله فإنهم فرقوا بين ما فرق الله ورسوله بينه من الألفاظ المتقدمة[1] وعلقوا بهذه الألفاظ ما علقه الله ورسوله بها من الأحكام ولم يطلقوا الاسم الكامل فيها إلا على من أتى بموجبات هذه الأسماء ومن كان له حظ من اسمين اطلقوا عليه من كل اسم ما يستحق فمن جمع الإيمان والفسق أطلقوا عليه من كل اسم ما يستحق فقالوا مؤمن فاسق فله من أسماء الحق ما يستحق وله من أسماء الباطل ما يستحق إلا أن يكون قد جاء من أسماء الباطل ما لا يبقى معه إيماناً كالكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الأكبر والفسق الأكبر ولازموا بين هذه الأسماء وما تقتضيه في الدنيا والآخرة من أحكام شرعية

---

(١) شرح الواسطية للهراس، ص(١٣٠، ١٣١)، طبعة الإفتاء، الفرقان، ص(٩٨، ١٠٩).

وأنماط خلقية يستلزمها من جهاد أو موالاة أو معاداة أو هجر ونحو ذلك كما قال سبحانه: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوت يُخْرِجُونهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلئِكَ أَصْحَابُ النَّارِهُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّة﴾[2]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِد الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلظ عَلَيْهِم وَمَأوَاهُم جَهَنَّم وَبِئْسَ الْمَصِيْر﴾[3].

فهم وسط في أسماء الدين بين من غلا فأخرج العاصي صاحب الكبيرة عن مسمى الإيمان وأوجب له الخلود في النار وبين من جعله مؤمناً كامل الإيمان لم تؤثر المعصية في إيمانه شيئاً وأوجب له الجنة على الإطلاق فقالوا هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته في الدنيا وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، وذلك لأن الله سمى صاحب الكبيرة مؤمناً في قوله سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾[4]، ولاشك أن قتال المؤمن من كبائر الذنوب وسماه فاسقاً فقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاءَكُم فَاسِقٌ

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص(١٦٢-١٦٥)، طبعة الإفتاء.

(٣) سورة التوبة: الآية (٩).

(٤) سورة الحجرات: الآية (٩).

بِنَبأٍ﴾(١)، فسمى الكذاب فاسقاً ولاشك في أن الكذب من كبائر الذنوب، ثم جعل الله أصحاب الذنوب تحت المشيئة ما لم يكونوا مشركين أو خارجين عن دين الإسلام بذنبهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢)، وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(٣)، وقد حرص السلف على بيان الفرق بين هذا الألفاظ لئلا يحصل الخلط بينها فيترتب عليه الخطأ العقدي فقد روى ابن منده بسنده عن عدد من السلف الفرق بين الإيمان والإسلام قال الزهري: "الإسلام هي الكلمة والإيمان العمل"، وروى أحمد بن حنبل عن منصور بن سلمة أن حماد بن زيد كان يفرق بين الإسلام والإيمان فيجعل الإيمان خاصاً والإسلام عاماً، قال ابن منده: "يعني أن معرفة الإيمان عند الله دون خلقه خاص له والإسلام عام قال: وكذلك قال الله عزوجل: ﴿وَمَن أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٤)، وقال عبد الملك الميموني سألت أحمد بن حنبل: أتفرق بين الإيمان والإسلام فقال لي: نعم، قلت له: بأي شيء تحتج فقال لي: قال الله عزوجل: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا

---

(١) سورة الحجرات: الآية (٦).

(٢) سورة النساء: (١١٦).

(٣) سورة النساء: الآية (١٤٥).

(٤) سورة فصلت: الآية (٣٣).

﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾[(١)]، قال ابن منده: "وقال بهذا القول جماعة من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن عباس والحسن ومحمد بن سيرين"، وقال ابن منده: "وقال أبو جعفر محمد بن علي ووصف الإسلام فدوّر دائرة واسعة فهذا الإيمان ودور دائرة صغيرة وسط الكبيرة فإذا زنا وسرق خرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر بالله عزوجل"[(٢)]، وخلاصة ما تقدم من الفرق بين الإسلام والإيمان من وجوه هي:

١- أن الإسلام هو النطق بالشهادتين والإيمان عمل اللسان والقلب والجوارح.

٢- أن الإيمان لا يعلم حقيقته إلا الله لأنه أمر باطن وأما الإسلام فهو أمر ظاهر فيعرف.

٣- أن الاستثناء يصح في الإيمان ولايصح في الإسلام.

٤- أن الإيمان يقبل الزيادة والنقص وأما الإسلام فيقبل الزيادة لكنه لا يقبل نقصاناً إلا الخروج عن الملة.

٥- أن دائرة الإيمان أخص من دائرة الإسلام والإسلام أعم من الإيمان.

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٤).

(٢) الإيمان لابن مندة (٣١١/١)، انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨١٢/٤،٨١٤،٨١٥).

خامساً: بيان الأصول العلمية لفهم الكتاب والسنة سواء كانت أصولاً لفظية أو أصولاً معنوية، وذلك أن الله أمر عباده بتدبر كتابه كما قال سبحانه: ﴿**لِيَدبَّرُوا آيَاتِه**﴾[1]، والتدبر وهو بذل الجهد والطاقة في فهم ما أراده الله من ألفاظ كتابة المدلول بها على مراداته سبحانه وذم من لم يتدبره ويفهم عن الله ما أراده من إنزاله فقال سبحانه: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبِهِمْ أَقْفَالُها**﴾[2]، ومدح عباده المؤمنين بحضور قلوبهم وأفهامهم عند قراءته قوله تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلى عَلَيهِم آيَاتُ الرَّحمن خَرُّوا سجَّدا وبكياً**﴾[3]، فقال: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيْماناً**﴾[4]، والسنة النبوية وحي من الله واجب الاتباع ولا اتّباع إلا بفهم وعلم كما قال ﷺ: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فأداها كما سمعها"، وكان من هديه ﷺ تكرار الكلام ثلاثاً حتى يفهم عنه، وقال ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[5]، والفقه فيه هو الفهم عن الله ورسوله ما أرادوا، ويمكن بيان أهم هذه الأصول بما يلي:

أولاً: بناء الفهم على التسليم لما يأتي في الوحيين من الأخبار، قال أبو

(١) سورة ص: الآية (٢٩).

(٢) سورة محمد: الآية (٢٤).

(٣) سورة مريم: الآية (٥٨).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٣٥).

القاسم الأصفهاني: "ومن مذهب أهل السنة أن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله... فعليه التسليم والتصديق والتفويض والرضا لا يتصرف في شيء منها برأيه وهواه من فرض ذلك شيئاً برأيه وهواه فقد أخطأ وضل".

ثانياً: أن لا تعارض بين الكتاب والسنة وبين العقل الصحيح المهتدي بهما وإنما يحصل التعارض بين النصوص والعقل الفاسد المملوء بالشبهات والعقائد المريضة.

يقول أبو القاسم الأصفهاني: "ولا تعارض: "ولا تعارض سنة النبي ﷺ بالمعقول لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد إلى ما يوجبه العقل لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة وأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل"[١].

ثالثاً: الرجوع في بيان نصوص الوحيين إليهما لأن ذلك بيان للوحي بالوحي وهما معصومان فبيانهما معصوم كذلك فإن لم يكن فبيان الصحابة ﷺ، لأنهم أعلم بلغة الوحي، ولأنهم الجيل الذي نزل القرآن في بيان أحكام حياتهم وعقائد قلوبهم فهم أقدر على فهمه من غيرهم ولأنهم تلقوا معانيه عن المصطفى ﷺ فإن لم يكن ففي بيان التابعين لأنهم تلاميذ الصحابة ولسلامة لغتهم من الدخيل فهم أقدر على فهمه ممن

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٥٠٩).

سواهم ولتلقيهم لمعانيه من الصحابة، قال مجاهد: "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات أسأله عن كل آية"[١].

رابعاً: أن نصوص الوحيين قد اشتملت على كل ما يصح أن يطلق عليه مسمى عقيدة وبناء على ذلك فلا يكون عقيدة إلا إذا نص عليه فيهما أو أحدهما أو ثبت الإجماع من الأمة على وجوب اعتقاده وهو لا يحصل إلا بناء على دليل، فرجع الأمر إلى نصوص الوحيين قال شارح الطحاوية: "فكل من طلب أن يحكم في شيء من أمور الدين غير ما جاء به الرسول ﷺ ويظن ذلك أحسن وأن ذلك يجمع بين ما جاء به الرسول ﷺ وبين ما يخالفه فله نصيب من ذلك بل ما جاء به الرسول ﷺ كاف كامل يدخل فيه كل حق"[٢]، وقال في موضع آخر: "فكيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول ﷺ"[٣].

خامساً: أن لا تحمل معاني نصوص الوحيين على رأي مبتدع مخترع فلا يجعل الرأي أصْلاً والنصوص فرعاً عنه بل نجعل النصوص هي الأصل وبها توزن الآراء وتصحح قال في الاتقال: "**رابعاً:** التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً فيحتال في التأويل حتى

---

(١) رواه البخاري.

(٢) شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي، ص(١٥)، طبعة أحمد شاكر.

(٣) شرح الطحاوية، ص(١٦).

يصرفه إلى عقيدته ويرده إلى مذهبه بأي طريق أمكن وإن كان في غاية البعد والغرابة"[١].

سادساً: أن لا يقولوا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ بلا علم ولا يتعدون ما تشابه عليهم بل يكلون علمه إلى الله ويؤمنون بموجبه على مراد الله ومراد رسوله وذلك لأن القول على الله بلا علم من أكبر الكبائر التي نهى الله عنها، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**[٢]، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لم يعلم إليه فقال تعالى: **﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**[٣]، وقال: **﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾**[٤]، وقد قال ﷺ لما سئل عن أطفال المشركين: (الله أعلم بما كانوا عاملين)[٥].

سابعاً: ولا يضربون كتاب الله وسنة رسوله بعضهما ببعض بل

---

(١) الإتقان (١٨٣/٢)، أصول التفسير للعكك، ص(٧٣)، انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٦٤/٥).

(٢) شرح الطحاوية لأبي الفرص (٣٣٢،٣٣٣). سورة الأعراف: الآية (٣٣).

(٣) سورة الكهف: الآية (٢٦).

(٤) سورة الكهف: الآية (٢٢).

(٥) شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي (٣٣٢،٣٣٣).

يؤمنون بكل ما ورد فيهما مع علمهم يقيناً أن كتاب الله لا ينقض بعضه بعضاً وأن سنة رسوله ﷺ كذلك وأن الكتاب والسنة لا يتعارضان ولا يتناقضان لأنهما وحي منزل من عند الله وما كان كذلك فلا يتعارض ولا يتناقض، ولذا لا يجادلون في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ فإن الله قد ذم الذين يعارضون بين آياته أو بينها وبين سنة رسوله ﷺ [١]، فقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مريد . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾[٣].

ثامناً: إن الاستدلال بالقرآن انما يكون على لغة العرب التي أنزل بها بل قد نزل بلغة قريش كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾[٤]، وقال: ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[٥]، فليس لأحد أن يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام واصطلاح خاص -بل لا

---

(١) شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي (٣٣٢،٣٣٣).

(٢) سورة الحج: الآية (٣،٤).

(٣) سورة غافر: الآية (٣٥).

(٤) سورة إبراهيم: الآية (٤).

(٥) سورة الشعراء: الآية (١٩٥).

يحمله إلا على معاني عنوها بها إما من المعنى اللغوي أو أعم أو معايراً له لم يكن أن يضع القرآن على ما وضعه هو بل يضع القرآن على مواضعه التي بينها الله عن خاطبه بالقرآن بلغته ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفاً للكلام عن مواضعه ومن المعلوم أنه ما من طائفة إلا وقد تصطلح على ألفاظ يتخاطبون بها"(١).

تاسعاً: أن لا ترد دلالة الكتاب والسنة على الفروع والأصول بدعوى معارضة المعقول أو النظر أو الكلام أو القياس العقلي بل إنَّ من ادعى ذلك فإن دعواه باطلة غير صحيحة ويعلم ذلك بطريقين:

أحدهما: كلي عام.

والثاني: تفصيلي خاص وهذا النوع لا يجب على كل أحد بل يعلمه بعض الناس دون بعض(٢)، قال ابن تيمية: "وأهل السنة الذين هم أهلها يردون ما عارض النص والإجماع من هذه"(٣).

عاشراً: إن نصوص الكتاب والسنة لا تأتي بما هو مُحَالٌ عقلاً ولكن قد تأتي بما تحار فيه العقول لضعف قدرة العقل عن إدراكه، لأنه مما لا يدخل تحت ما يمكن العقل العلم به(٤).

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤٩٢/١).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢٤٧/١).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢٤٨/١).

(٤) مختصر حوامع الأنوار، ص(٥٧).

الحادي عشر: إن دلالة القرآن على ما أراده ا لله من العقائد دلالة لا احتمال فيها بل هي نص فيما سيقت فيه إذ لو لم يكن كذلك لما صح الرد إليه عند التنازع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ا للهِ وَالرَّسُولِ﴾[(١)]، والرد إلى ا لله رد إلى القرآن الكريم والرد إلى الرسول رد للسنة النبوية[(٢)].

سادساً: بيان وجوب الالتزام بالكتاب والسنة لفظاً ومعنى وأسلوباً وهو ما يعبر عنه بالتوقيفية، وهي تدل على أمرين:

أولاً: أن الرسول ﷺ قد بين لنا عقائد القلوب كلها ولم يترك من ذلك شيئاً كما بين أحكام الحلال والحرام؛ لأن ذلك من لوازم التبليغ وأداء الأمانة، قال ﷺ: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء)، وقال عليه الصلاة والسلام: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)، فكل ما يستحق اسم عقيدة بينه وأظهره.

ثانياً: ألا نعبر عن العقائد إلا بلفظ ورد في كتاب ا لله أو سنة رسوله ﷺ، وذلك لأن الألفاظ القرآنية ذات معاني محددة المقصود وقد رتب عليها الشارع أحكاماً ملازمة لها فيحرم أن يلازم بين هذه الأحكام ولفظ لم يرد الشرع بذمه أو مدحه أو على معنى لم يرد الشرع بإثباته أو نفيه

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) انظر: توضيح الكافية الشافية، ص(   ).

بل لابد من التزام ألفاظ الكتاب والسنة ومعناهما والملازمة بين ذلك وأحكامه الشرعية ويدخل في معنى ذلك ما ورد عن السلف إذ لو لم يعلم لديهم من الشريعة صحت التعبير به لما فعلوه فليس أحد أعلم بالله ودينه بعد نبيه محمد ﷺ منهم ولأنهم كل الأمة فإذا أجمعوا على صحة التعبير كان إجماعهم حجة فيجب الوقوف حيث وقفوا والكف عما كف السلف عنه قال ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات والأمور فإن كل بدعة ضلالة)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فنحن نعلم أن كل حق يحتاج الناس إليه في أصول دينهم لابد وأن يكون مما بينه الرسول إذ كانت فروع الدين لا تقوم إلا بأصوله[1] فكيف يجوز أن يترك الرسول أصول الدين التي لا يتم الإيمان إلا بها لا يبينها للناس"[2]، وقال في موضع آخر: "وكل قول لم يرد لفظه ولامعناه في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة فإنه لا يدخل في الأدلة السمعية ولا تعلق للسنة والبدعة بموافقته ومخالفته فضلاً أن يعلق بذلك كفر وإيمان وإنما السنة موافقة الأدلة الشرعية والبدعة مخالفتها.

وقد يقال عما لم يعلم أنه موافق لها أو مخالف: إنه بدعة إذ الأصل أنه ما لم يعلم أنه من الشرع فلا يتخذ شريعة وديناً فمن عمل عملاً لم يعلم

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٣٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٤).

أنه مشروع فقد تذرع إلى البدعة وإن كان ذلك العمل تبين له فيما بعد أنه مشروع وكذلك من قال في الدين قولاً بلا دليل شرعي فإنه تذرع إلى البدعة وإن تبين له فيما بعد موافقته للسنة"[١].

وقد تكاثرت الآثار عن السلف في وجوب الالتزام بالكتاب والسنة لفظاً ومعنى وأسلوباً وسياقاً وطريقة استدلال.

"ذكر أصحاب أبي حنيفة عن أبي يوسف عن أبي حنيفة قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله بشيء من رأيه لكنه يصفه بما وصف به نفسه"[٢].

وقال الشافعي بعد كلام له في ذم أهل الكلام: "يقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة"[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "لا يتجاوز القرآن والحديث"[٤].

وروى الآجري بسنده عن مالك بن أنس ﷺ إذ ذكر عنده الزائغون في الدين يقول قال عمر بن عبد العزيز ﷺ سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها اتباع كتاب الله عزوجل واستكمال لطاعة

(١) مجموعة تفسير ابن تيمية للشيخ عبد الصمد شرف الدين، ص(٣٨٧-٣٨٩).
(٢) مجموعة تفسير ابن تيمية للشيخ عبد الصمد شرف الدين، ص(٣٨٧-٣٨٩).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٤).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٤).

الله وقوة على الدين ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، ومن اهتدى بها فهو المهتد ومن انتصر بها فهو المنصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً"(١).

قال الآجري: "ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلاً يقول قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء فعارض إنسان جاهل فقال لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله عزوجل قيل له: أنت رجل سوء وأنت ممن حذرنا منك النبي ﷺ وحذر منك العلماء"، وبناء على ذلك يكون استعمال أي لفظ خارج عن ألفاظ الكتاب والسنة واستعمالها فهو لفظ مبتدع ويكون الابتداع في الألفاظ على ثلاثة أنواع:

الأول: ابتداع في اللفظ بأن لا يكون مستعملاً شرعاً.

الثاني: ابتداع في الدلالة بأن يكون معناه الوضعي شرعاً أو لغة حقاً فيصطلح على دلالته على باطل أو العكس.

الثالث: ابتداع استعمال بأن يكون اللفظ ودلالته حقاً فيستعمل في أسلوب باطل أو العكس.

فمثال الأول: استعمال لفظ التحيز والجهة والتركيب ونحوها.

---

(١) الشريعة، ص(٤٨، ٤٩).

ومثال الثاني: استعمال لفظ العدل في خلود أهل الكبائر في النار ولفظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الخروج على أئمة العدل من المسلمين وشق عصا الطاعة عليهم ومثال الثالث: كاستعمال قوله تعالى: ﴿لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ﴾[1]، دليلاً على التمانع في الربوبية وهو في الحقيقة دليل على التمانع في الألوهية والآية تدل عليه من وجوه منها التعبير بلفظ الإله دون لفظ الرب كما أن متعلق توحيد الربوبية الخلق وقد حصل وانتهى وبقي متعلق الألوهية وهو الفساد ولا فساد إلا بعد الوجود، وأما قبل ذلك فلا فساد.

وبذا يعلم صِحَة ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "أن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله وصفاته وأفعاله ولا يأتون بلفظ مبتدع في النفي والإثبات بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول ﷺ"[2].

السابع: إبطال التأويل في نصوص الشريعة وبيان آثاره على الأمة المحمدية والمراد بالتأويل الذي نص السلف على إبطاله هو التأويل في عرف المتأخرين، وهو (صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح)[3]، يقول ابن تيمية: " وهذا لا يوجد الخطاب به إلا في

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٢).

(٢) شرح حديث النزول، ص(٧٩).

(٣) كتاب الصفدية (١/٢٨٩)، النفائس، ص(٢٧ وما بعدها).

اصطلاح المتأخرين"[١].

وأما السلف فإن التأويل عندهم له معنيان هما:

أولاً: التأويل بمعنى التفسير وهو ما يعنيه أمثال الطبري والبغوي وغيرهما من مفسري السلف إذا قالوا تأويل الآية كذا وكذا.

ثانياً: التأويل بمعنى ما يؤول إليه الشيء ويرجع وهو حقيقته وماهيته التي يوجد عليها في الواقع فتأويل ما في اليوم الآخر من الجنة والنار ونحوها وقوع مدلول ما أخبر الله به ورسوله ﷺ كما أخبرا عنه، وبناء على هذين المعنيين فسروا التأويل في قوله سبحانه: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾[١]، فمن قال التأويل في الآية بمعنى التفسير وقف على قوله (العلم) ومن قال التأويل هو الحقيقة الواقعة وفق ما أخبر الله ورسوله ﷺ وقف على لفظ الجلالة (الله) فعلى القول الأول كان المتشابه هو ما لا يعلمه إلا العلماء وعلى القول الثاني يكون المتشابه مالا يعلمه إلا الله فلا سبيل إلى العلم به لا لنبي مرسل ولا للملكِ مقرب ولا لأحدٍ من الناس"[٢].

وأما المتأخرون فظنوا أن التأويل المراد في الآية هو التأويل بمعناه عندهم وبناء على ذلك فسروا المشتابه بما يحتمل أكثر من معنى، والواجب علينا

(١) سورة آل عمران: الآية (٧).

(٢) كتاب الصفدية (٢٨٨/١)، النفائس، ص(٢٦، ٢٧ وما بعدها) وأيضاً (٤١).

أن نحمله على معنى يوافق عقولهم وآراءهم بحسب ما تدل عليه اللغة العربية فأعملوا عقولهم في صرف النصوص عن مراد الله ومراد رسوله ﷺ بشتى الطرق من استعمال الغريب من اللغة والأساليب، قال ابن تيمية: "وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ولكن قصد بها معاني و لم يبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها لكن أراد أن ينظروا ليعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده: امتحانهم وتكليفهم واتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرفوا الحق من غير جهته"[(١)].

هذا وأهل التأويل يجعلون ظاهر نصوص الكتاب والسنة هو الباطل لذا يحتاجون إلى تأويلها وصرفها عن معانيها المرادة في الكتاب والسنة كما إنهم "يدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ويدعون أن ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ويصرفونه إلى معانٍ هي نظير المعاني التي نفوها عنه فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفي مثله وإن كان المنفي باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله"[(٢)]، وهذا التأويل نوع من التحريف

(١) النفائس، ص(١٠٦).
(٢) النفائس، ص(٤٥).

كما قال سبحانه: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[١]، وهؤلاء المؤولة على قسمين:

القسم الأول: منكرة الصفات وبعض العقائد كالرؤية وعذاب القبر ونحوه وهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن تبع طريقتهم وهم مؤولة في باب العقائد.

القسم الثاني: منكرة الشرع جملة وتفصيلاً ممن ينتسب إلى الإسلام وهم الإسماعيلية والقرامطة والفلاسفة ومن نحى نحوهم ممن يتأولون نصوص الحلال والحرام ونصوص العقائد بلا فرق بينهما[٢] ويدل على ذلك قول بعضهم:

"للقرآن[٣] ظاهر وباطن والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر والمتمسك بظاهره معذب بالشقشقة في الكتاب وباطنه مؤدٍ إلى ترك العمل بظاهره وتمسكوا في ذلك بقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[٤]، ومرادهم من ذلك إبطال الشرع حيث كتب عبيد الله بن

(١) سورة المائدة: الآية (١٣).

(٢) النفائس، ص(١٠٣).

(٣) التفسير والمفسرون (١١٢/٣).

(٤) سورة الحديد: الآية (١٣).

الحسن القيرواني إلى سليمان بن الحسن بـن سعيد الجنـابي رسـالة طويلـة جـاء فيهـا "وإنـي أوصيـك بتشـكيك النـاس في القـرآن والتـوراة والزبـور والإنجيل وتدعوهم إلى إبطال الشرائع وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور وإبطال الملائكة في السماء وإبطال الجن في الأرض وأوصيـك أن تدعوهـم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك علـى القـول بقدم العـالم"[(١)]، ومـن أمثلـة تـأويلهم "الوضـوء عبـارة عـن مـوالاة الإمـام والتيمم هو الأخـذ مـن المـأذون عنـد غيبـة الإمـام الـذي هـو الحجـة"[(٢)]، "وتأولوا أنهار الجنة فقالوا: ﴿وَأَنْهَارٌ مِن لَبَنٍ﴾[(٣)] أي: معادن العلـم اللـبن العلم الباطن يرتفع به أهلها ويتغذون به تغذياً تدوم به حياتهم اللطيفة فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم"[(٤)].

هذا وقد كان من آثار التأويل الأمور التالية:[(٥)]

أولاً: نسبة كلام الله ورسوله إلى العي وعدم الفصاحة.

ثانياً: تحميل كلام الله ورسوله للمعنى الباطل.

---

(١) التفسير والمفسرون (١١٢/٣).

(٢) نفس المرجع السابق (١١٢/٣،١١٣).

(٣) سورة محمد: الآية (١٥).

(٤) كذا بالأصل التفسير والمفسرون (١١٢/٣،١١٣).

(٥) قارن موقف الإمام ابن تيمية من قضية التأويل، ص(١٨١).

ثالثاً: نفي المعنى الحق الذي يدل على النص من الكتاب والسنة.

رابعاً: عزل نصوص الكتاب والسنة والإحالة على العقل لدخول الاحتمال في نصوص الكتاب والسنة.

خامساً: إن الرسول تكلم بخلاف الحق.

سادساً: إن الرسول لم يبين الحق و لم يظهره ظهوراً ينقطع به النزاع.

سابعاً: إن القرآن الكريم ليس بيناً ولا واضحاً ولا دال على هدى ورشاد.

ثامناً: القدح في بلاغ الرسول ﷺ فهو لم يبلغ البلاغ المبين.

تاسعاً: القدح في دين الإسلام لأن كمال الدين يعني أن يبلغ بحيث لا يبقى منه ما هو مجهول للأمة والمؤولة تدعي أن مراد الله لا يظهر من إطلاق لفظه.

عاشراً: أنه فتح للمتكلمين باب التأويل وأوجد المدخل لطوائف الباطنية وغيرهم من أعداء الإسلام للطعن في الدين وتغيير الشريعة.

الحادي عشر: إنه من أسباب وقوع النزاع بين الأمة وظلم بعضها بعضاً هذا "وكان السلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله ورسوله التي هي من نوع تحريف الكلم عن مواضعه فكانوا ينكرون التأويل الباطل الذي هو التفسير الباطل كما ننكر قول من فسر كلام

المتكلم بخلاف مراده وقد ينكرون من التأويل الذي هو التفسير مالا يعلم صحته فننكر الشيء للعلم بأنه باطل أو لعدم العلم بأنه حق ولا ينكرون ترجمة الكلام لمن لا يحسن اللغة وربما أنكروا من ذلك ما لايفهمه المستمع أو ما تضره معرفته كما ينكرون تحديث الناس بما تعجز عقولهم عن معرفته أو بما تضرهم معرفته[١] كما قال علي ﷺ: (حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)، وقال عبد الله ابن مسعود: (ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم)، وقد أجمع السلف على ذلك وممن حكى إجماعهم القاضي أبو يعلى في كتاب إبطال التأويل حيث قال: "لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من سائر الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ما روي عن الإمام أحمد، وسائر الأئمة، وذكر بعض كلام الزهري ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي...". إلى أن قال: "ويدل على إبطال التأويل أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة"[٢].

---

(١) كتاب الصفدية (١/٢٩٢).

(٢) النفائس، ص(١٤٦).

وقال الجويني في الرسالة النظامية: "الذي نرتضيه رأياً وندين الله تعالى به عقداً هو اتباع سلف الأمة فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها ويعلم الناس ما يحتاجون إليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر سائغاً لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب"، وقال الإمام ابن الصلاح: "وعلى هذه الطريقة صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها"[١].

قال الشيخ مرعي الكرمي: "قلت وهذا القول هو الحق وأسلم الطرق فإنك تجد كل فريق من المتأولين يخطّيء الآخر ويرد كلامه ويقيم البرهان على صحة قوله ويعتقد أنه هو المصيب وغيره هو المخطئ ومن طالع كلام طوائف المتكلمين والمتصوفين علم ذلك علم اليقين"، قال ابن تيمية: "ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ المئين أو ألوفاً ثم ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة لا من

(١) أقاويل الثقات، ص(٦٦).

الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً"[١]، وقد بين ابن تيمية حقيقة قول المؤولة وما يؤول مذهبهم مما يدل على بطلانه حيث قال: "فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطالبوا معرفة الله عزوجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً من الكتاب ولا من السنة ولا طريق سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به -سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن- ومالم تجدوه مستحقاً في عقولهم فلا تصفوه به"[٢]، وهذا يدل على مدى جناية المؤول على نصوص الكتاب والسنة ومدى ما عنده من التناقض ومحاولته لإبطال دلالة النصوص على مرادات الله ورسوله مما يؤول بنا إلى عدم الاحتكام لها وعدم رد المنازعات إليها ومما ينتهي بنا إلى إبطال الشريعة وعدم التحاكم إليها، فيرجع الأمر إما إلى التكذيب بما جاء به الرسول ﷺ أو الإنكار أن يكون الرسول قد جاء بالهدى والحق من ربه بل ما ثم وحي ولا شرع وهذا من أبطل الباطل وما لزم منه الباطل فهو التأويل الباطل.

الثامن: رفض الفكر اليوناني والمنهج الكلامي في تقرير العقيدة، وهما

---

(١) النفائس، ص(٩٤).

(٢) النفائس، ص(٩٥).

عند السلف طريقان منحرفان في باب الاعتقاد وهو ما يتبين من ذكر أهم القواعد والأسس التي اعتمد عليه كل واحد منهما:

أولاً: قواعد الفلاسفة اليونانيين في العقيدة -ونريد بهم ما يشمل من سلك طريقهم من المنتسبة للإسلام كابن سينا والفارابي وغيرهما، وقد ذكر الغزالي ثلاثة أصول هي موجبة لكفرهم وهي[١]:

أ - قولهم بقدم العالم.

ب- إنكارهم علم الله بالجزئيات.

جـ- إنكارهم بعث الأجساد وحشرها وقد ذكر ابن تيمية أصولاً أخرى هي[٢]:

١- إنكارهم للنبوات والمعجزات.

٢- إنكارهم للملائكة والجن ويقولون أن الملائكة هي العقول العشرة.

٣- أنه لا يقدر أن يغير العالم.

٤- إنكارهم للشفاعة فيقولون: "إذا توجه المستشفع إلى من يعظمه من الجواهر العالية كالعقول والنفوس والكواكب والشمس والقمر وإلى النفوس المفارقة مثل بعض الصالحين فإنه يتصل بذلك المعظم بذلك

---

(١) انظر: تهافت الفلاسفة (٣٠٧،٣٠٨).

(٢) الرد على المنطقين، ص(٩٨، ١٠٠،١٠٢،١٠٣،١٠٤،١٠٦،٢٧٥).

المستشفع به فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على هذا المستشفع من جهة شفيعه"[١]، ويقولون: "إن من يستشفع به لا يدعون الله لنا بشيء والله لا يعلم دعاءنا ولا دعاءه ولا يسمع نداءنا ولا نداءه بل ولا يعرف بنا ولا نراه ولا يعرف"[٢]، ومبنى هذا على نفي علمه بالجزئيات.

٥- إنكارهم للشياطين وهي عندهم القوى الخبيثة.

٦- إنكار الصفات حيث يقولون عن: "الواحد الذي يصفون به واجب الوجود أنه مجرد عن جميع الصفات الثبوتية ليس له حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام ويقولون مع ذلك هو عاقل ومعقول وعقل ولذيذ وملتذ ولذة وعاشق ومعشوق وعشق ويقولون أن كل صفة من هذه الصفات هي الموصوف والعلم هو العالم واللذة هي الملتذ والعشق هو العاشق"[٢]، "ثم بنوا هذا على أن الواحد لا يكون فاعلاً وقابلاً لأن ذلك يستلزم التركيب وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد لأن صدور اثنين يقتضي تعدد المصدر فمصدر [ج] غير مصدر [ب] وذلك يستلزم التركيب الممتنع فمدار كلامهم في التوحيد والصفات على لفظ التركيب"[١].

---

(١) نفس المرجع.

(٢) الرد على المنطقيين، ص(٩٨،١٠٠،١٠٢،١٠٣،١٠٦،٢٧٥).

٧- إنكارهم للوحي إلى الأنبياء والرسل، وأن ما جاءت به الأنبياء من جنس الخطاب التي قصد بها خطاب الجمهور لم يقصد به تعريف الحقائق هذا في الأمور العلمية... وأما العمليات فيقولون أن الأنبياء لم يذكروا حقائق في معرفة الله والمعاد وإنما أخبروا الجمهور بما يتخيلونه في ذلك لينتفعوا به في إقامة مصلحة دنياهم لا ليعرفوا بذلك الحق ويقولون أنهم أرادوا بخطابهم للناس أن يعتقدوا الأمور على خلاف ما هي عليه وهي من جنس الكذب لمصلحة الناس وهم يعلمون هذه المرتبة ثم النبي عندهم هل يعرف الأمور العلمية فيه نزاع بعضهم"[(١)]، ويعتقدون أن شيوخهم أفضل من الأنبياء وأعلم بالعقائد منهم يقول ابن تيمية: "وأما في الكلام وأصول الدين مثل مسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوات والمعاد فلا يلتزمون موافقة هؤلاء، بل قد يجعلون شيوخهم المتكلمين أفضل منهم في ذلك"[(٢)]، "وهم إن عظموا الأنبياء ونواميسهم فلأجل أنهم أقاموا قانون العدل الذي لا تقوم مصلحة العالم إلا به ويوجبون طاعة الأنبياء والعمل بنواميسهم وهي الشرائع التي جاؤوا بها ولكن عندهم لم يأتوا بالأمور العلمية بل بالعمليات النافعة: "والعلميات عندهم إما أن تكون التي علمها وما أمكنه إظهارها بل أظهر ما يخالف الحق عنده لمصلحة الجمهور، وإما

---

(١) نفس المرجع، ص(٤٤١،٤٤٢،٤٤٣،٤٤٤).

(٢) الرد على المنطقيين، ص(٤٤١،٤٤٢،٤٤٣،٤٤٤).

أنه لم يعلمها وإلا فهم يجوزون للرجل أن يتمسك بأي ناموس كان ولا يوجبون اتباع نبي بعينه -لا محمد ولا غيره- إلا من جهة اتباع مصلحة دنياهم بذلك لا لأنه يعذب في الآخرة على مخالفة شريعة محمد أو غيره"[١]، "فالنبي عندهم يشبه من بعض الوجوه أئمة المذاهب عند المتكلمين كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل..."[٢]، "فالنبي عند هؤلاء الفلاسفة يشبه المجتهد المتبوع عند المتكلمين"[٢].

٨- إن النبوة مكتسبة تنال بكثرة العبادة والطاعة يقول ابن تيمية: "ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة وصار كثير منهم يطلب أن يؤتى مثل ما أوتي رسل الله وأن يؤتى صحفاً منشرة كما طلب ذلك غير واحد في زماننا وكما طلبه السهروردي المقتول، وابن سبعين وغيرهما، وسبب ذلك أن هذه النبوة التي أثبتوها أمرها من جنس مقامات الناس ولهذا كان عمدتهم في إثبات النبوة هو المنامات"[٢]، "ولما أراد ابن سينا وأمثاله أن يقرروا ذلك قالوا: التجربة والقياس مطبقان على أن النفس الإنسانية تنال من الغيب نيلاً ما وقرروا ذلك بأن معرفة المغيبات في النوم ممكنة فوجب أن تكون أيضاً في اليقظة ممكنة والمقدمة الأولى معلومة بالتجربة والتواتر، وأما الثانية فهو أنه لما صح

---

(١) نفس المرجع.

(٢) الرد على المنطقيين، ص(٤٨٣،٤٨٤).

ذلك في النوم لم يمكن القطع باستحالته في اليقظة... قلت فهذه المقدمة التي بنوا عليها معرفة الغيب للأنبياء وغيرهم[1] وقد رد ابن تيمية قولهم هذا فقال: "فما ادعوه من أن الرؤيا قد يحصل بها معرفة المغيبات حق وهذا يحتج به على من ينكر هذا الجنس مطلقاً ولكن لا نجعل النبوة كلها من هذا الجنس فمن الباطل ما ادعوه في النبوة وفي كيفيتها حيث زعموا أنه ليس هناك ملك حي يأتي بالوحي من الله ولا لله كلام يتكلم به يسمعه الملك فينزل به ولا يعرف الله جزئيات الأمور حتى يكتبها عنده أو حتى يخبر بها الملك والملك يخبر بها النبي أو يخبر بها النبي ابتداء"...، فإنهم جعلوا خواص النبوة نوعين القوة العلمية التي ينال بها العلم إما بواسطة القياس المنطقي وإما بواسطة التجرد الذي هو كتجرد النائم حتى تتصل بالنفس الكلية، والثاني القوة العلمية وهو أن تكون نفسه قوية في التصرف في هيولى العالم بحيث تحدث بها عجائب والنوع الأول يتضمن أمرين أحدهما معرفة العلوم الكلية بالقياس المنطقي، والثاني معرفة الجزئيات بهذا الاتصال ثم الخيال يصور المعقولات في الصور المناسبة لها وينقشها الحس المشترك فيرى الإنسان في باطنه صوراً ويسمع أصواتاً وتلك الصور عندهم ملائكة الله وتلك الأصوات كلام الله"[1].

٩- إنكارهم لاتصافه بصفات الفعل وذلك بناء على إنكارهم لعموم

---

(١) الرد على المنطقيين، ص(٤٨٦، ٤٨٧).

صفات الرب جل جلاله وذلك نتيجة لقولهم: "إن الحوادث التي تحدث لا محدث لها، لأن العلة التامة القديمة مستلزمة لمعلولها لا يمكن أن يحدث عنها شيء"، وقد أنكروا تبعاً لذلك أن يكون له حكمة في خلقه وفي فعله، قال ابن تيمية: "وحقيقة قولهم إن أفعاله ليس فيها حكمة وعاقبة محمودة لأنهم ينفون الإرادة ويقولون: ليس فاعلاً مختاراً ومن نفى الإرادة كان نفيه للمراد المطلوب بها الذي هو الحكمة الغائبة أولى وأحرى"[١].

١٠- إنكارهم لصفة الكلام وهو من نتيجة نفيهم لصفات الله حيث قالوا: "إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الزكية بحسب استعدادها فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه... وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوى الخيالة الوهمية، قالوا: وربما قويت هذه القوة على أسماع ذلك الخطاب لغيرها وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع خطابهم وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج"[٢]، وحقيقة هذا أن الله لم يكلم الرسول بشيء ولا أوحى له بشيء وإنما هو الوهم والتخيل[٣]، يقول ابن القيم

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٣٣٠).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٢٨٨).
(٣) الرد على المنطقيين، ص(١٠٠).

رحمه الله: "وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك فإنه ما قال شيئاً ولا يقول ولا يجوز عليه الكلام ومن تقرب منهم من المسلمين يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصور تلك المعاني وتشكلت في نفسه بحيث توهمها أصواتاً تخاطبه وربما قوي الوهم حتى يراها أشكالاً نورانية تخاطبه وربما قوي ذلك حتى يخيلها لبعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج"(١).

١١- إنكارهم للأحاديث المتواترة والتكذيب بدلالتها على أمور العقائد، يقول ابن تيمية: "ومن هذا الباب إنكار كثير من أهل البدع والكلام والفلسفة لما يعلمه أهل الحديث والسنة من الآثار والنبوية والسلفية والمعلومة عندهم -بل المتواترة عندهم عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان- فإن هؤلاء يقولون إن هذه غير معلومة لنا"، كما يقول من يقول من الكفار إن معجزات الأنبياء غير معلومة لهم وهذا لكونهم لم يطلبوا السبب الموجب للعلم بذلك وإلا فلو سمعوا ما سمع أولئك وقرأوا الكتب المصنفة التي قرأها أولئك لحصل لهم من العلم ما حصل لأولئك"(٢).

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/٢٦٢).

(٢) الرد على المنطقيين، ص(١٠٠).

١٢- إنكارهم لليوم الآخر يقول ابن القيم رحمه الله: "وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون بانفطار السموات وانتشار الكواكب وقيامه الأبدان ولا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وأوجد هذا العالم بعد العدم"[(١)].

١٣- امتناع عدم الروح قال الفخر الرازي: "اتفقت الفلاسفة على امتناع عدم الروح"[(٢)].

هذا ونسبة هذا الفكر إلى اليونان هو معبر عن كونه فكراً دخيلاً على الأمة المحمدية نتيجة لغزو خارجي من الأمم الأخرى على أهل الإسلام أو داخلي قام به عدو للإسلام أو مغفل يظن أن ذلك مما ينفع المسلمين وأنى يكون لهذا الفكر الوثني أن يتجانس وما عليه أهل الإسلام والتوحيد يقول ابن تيمية رحمه الله: "ثم إن أصل هذه المقالة -التعطيل للصفات- إنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين"، "فهذه أسانيدهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضَّالّين وهم إما من الصابئين وإما من المشركين، ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم ولما كان حدود المائة الثالثة انتشرت

(١) إغاثة اللهفان (٢/٢٦٢).

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص(٣٣٤).

هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته"[١]، ثم قال: "فإذا كان أصل هذه المقالة -مقالة التعطيل والتأويل- مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن -بل نفس عاقل- أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين"[٢]، وقد بين ابن القيم خطورة مذهب الفلاسفة ومدى تأثيره على الأمم عموماً وأمة الإسلام خصوصاً فقال: "وبالجملة فملاحدتهم هم أهل التعطيل المحض فإنهم عطلوا الشرائع وعطلوا المصنوع عن الصانع وعطلوا الصانع عن صفات كماله وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له وبه فعطلوه عن مبدئه ومعاده وعن فاعله وغايته ثم سرى هذا الداء منهم في الأمم وفي فرق المعطلة"[٣]، ولذلك كله هجر السلف طريقهم وأنكروه وحذروا الأمة المحمدية من سلوك طريقه وهي التي كان يسميها السلف مقالة الجهمية، والذي هيأ المتكلمون لانتشارها عن طريق تبني بعض أفكارها.

ثانياً: الأصول والأسس التي بنى المتكلمون مذهبهم عليها.

---

(١) النفائس، ص(٩٨،٩٩).

(٢) إغاثة اللهفان، ص(١٠١).

(٣) المرجع السابق (٢/٢٦٨).

والمراد بالمتكلمين هم أرباب البدع من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ومن نحا نحوهم، وأصولهم الكبرى هي:

أولاً: التأويل لنصوص الكتاب والسنة بأنواع المجازات وأساليب اللغات حتى يحصل التوفيق بين المنقول والمعقول وذلك لأن الأحكام العقلية قطعية ودلالة المنقول ظنية وبناءً عليه يجب تقديم المعقول على المنقول وحمل المنقول على معنى يوافق المعقول يقول الفخر الرازي: "الدليل إما أن يكون مركباً من مقدمات كلها عقلية وهو موجود أو كلها نقلية وهذا محال لأن إحدى مقدمات ذلك الدليل هو كون ذلك النقل حجة ولا يمكن إثبات النقل بالنقل أو بعضها عقلي وبعضها نقلي وذلك موجود ثم الضابط أن كل مقدمة لا يمكن إثبات النقل إلا بعد ثبوتها فإنه لا يمكن إثباتها بالنقل، وكل ما كان إخباراً عن وقوع ما جاز وقوعه وجاز عدمه فإنه لا يمكن معرفته إلا بالحس أوالنقل وما سوى هذين القسمين فإنه يمكن إثباته بالدلائل العقلية والنقلية"[1].

ثانياً: هو ما قرره الفخر الرازي بقوله: "قيل الدلائل النقلية لا تفيد اليقين لأنها مبنية على نقل اللغات ونقل النحو والتصريف وعدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم الإضمار وعدم النقل وعدم التقديم والتأخير وعدم

(١) معالم أصول الدين للفخر الرازي، ص(٢٥)، انظر: معناه محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي، ص(٧١،٧٢).

التخصيص وعدم النسخ وعدم المعارض الفعلي وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم والموقوف على المظنون مظنون وإذا ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية والظن لا يعارض القطع"[١].

ثالثاً: ونتيجة للأصلين المُتَقَدمين اثبتوا بناء عليها أصلاً ثالثاً وهو الغلو والإفراط في تحكيم العقل ورد نصوص الشريعة به بناء على قطعية المعقولات وظنية المنقولات وفرض معارضة العقل للشرع وقد بين ابن تيمية فساد هذا من وجوه كثيرة ومن ذلك قوله: "وإذا قالوا إن العقل يخالف النقل أخطأوا في خمسة أصول:

أحدهما: أن العقل الصريح لا ينقاضه.

الثاني: أنه يوافقه.

الثالث: أن ما يدعونه من العقل المعارض ليس بصحيح.

الرابع: أن ما ذكروه من المعقول المعارض هو المعارض للمعقول الصريح.

الخامس: أن ما أثبتوا به الأصول لمعرفة الباري وصفاته لايثبتها بل يناقض إثباتها"[٢].

---

(١) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٧٩).

(٢) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٧٩).

رابعاً: إنكار قيام صفات فعل بالرب عزوجل بل الفعل هو عين المفعول ويعبرون عن ذلك بنفي حلول الحوادث في الذات الإلهية وتحرير دعواهم أنهم قالوا: "فإنه لو قام به فعل يتعلق بمشيئتِهِ للزم تعاقب الأفعال ودوام الحوادث"[(١)]، ويسمون الصفات الفعلية إعراضاً أوحوادث.

خامساً: إن القرآن الكريم الموجود في المصاحف ليس كلام الله بل هو عبارة عنه وهو مخلوق يقول الفخر الرازي: "أما أصحابنا فقد اتفقوا على أن الله ليس بمتكلم بالكلام الذي هو الحروف والأصوات بل زعموا أنه متكلم بكلام النفس والمعتزلة ينكرون هذه الماهية وبتقدير الاعتراف بها ينكرون اتصاف ذات الباري وبتقدير ذلك ينكرون كونها واحدة فالحاصل أن الذي ذهبوا إليه فنحن من القائلين به إلا أنا أثبتنا أمراً آخر وهم ينازعوننا في الماهية والوجود والقدم والوحدة"[(٢)]، فهم موافقون للمعتزلة في أن الكلام اللفظي مخلوق ويختلفون معهم في الكلام النفسي فالأشاعرة يقولون هو ليس بمخلوق والمعتزلة يقولون مخلوق، وقد ذكر ابن تيمية نزاعهم في هذه المسألة فقال: "ثم تنازع بعض المتأخرين في الحروف الموجودة في كلام الآدميين وسبب نزاعهم أمران:

أحدهما: أنهم لم يفرقوا بين الكلام الذي يتكلم الله به فيسمع منه

---

(١) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٠٣)، درء تعارض العقل والنقل (٢/١٥٠).

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص(٢٥٠).

وبين ما إذا بلغه عنه مبلغ فسمع من ذلك المبلغ فإن القرآن كلام الله تكلم به بلفظه ومعناه بصوت نفسه فإذا قرأه القراء قرأوه بأصوات أنفسهم.

السبب الثاني: أن السلف قالوا كلام الله منزل غير مخلوق وقالوا لم يزل متكلماً إذا شاء فبينوا أن كلام الله قديم أي جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم أن نفس الكلام المعين قديم ولا قال أحد منهم أن القرآن قديم"[١].

سادساً: نفي الصفات إلا الصفات السبع التي تسمى صفات المعاني عند الأشاعرة خاصة، وهي الحياة، العلم، الإرادة، القدرة، السمع، البصر، والكلام على ما تقدم منه فإن الجهمية تنفي الأسماء والصفات والمعتزلة تنفي الصفات وتثبت الأسماء فمنهم من يرجعها إلى الذات ومنهم من يقول إنها بمعنى المتعلقات فالعلم عين المعلوم ونحو ذلك والأشاعرة ينفون جملة الصفات الخبرية الذاتية والفعلية إلا ما تقدم من السبع على تفاصيل عندهم[٢].

سابعاً: رد أحاديث الآحاد وبعض الأحاديث المتواترة في باب العقائد بدعوى أنها لاتفيد العلم بل الظن والعقائد المعتبر فيها العلم[٣]، فقد روى

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/٤٥،٤٦).

(٢) انظر: النفائس، ص(٩،١٠)، ومجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(١٢٨).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٦٢).

أبو إسماعيل الصابوني بسنده أن أبا نصر بن سلام الفقيه يقول: ليس أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث وروايته بإسناده"[١]، ويقول ابن القيم: "ومنها أن أهل البدع يأخذون من السنة ما وافق أهواءهم صحيحاً كان أو ضعيفاً ويتركون ما لم يوافق أهواءهم من الأحاديث الصحيحة فإذا عجزوا عن رده نفوه عوجاً بالتأويلات المستنكرة التي هي تحريف له عن مواضعه وأهل السنة ليس لهم هوى في غيرها"[٢]، هذا والفرق بين منهج الفلاسفة والمتكلمين يتبين مما يلي:

أولاً: إن في كلام المتكلمين ما هو حق وما هو باطل والواجب قبول الحق ورد الباطل: "فكل ما خالف ما جاء به الرسول فهو باطل وكل كلام في الدين باطل فهو مخالف لما جاء به الرسول"[٣]، فإن السلف رموا مذهب المتكلمين لأمرين[٥]:

١- لما فيه من القول الباطل المخالف للكتاب والسنة.

٢- وجود الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل.

ثانياً: مخالفتهم لمنهج الفلاسفة فهم يؤمنون بالوحي وأنه من الله وأن

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١٠٤)، فقرة (١٦٥).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٣٢).

(٣) انظر: الرد على المنطقيين، ص(٥١٢)، شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي، ص(١٧)، طبعة أحمد شاكر.

النبوة اصطفاء واختيار من الله وأن الملائكة أجسام نورانية وأن الروح مخلوقة بعد أن لم تكن وأن المعاد حق وأن الأنبياء تتلقى الوحي من الملك حقيقة وأخبروا بالوحي المنزل لهم وأن الله يعلم الكليات والجزئيات، وأن الله على كل شيء قدير وأن طرق العلم بالنسبة للأنبياء مخالفة لطرق غيرهم من البشر وأن الأنبياء هم أعلى الناس درجة يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار ويؤمنون بالمعجزات وكرامات الأولياء ونحو ذلك(١).

وبذلك يتبين أن منهج الفلاسفة أوغل في البدعة بل في الكفر والإلحاد، وأما المتكلمون فلربما نفوا شيئاً لعدم علمهم به أو لشبهة عرضت لهم وربما لغير ذلك، ولذا إذا ذم السلف منهج المتكلمين فإن ذلك ذم للكلام والمتكلمين مما يدل على فساد كثير مما انتحلوه وسلكوه ومن ذلك:

أولاً: جاء عن نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة رحمه الله ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام والأعراض والأجسام، فقال مقالات الفلاسفة عليك بالآية وطريقة السلف وإياك وكل محدث فإنها بدعة(٢).

ثانياً: ما جاء عن أشهب بن عبد العزيز قال: سمعت مالكاً يقول: "إياكم والبدع، فقيل: وما البدع؟ قال أهل البدع الذين يتكلمون في

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين، ص(٥١٢،٥١٣).

(٢) الحجة في بيان المحجة، (١/١٠٥).

أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان"[١].

ثالثاً: وجاء عن أبي يوسف رحمه الله أنه قال: "من طلب الدين بالكلام تزندق وطلب غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس"[٢].

لأن يلقى العبد ربه عزوجل بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء"[٣]، وقال: "لقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما لو رأيت رجلاً ارتكب كلما نهى الله عنه خلا الشرك كان أحب إلي من أن أراه صاحب كلام"[٤]، وقال: "ما رأيت أحداً ارتدى شيئاً من الكلام فأفلح"[٤].

رابعاً: وجاء عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: "لا تجالس أصحاب الكلام وإن ذب عن السنة فإنه لا يؤول أمره إلى خير"، وقال: "إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذره"، وقال: "من تعاطى الكلام لم يفلح ومن تعاطى الكلام لم يخل من أن يتجهم"[٥].

---

(١) المرجع السابق، (١/١٠٤).

(٢) نفس المرجع، (١/١٠٦)، نحوه الإبانة (٢/٤٣٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٠٦)، الإبانة (٢/٥٣٤،٤٣٥،٤٣٦).

(٤) الإبانة (٢/٥٣٨-٥٤٠).

(٥) المرجع السابق (٢/٥٣٨-٥٤٠).

خامساً: قال عبد الملك الماجشون: "إياك والكلام فإن الآخرة أول سوء"[١].

قال الأصفهاني رحمه الله: "أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض وقالوا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عن الصحابة ورحم التابعين، ولا يخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به فيسعنا السكوت عما سكتوا عنه أو يكونوا سكتوا عنه وهم غير عالمين به فيسعنا أن لا نعلم ما لم يعلموه"، ثم قال: "ما وجدنا أحداً من المتكلمين في ماضي الأزمان إلى يومنا هذا رجع إلى قول خصمه ولا أنتقل على مذهبه إلى مذهب مناظره فدل أنهم اشتغلوا فيما تركه خير من الاشتغال به"[٢].

سادساً: قال أبو محمد البربهاري: "واعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا الكلام وأهل الكلام والجدل والمرء والخصومة والعجب وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله يقول: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[٣]، فعليك بالتسليم والرضى بالآثار والكف والسكوت"[٤].

قال شارح الطحاوية رحمه الله تعالى عن علماء الكلام: "فكل هؤلاء

---

(١) الإبانة (٢/٥٣٦).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٠٠،١٠١).

(٣) سورة غافر: الآية (٤).

(٤) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٨)، فقرة (٦١).

محجوبون عن معرفة مقادير السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم وتا لله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها وضبط قواعدها وشد معاقدها وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء فالمتأخرون في شأن والقوم في شأن آخر، وقد جعل ا لله لكل شيء قدراً"[١]، وقد ادعى المتكلمون ومن نحا نحوهم أنه إذ سلكوا هذا المنهج لأنهم يريدون "التوفيق بين الدلائل التي يسمونها عقليات وهي في الحقيقة جهليات وبين الدلائل النقلية المنقولة عن الرسول أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة، أو كما يقوله كثير من المبتدعة من المتنسكة والمتصوفة: "إنما نريد الأعمال بالعمل الحسن والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدعونه من الباطل الذي يسمونه حقائق، وهي جهل وضلال وكما يقوله كثير من المتملكة والمتأثرة إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة والتوفيق بينها وبين الشريعة ونحو ذلك فكل من طلب في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرسول ويظن أن ذلك حسن وإن جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه فله نصيب من ذلك بل ما جاء به الرسول كاف كامل يدخل فيه كل حق وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه... فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم... بل إنما يكون البحث التام والنظر القوي والاجتهاد الكامل

---

(١) شرح الطحاوية لأبي العز الحنفي، ص(١٧)، طبعة أحمد شاكر.

فيما جاء به الرسول ﷺ ليعلم ويعتقد ويعمل به ظاهراً وباطناً فيكون قد تلي حق تلاوته وأن لا يهمل منه شيء"[١].

وبذا يتبين بطلان ما سلكه الفلاسفة والمتكلمون في جانب الإلهيات والنبوات والكونيات ومدى جناياتهم على دين الإسلام بتحكيمهم العقل وردهم لنصوص الشرع واستعمالهم ألفاظ النصوص في غير مرادات الله ورسوله ﷺ واستبدالها بالدخيل الفاسد والمجمل.

التاسع: عدم استعمال الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل بل يستعملوا من الألفاظ ما كان نصاً في الدلالة على الحق لا اشتراك فيه لأن استعمال المجمل يفضي إلى إغلاق المعنى وعدم فهم المراد من اللفظ وذلك لأن الإجمال قد يكون بسبب الاشتراك وهو مانع من الاختصاص وبالتالي من تعيين المراد باللفظ، وقد يكون السبب تعدد الاصطلاحات، وذلك باستعمال اللفظ في أكثر من معنى بحسب تقدير المستعمل وبناء على ذلك يحصل الاشتراك في مدلول اللفظ فيمتنع تعيين المراد باللفظ وعلى هذا ترتفع فائدة اللفظ، وهي كونه دليلاً على المعنى فيكون بمنزلة اللفظ المهمل في اللغة، ولأن إجراء الألفاظ على إطلاقه نفياً وإثباتاً مستلزم لإثبات الباطل في إطار الحق ونفي الحق في إطار نفي الباطل، ولأن ذلك مؤد إلى اختلاط الحق بالباطل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالسلف

---

(١) المرجع السابق، ص(١٥).

والأئمة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معاني مجملة في النفي والإثبات"[١]، لذا فقد تميزت ألفاظ السلف في العقيدة بالسهولة واليسر فلا إغلاق في معانيهم ولا استعمالاتهم اللفظ وذلك لوضوح كلماتهم وألفاظهم على مراداتهم، وذلك لأنهم ألزموا أنفسهم عبارات الكتاب والسنة عن العقائد، وذلك لأن الله ربط بين العقيدة وتلك الألفاظ المعبر عنها في الكتاب والسنة، ورتب عليها أحكامه العقدية فنحن بناء على ذلك متعبدون بلفظ النص القرآني والنبوي كما تعبدنا بالمعاني والمقاصد وهم متابعون في ذلك ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحبه الكرام في استعمالاتهم اللفظ كما كانوا متبعين لهم فيما هم عليه من العمل والعلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإنه لا يوجد في كلام الرسول ﷺ ولا أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من الأئمة المتبوعين أنه علق بمسمى لفظ الجوهر والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئاً من أصول الدين لا الدلائل ولا المسائل"، ومعلوم أن مخاطبة الناس بما لا يفهمونه أو ليس متعيناً للدلالة على الحق هو من أسباب الضلال والاختلاف والتنازع،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٤٤).

وهذا ما حذر منه السلف حيث قال عبد الله بن مسعود: "ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم"، وقال علي ﷺ: "حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أ تحبون أن يكذب الله ورسوله"، وقد نهى الله عن التفرق والاختلاف وهو نهي عن كل ما كان ذريعة له قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَاَ جَاءَهُم الْبَيِّنَاتُ وَ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ يومَ تَبْيَضُّ وُجُوه وَتَسْوَدُّ وُجُوه﴾[1]، وقال: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيد[2]﴾[3]، وأمر باتباع كتابه مطلقاً، فقال سبحانه: ﴿وهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4]، ووصف من خالفه بالضلال عن الهدى وإنه لا حجة له ولا برهان لما ذهب إليه من المخالفة فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُم سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُم سَمْعُهُم وَلا أَبْصَارُهُم ولا أَفْئِدتُهم مِن شَيْءٍ إذ كَانُوا يَجْحَدُونَ بآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُون فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُم كَبُر مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣،١٠٦) [١٠٥،١٠٦]

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٨/١ وما بعدها).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٧٦).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٥٥).

(٥) سورة الأحقاف: الآية (٢٦).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1]، وأنكر على من سمى أسماء وعلق بها أحكاماً، فقال سبحانه: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤُكُم مَا أَنْـزَلَ ا للهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[2]، وأعجزهم عن أن يأتوا ببرهان وحجة على ذلك فقال جل جلاله: ﴿ائتُونِي بِكِتَابٍ مِن قَبْلِ هَـذَا أَوْ أَثَارة مِنْ عِلْمٍ إن كُنْتم صَادِقِين﴾[3].[4]

ومن هذا المنطلق فإنهم لا يعبرون عن العقيدة إلا بما هو نص في الدلالة على الحقائق العقدية وهذا فرع ما هم عليه من أن نصوص الكتاب والسنة نص في معانيها ودلالتها على الألفاظ العقدية ولهذا رفضوا ما اصطلح عليه بعض من ينتسب إلى الإسلام من مصطلحات فسلفية وكلامية وصوفية مثل لفظ الهيولي والصورة والاصطتصات والأركان والعلل الأربعة والجواهر العقلية والمفارقات والمجردات والمقولات العشر والكليات الخمس والجوهر والعرض والألوان والأحوال والحركة والسكون والوجود والماهية والانحياز والجهات والنسب والإضافات والغيرين والخلافين والضدين والنقيضين والتماثل والاختلاف والحال والمقام والوقت والمكان والبادي والباذة والوارد والخاطر والواقع والقادح واللامع ونحو ذلك من الألفاظ

(١) سورة غافر: الآية (٣٥).

(٢) سورة النجم: الآية (٢٣).

(٣) سورة الأحقاف: الآية (٤).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (١/٥٧،٥٥).

التي عكرت الذوق الإسلامي وأفسدت العقلية الإسلامية من بعض المسلمين حتى ضاعت الأعمار في فهم هذه الاصطلاحات وما يتعلق بها من اعتراضات على ما توجبه من أحكام وتسببت في الإعراض عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ وهذا ما عبر عنه ابن القيم رحمه الله بقوله: "فكل هؤلاء محجوبون بما لديهم موقوفون على ما عندهم خاضوا بزعمهم بحار العلم وما ابتلت أقدامهم وكدوا أفكارهم وأذهانهم وخواطرهم وما استنارت بالعلم الموروث عن الرسل قلوبهم وأفهامهم فرحين بما عندهم من العلوم راضين بما قيدوا من الرسوم فهم في واد ورسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ في واد والله أعلم أنا لا نتجاوز فيهم القول بل قصرنا فيما ينبغي لنا أن نقوله فذكرنا غيضاً من فيض وقليلاً من كثير وهؤلاء داخلون تحت الرأي الذي اتفق السلف على ذمه وذم أهله فهم أهل الرأي حقاً الذين قال فيهم عمر بن الخطاب ﷺ: "إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلو"[1].

هذا وأن مما يعلم ضرورة من دين الإسلام أن الله جل شأنه ورسوله ﷺ لم يأمر أحداً منهم بإحصاء هذه الألفاظ و لم يكلف أحداً بمعرفتها بل لم يعبر عما أراده من عباده بها لكنه عبر بألفاظ وعلق عليها أحكامه

---

(١) مدارج السالكين (٤٣٨/٣).

كلفظ الإسلام والإحسان والإيمان والعدل والمعروف والمنكر والكفر والفسق والظلم ونحو ذلك ولذا فإن معرفة مثل هذه الألفاظ وما يترتب عليها من أحكام من الدين كما قال ابن تيمية: "وهذه الحدود معرفتها من الدين وكل لفظ هو في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ثم قد تكون معرفتها فرض عين وقد تكون فرض كفاية لهذا ذم الله تعالى من لم يعرف هذه الحدود بقوله تعالى: ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُود مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِه**[1]﴾"[2]، وهذه الألفاظ لا يمكن معرفتها إلا من جهة الرسول ﷺ مما يوجب الحرص على معرفة لغة القرآن ولغة السنة النبوية ولغة العرب، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فإنه واجب، ولا يشك عاقل في أن معرفة إرادة الله من عباده من أوجب الواجبات فما ترتب عليه يكون واجباً[3]، وبناء على ما تقدم فإن الألفاظ نوعان نوع مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل الإجماع، فهذا يجب اعتبار معناه وتعليق الحكم به فإن كان المذكور به مدحاً استحق صاحبه المدح وإن كان ذماً استحق الذم وإن أثبت شيئاً وجب إثباته وإن نفي شيئاً وجب نفيه، لأن كلام الله حق وكلام رسوله حق وكلام أهل الإجماع حق... ومن دخل في اسم مذموم في الشرع كان مذموماً، كاسم الكافر

---

(١) سورة التوبة: الآية (٩٧).

(٢) الرد على المنطقيين، ص(٤٩).

(٣) انظر: الرد على المنطقيين، ص(٥٠).

والمنافق والتقي والصديق ونحو ذلك، وأما الألفاظ التي ليس لها أصل في الشرع فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفي على معناه إلا أن يبين أنه يوافق الشرع والألفاظ التي تعارض بها النصوص من هذا الضرب كلفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والعرض ممن كانت معارضته بمثل هذه الألفاظ لم يجز له أن يكفر مخالفه وإن لم يكن قوله مما يبين الشرع أنه كفر، لأن الكفر حكم شرعي متلقي عن صاحب الشريعة والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه وليس كل ما كان خطأ في العقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفراً في الشرع كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل تجب معرفته"[1]، وبذا يعلم أن هذه الألفاظ البدعية الاصطلاحية لا يشمل شيء منها أصول الدين التي جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يترتب عليها شيء من أحكام الشرع المترتبة على الحدود الشرعية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول وهذا ظاهر على قول من لا يوجب شيئاً ولا يحرمه إلا بالشرع فإنه لو قدر عدم الرسالة لم يكن كفر محرم ولا إيمان واجب عندهم، ومن أثبت ذلك بالعقل فإنه لا ينازع أنه بعد مجيء الرسول تعلق الكفر والإيمان بما جاء به لا بمجرد ما يعلم بالعقل"[2]، وقال في موضع آخر: "وكل قول

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤١،٢٤٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٣).

لم يرد لفظه ولا معناه في الكتاب والسنة وكلام السلف فإنه لا يدخل في الأدلة السمعية ولا تعلق للسنة والبدعة بموافقته ومخالفته فضلاً أن يعلق بذلك كفر وإيمان وإنما السنة موافقة الأدلة الشرعية والبدعة مخالفتها وقد يقال عما لم يعلم أنه موافق أو مخالف أنه بدعة إذ الأصل أنه ما لم يعلم أنه من الشرع فلا يتخذ شريعة وديناً فمن عمل عملاً لم يعلم أنه مشروع فقد تذرع إلى البدعة وإن كان ذلك العمل تبين له فيما بعد أنه مشروع، وكذلك من قال في الدين قولاً بلا دليل شرعي فإنه تذرع إلى البدعة وإن تبين له فيما بعد موافقته للسنة"[1]، وبهذا يتبين مدى ما بني عليه مذهب السلف من علم وحكمة وأنهم لم يستعيروا للشريعة لباساً غير لباسها بل أرجعوا أمورهم التي تنازعوا فيها مع غيرهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدّوه إلى الله وَالرَّسُول**﴾[2]، وبذا يرفعون النزاع مما يدل على انضباط أصولهم وجريانها على العدل والحق.

العاشر: الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ سواء فهمنا معناه أو لم نفهمه فما فهموه آمنوا به على تفصيله وما لم يفهموه آمنوا به على إجماله، "فإن الله عزوجل بعث محمداً رحمة للعالمين ومهيمناً على النبيين

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٤).

(٢) سورة النساء آية ن(٥٩).

ونذيراً بين يدي عذاب شديد بكتاب أحكمت آياته وفصلت بيناته لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بين فيه مناهج حقوق افترضها ومعالم حدود أوجبها إيضاحاً لوظائف دينه وإكمالاً لشرائع توحيده كل ذلك في آيات أجملها وبألفاظ اختصرها أدرج فيها معانيها ثم أمر نبيه ﷺ بتبيين ما أجمل وتفصيل ما أدرج فقال جل ثناؤه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم وَلَعَلَّهُم يَتفكَّرُون﴾[١]، وفرض على الخلق أجمعين طاعة رسوله وقرن ذلك بطاعته ومتصلاً بعبادته ونهى عن مخالفته بالتهديد وتواعد عليه بأغلظ الوعيد في آيات كثيرة من كتابه، وقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون﴾[٢]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الْكَافِرِين﴾[٣]، وقال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَن يطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ

---

(١) سورة النحل: الآية (٤٤).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٠-١٣٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٣٢).

(٤) سورة النساء: الآية (٦٥).

وَالشُّـهَدَاءِ وَالصَّـالِحِينَ وَحَسُـنَ أُوْلَئِـكَ رَفِيقـاً﴾[١]، وقـال: ﴿مَـن يُطِـعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيظاً﴾[٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِـي الأَمْرِ مِنْكُم فَإِنْ تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُـم تُؤْمِنُـونَ بِاللهِ وَالْيَـومِ الآخِـرِ ذَلِـكَ خَـيرٌ وَأَحْسَـن تَأْوِيلاً﴾[٣][٤]، فدلـت هـذه النصوص القرآنية على وجـوب متابعـة الرسـول ﷺ ومقابلـة مـا جـاء بـه بالتسليم وعدم معارضته بشيء آخر مما يوجب العلم والعمـل بمـا جـاء بـه الرسول ﷺ جملة وتفصيلاً، لأن ذلك هو معنى شـهادة أن محمـداً رسـول الله حيث أن معناها يتضمن الدلالة على طاعته فيمـا أمر وتصديقـه فيمـا أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجـر، وأن لا يعبـد الله إلا بمـا شـرع فنحـن متعبدون بالإيمان بكل ما جاء به ﷺ سواء كان في باب الأصول -العقائد أو باب الفروع- الأحكام الشـرعية العمليـة إذ الإيمـان قـول وعمـل قـول اللسان والقلب وعمل اللسان والقلب والجوارح وهـو ﷺ قـد بـين لأمتـه كل ما تحتاج إليه في باب الأصول والفروع المسائل والدلائل، ولأن ذلـك كما قال ابن تيمية: "داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله وداخل في تدبر

---

(١) سورة النساء: الآية (٦٩).

(٢) سورة النساء: الآية (٨٠).

(٣) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (١/٢١٥،٢١٦).

القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين"[١].

وهذا ما جاء به الرسول ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فحكمه أنه فرض كفاية فيجب على الأمة أن توجد من يقوم به فإذا حصلت الكفاية به ارتفع الإثم عن الأمة كلها وإن لم تقم الكفاية منهم به أثمت الأمة كلها والممثل للأمة هم حكامهم الشرعيون.

الثاني: ما جاء به الرسول ﷺ على الإجمال فحكمه أنه فرض عين لا يعذر أحد من الأمة بجهله وحده ما يدخل به في الإسلام ويخرج به منه، فهو أصل الدين وأساسه لكن قد يتبين لبعض الأمة من تفاصيل هذا المجمل ما لا يتبين لغيره وعندئذ تتنوع فرضية العين بالنسبة إلى تفصيل المجمل بحسب قدرة المكلفين وحاجتهم ومعرفتهم فيجب على كل أحد ما قدر على علمه واستوعبه فهمه واستطاعة عقله[٢]، وأما تحصيل اليقين بذلك كله فلا يجب تحصيله إلا فيما أوجب الله تحصيل اليقين فيها كما في قوله

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٥١).

(٢) المرجع السابق (١/٥٢).

سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[٢]، وهذا الوجوب معلق باستطاعة المكلف كما قال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٣]، وبناء على ذلك فمتى حصل اليقين في شيء مما جرى فيه النزاع بين الأمة من مسائل دقيقة كان واجباً عليه أن يوقن به ومن لم يستطع ذلك بحيث اعتقد خلاف الحق في ذلك أو حصل الظن به لعجزه عن اليقين فلا يجب عليه أكثر مما وصل إليه بعد بذل الطاقة في طلب الحق والبحث عنه ولا يجوز له ترك ما أمكنه طلباً ما لا يمكنه وهو اليقين فإن كان مطابقاً للحق أثيب عليه وسقط به الفرض ما دام لا يقدر على أكثر منه ومن نظر في أحوال من انحرف عن الحق يعلم أن سبب هذا الانحراف العجز عن إدراكه إما لتفريطه في المتابعة أو ترك النظر والاستدلال الموصل إلى الحق[٤]، كما قال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولاَ يَشْقَى﴾[٥]، قال ابن عباس: "تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لايضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية"[٦].

---

(١) سورة المائدة: الآية (٩٨).

(٢) سورة محمد: الآية (١٩).

(٣) سورة التغابن: الآية (١٦).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (١/٥٣،٥٤).

(٥) سورة طه: الآية (١٢٣).

(٦) التيسير لتفسير ابن كثير (٣/٧٢).

ومفهومه يدل على أن من خالف أمر الله ورسوله فإنه يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُم﴾[١]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الذين يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تصيبهُم فِتْنَةٌ أَو يصيبهم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

يقول ابن بطة العكبري رحمه الله: "فالذي ذكرته رحمكم الله في هذا الباب من طاعة رسول الله ﷺ حضضت عليه من اتباع سننه واقتفاء أثره موافق كله لكتاب الله عزوجل وسنة رسول الله وهو طريق الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين، وهي سبيل المؤمنين التي من اتبع غيرها ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً، فإذا سمع أحدكم حديثاً عن رسول الله ﷺ رواه العلماء واحتج به الأئمة العقلاء فلا يعارضه برأيه وهوى نفسه فيصيبه ما توعده الله عزوجل به"[٣]، ويقول ابن القيم: "فرأس الأدب معه كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً أو يحمله شبهة أو شكاً أو يقدم آراء الرجال وزبالات أذهانهم فيوحد بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد المرسِل سبحانه وتعالى بالعبادة

---

(١) سورة الصف آية (٥).

(٢) سورة النور آية (٦٣).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (١/٢٦٨).

والخضوع والذل والإنابة والتوكل"[١]، هذا ولا يتصور أن يكون الرسول ﷺ قد ترك شيئاً من أمر الدين مبهماً لا يعرف جهة الحق فيه لاسيما مع أمره ﷺ بالبيان وإخباره عن نفسه بأنه ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك ومع أشهاده للصحابة في مجمع عام عظيم بأنه قد بلغ وقد شهدوا على ذلك، وهم جمع عظيم يستحيل أن يتواطؤوا على الكذب وقد أخبر الله بمصداق ذلك كما في قوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[٢]، مما لا يدع مجالاً للشك في أنه ﷺ بين البيان المبين الذي ليس بعده بيان، ولأن عدم إبانته للحق في شيء من ذلك جار في القبح كالكذب على الله وكتمان الحق حاشاه ﷺ أن يكون كاذباً على الله أو كاتماً للحق الذي نزل عليه من الله.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٨٧).

(٢) سورة المائدة آية (٣).

الفصل الثالث

منهجهم في الدفاع عن العقيدة

ثانياً: منهجهم في الدفاع عن العقيدة:

ولقد كان للسلف الصالح صولات وجولات واستماتة في سبيل الدفاع عن عقيدة المسلمين ضد الغزو العقدي الخارجي المتمثل في الفلسفات الناشئة من اتصال بعض المسلمين بالأمم الأخرى من هنود ويونان ورومان وفرس وضد الغزو الداخلي المتمثل في الانقسامات والفرق المائلة عن منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ويمكن التماس عناصر هذا المنهج في الخطوات التالية:

أولاً: الرد على من ترك طريقة الكتاب والسنة وسلك السبل المخالفة لمنهج الحق الثابت بهما وبما اعتمد عليهما من معقول صحيح . هذا ومن خلال استقرائنا لردود السلف يتبين أن أهم الاتجاهات الّتي اعتنى السلف بالرد عليهم هي[(١)]:

أولاً: الفلاسفة ويراد بهم في الغالب فلاسفة اليونان كأرسطو وسقراط وأمثالهما ومن نهج نهجهم ممن انتسب للإسلام كابن سيناء والفارابي وابن رشد الحفيد وابن الهيثم وغيرهم كثير.

ثانياً: الجهمية المنسوبة للجهم بن صفوان الترمذي، وما تفرع عنها من

---

(١) انظر: السنة للإمام أحمد صفحة (٥٢) بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، انظر: شرح السنة للبربهاري ص(٤٢،٥٢،٥٧).

فرق وعقائد.

ثالثاً: المعتزلة وهم أصحاب عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، ومن سلك طريقتهم من أهل الفرق الضالة.

رابعاً: الأشعرية أتباع أبي الحسن الأشعري من متقدميهم كأبي بكر الباقلاني، ومتأخريهم كأبي المعالي الجويني، ومن سلك مسلكهم.

خامساً: القدرية وهم منكروا القدر، وما تفرع عن قولهم من مقالات وآراء مبنية على إنكار القدر.

سادساً: الجبرية وهم من غلا في القدر حتى أنكر قدرة العبد مشيئته المتعلقات بأفعاله.

سابعاً: المرجئة وهم الذين جعلوا الإيمان هو المعرفة القلبية فقط، وأنكروا كون العمل منه، وقالوا بناءً على ذلك بعدم زيادة الإيمان ونقصانه.

ثامناً: الممثلة والمشبهة التي جعلوا ذات الله أو صفاته أو أفعاله أو بعضها كصفات المخلوقين أو أن ذات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم، كصفات الخالق أو بعضها.

تاسعاً: الخوارج وهم البغاة الخارجون على الأئمة من المسلمين، ومن نحا نحوهم من الفرق الداخلة في مسماهم.

عاشراً: الرافضة الذين رفضوا أبا بكر وعمر ورفضوا زيد بن علي، وكَفَّروا الصحابة إلا نفراً قليلاً منهم وغلوا في علي وأهل بيته[١]

وقد جروا في الجملة في الرد على هذه الفرق على النحو التالي:-

أولاً: ذكر مقالات هذه الفِرَق المخالفة للسنة.

ثانياً: ردها بما يدل على بطلانها من أدلة نقلية أو عقلية.

ثالثاً: سياق مقالات الفِرَقِ على نحو يدل على بطلانها.

رابعاً: بيان شبهاتهم والرد عليها بما يدل على بطلانها.

خامساً: ذكر الأدلة الشرعية على ذم البدع مطلقاً.

سادساً: التحذير من البدع وبيان خطرها على الأمة.

سابعاً: مقاطعة المُبْتَدِعِين وهجرهم بالأقوال والأفعال.

ثامناً: بيان أن الحق في التمسك بالكتاب والسنة.

وهذه الأمور تراها مبثوثة في كتب السلف الأثرية ككتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري والحجة في بيان

---

(١) انظر: تفصيل إعتقاد هذه الفرق في كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء و البدع لأبي الحسن الملطي.

المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم الأصفهاني. ومن أهم كتب الردود كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب الرد على بشر المريسي لأبي عثمان الدارمي، وكتاب خلق أفعال العباد للإمام البخارى، وكتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي الشافعي.

هذا ولما انتشر خطر الصوفية اشتغل بعض علماء السلف من المتقدمين والمتأخرين بالرد عليهم سواء كان ذلك ممن نسب إلى التصوف من علماء السلف كالجنيد بن محمد وأمثاله، أو بعض من العلماء المتأخرين السلفيين في باب العلم والعمل مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة الإمام شمس الدين بن القيم الجوزية -رحمهم الله جميعا-، وقد ارتبط الرد على أهل البدع بظهورها وكان أوله في المئة الأولى عندما ظهرت الخوارج والشيعة ثم تلتها بدعة القدرية والتجهم والإرجاء والاعتزال والأشعرية، ثم انتشر في المئة الثالثة عندما وُجد من يؤيد البدع من حكام الخلافة العباسية كالمأمون والواثق ولم ترتفع إلا في خلافة المتوكل، وفي عهده علت السنة وارتفعت أعلامها، قال أبو محمد البربهاري: "فدامت لهما لمدة، ووجدوا من السلطان معونة على ذلك، ووضعوا السيف والسوط على من دون ذلك، فدرس عَلم أهل السنة والجماعة وأوهنوها فصاروا مكتومين لإظهار البدع والكلام فيها ولكثرتهم فاتخذوا المجالس وأظهروا آراءهم ووضعوا فيها الكتب، وأطمعوا الناس وطلبوا الرياسة، فكانت فتنة

عظيمة لم ينج منها إلا من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه أو يتابعهم أو يرى رأيهم على الحق ولايدري أنهم على حق أو على باطل، فصار شاكاً فهلك الخلق حتى كانت أيام جعفر الذي يقال له المتوكل - فأطفأ الله به البدع وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنة وطالت ألسنتهم مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا، فالرسم والبدع وأهل الضلالة قد بقي منهم قوم يعملون بها ويدعون إليها، ولا مانع يمنعهم ولا حاجز يحجزهم عما يقولون ويعملون"[1]، هذا والأصول التي ترجع إليها أقوال الفرق الضالة هي[2]:

أولاً: القول في ذات الله سبحانه.

ثانياً: القول في صفات الله تعالى.

ثالثاً: القول في أفعال الله تعالى.

رابعاً: القول في الوعيد.

خامساً: القول في الإيمان.

سادساً: القول في القرآن.

سابعاً: القول في الإمامة.

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٤٣،٤٤).

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/٣٨٣).

يقول الأصفهاني: "فأهل التشبيه ضلت في ذات الله، والجهمية ضلت في صفات الله، والقدرية ضلت في أفعال الله، والخوارج ضلت في الوعيد، والمرجئة ضلت في الإيمان، والمعتزلة ضلت في القرآن، والرافضة ضلت في الإمامة"[1]، هذا ورد السلف على أهل البدع لم يجنح بهم إلى الظلم لهم بل عاملوهم بالعدل حكماً على الأشخاص والمعتقدات، وقد محص موقفهم الأصفهاني فقال: "المتأول إذا أخطأ وكان من أهل عقيدة الإيمان نُظر في تأويله، فإن كان قد تعلق بأمر يفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله أو سنة يقطع بها العذر والإجماع فإنه يَكْفُرْ ولا يُعْذَر لأن الشبهة التي يتعلق بها من هذا ضعيفة لا يقوى قوة يُعَذَّر بها لأن ما شهد له أصل من هذه الأصول فإنه في غاية الوضوح والبيان، فلما كان صاحب هذه المقالة لا يصعب عليه درك الحق ولا يغمض عنه بعض موضع الحجة لم يعذر في الذهاب عن الحق بل عمل خلافه في ذلك على أنه عناد وإصرار ومن تعمد خلاف أصل من هذه الأصول وكان جاهلاً لم يقصد إليه من طريق العناد فإنه لا يُكَفَّر لأنه لم يقصد اختيار الكفر ولا رضي به وقد بلغ جهده فلم يقع له غير ذلك وقد أعلم الله سبحانه وتعالى أنه لا يُؤاخذ إلا بعد البيان ولا يُعاقب إلا بعد الإنذار فقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيضل قَوماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُم**﴾[2] فكل من هداه الله عز وجل ودخل

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/٣٨٣).

(٢) سورة التوبة: آية (١١٥).

في عقد الإسلام فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان.

ومن بلغ من الخوارج والروافض في المذهب أن يُكَفِّر الصحابة ومن القدرية أن يُكَفِّر من خالفه من المسلمين ولا نرى الصلاة خلفهم ولا نرى أحكام قضاتهم وقضائهم جائزة ورأي السيف وإستباح الدم فهؤلاء لا شهادة لهم.

قال: "ومشايخ أهل الحديث قد أطلقوا القول بتكفير القدرية وكفّروا من قال بخلق القرآن وقال جماعة من العلماء: قد نطلق الكلمة على الشيء لنوع من التمثيل ولا يحكم بحقيقتها عند التفصيل"[١].

وهذا الذي نهجه السلف من الرد على المبتدعة وبيان فساد مذاهبهم هو الذي سلكه القرآن الكريم في الرد على أهل الزيغ والضلال من مشركين ويهود ونصارى ومنافقين، وقد سلك القرآن الكريم عدداً من الطرق لرد الباطل من أهمها:

أولاً: دليل التمانع في الألوهية كما في قوله سبحانه وتعالى : **﴿لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾**[٢]،وقوله سبحانه: **﴿وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهَا اخْتِلافاً كَثِيراً﴾**[٣].

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١١٥).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٢).

(٣) سورة النساء: الآية (٨٢).

ثانياً: دليل السبر والتقسيم، وذلك بحصر الفروض الممكنة وإبطالها واحداً واحداً حتى يبقى الفرض الحق كما في قوله سبحانه: ﴿**أم خلقُوا مِن غَير شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون**﴾[1].

ثالثاً: ضرب الأمثال المحسوسة للأمور المعقولة كما في قوله سبحانه: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلماً لرجل**﴾[2]، وقال العز بن عبد السلام: "شبه المشرك في سوء حاله بالعبد المشترك بين متشاكسين وشبه المؤمن في حسن حاله بالرجل السالم ترغيباً في عبادته وزجراً عن عبادة غيره)[3].

وقال سبحانه: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِن السَّمآءِ فتخطفُهُ الطَّيْرُأَو تهوي بِه الرِّيحُ في مَكَانٍ سَحيق**﴾[4]، قال العز: "شبه الكافر في هلاكه الذي لا يتدارك بهلاك الخارّ من السماء على الوجه المذكور تنفيراً من الشرك"[5] إلى غير ذلك من الأمثال المضروبة في القرآن الكريم.

رابعاً: قياس الغائب على الشاهد وذلك بعقد المماثلة بينهما بإطلاق لفظ جامع لهما مما يساعد على وجود تصور عام يحصل الفهم عن طريقه،

(١) سورة الطور: (٣٥).

(٢) سورة الزمر: الآية (٢٩).

(٣) الإمام في بيان أدلة الأحكام، ص(١٥٠).

(٤) سورة الحج: آية (٣١).

(٥) النفائس، ص(٤٤).

يقول ابن تيمية: "إن التشابه يكون في الألفاظ المتواطئة كما يكون في الألفاظ المشتركة التي ليست بمتواطئة وإن زال الاشتباه بم يمين أحد النوعين من إضافة أو تعريف كما إذا قيل (فيها أنهار من ماء) فهناك قد خص هذا الماء بالجنة فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلومة".

ثانياً: الجواب عما اشتبه من النصوص على بعض الناس جواباً يزيل الاشكال ويرفع الاشتباه، حيث أن مذهب السلف قائم على اتباع المحكم ورد ما اشتبه إليه فيكون المشتبه بيناً واضحاً لأن كلام الصادق لا يتناقص كما قال تعالى: ﴿**وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾[١] لكنه من عند الله الذي لا أصدق قيلاً منه ولا أصدق حديثاً منه "فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه آخر بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته إذا لم يكن هناك نسخ، وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته أو ثبوت ملزوماته، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته بل ينفيه أو ينفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضاً فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى ويأمر به وينهي عنه في وقت واحد ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر"[٢]، قال تعالى: ﴿**إِنَّكُم**

---

(١) سورة النساء: آية (٨٢)

(٢) النفائس، ص (٤١).

لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عنهُ من أُفِكَ﴾[١]، ومن هنا وُصف القرآن كله بالإحكام كما قال سبحانه: **﴿الر . كتابٌ أُحْكِمَتْ آياتهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾**[٢]، وقال: **﴿الم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾**[٣] لأنه يشبه بعضه بعضاً في الإتقان والبلاغة والإعجاز أو لأنه يميز بين الحق والباطل "والحكم الفصل هو ما بين الشيئين، فالحاكم يفصل بين الخصمين، والحكم فصل ما بين المتشابهات علماً وعملاً، إذا ميز بين الحق والباطل والنافع والضار"[٤]، ومن هذا المنطلق وصف الله القرآن بأنه متشابه كما في قوله جل شأنه: **﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾**[٥] فكان الإحكام العام بمعنى التشابه العام وضدهما الاختلاف المنهي عنه: : "فالأقوال المختلفة هنا هي المتضادة والمتشابهة هي المتوافقة"[٦]، ووصف الله بعض القرآن بالإحكام وبعضه بالتشابه فقال جلّ ذكره: **﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ﴾**[٧]، والإحكام والتشابه عندئذ متضادان فيكون معنى التشابه الخاص: (مشابهة الشيء لغيره من

---

(١) سورة الذاريات: آية (٧-٨).

(٢) سورة هود: الآية (١).

(٣) سورة لقمان: آية (١-٢).

(٤) المرجع السابق، ص (٤٠).

(٥) سورة الزمر: الآية (٢٣).

(٦) النفائس، ص(٤١).

(٧) سورة آل عمران: آية (٧).

وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله) وليس كذلك، والإحكام الخاص: (هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر وهذا التشابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما، ثم من الناس من لايهتدي للفصل بيهما، فيكون مشتبهاً عليه ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا يتميز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وُعِدُوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيافظن أنه مثله فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشابهاً له في بعض الوجوه، ومن هذا الباب: الشبه التي يضل به بعض الناس وهي ما يشتبه فيها الحق والباطل حتى يشتبه عليه الحق والباطل)[1]، وتكون الشبهة في أمرين:

الأمر الأول: أدلة نقلية، وتكون الشبهة فيها في شيئين:

أ - شبهة في السند وتتعلق بسند النص هل هو صحيح أو لا.

ب- شبهة في المتن، وهي نوعان:

أحدهما: شبهة لفظية تتعلق بلفظ الآية أو الحديث.

---

(١) النفائس، ص(٤١،٤٢).

ثانيهما: شبهة معنوية تتعلق بمعنى الآية أو الحديث.

الأمر الثاني: شبهة عقلية وتكون في ثلاثة أمور:

أ - شبهة في المقدمة الأولى.

ب- شبهة في المقدمة الثانية.

جـ- شبهة في النتيجة أو الترابط بين المقدمتين.

قال ابن تيمية: (فلهذا كان ضلال بني آدم من فبل التشابه والقياس لا ينضبط كما قال الإمام أحمد: ما أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس، فالتأويل في الأدلة السمعية والقياس في الأدلة العقلية، وهو كما قال: والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة، وقد وقع بنو آدم في عامة ما يتناوله هذا الكلام من أنواع الضلالات)[1]،وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية عدداً من الأمثلة للاشتباه في المعاني العقلية ومن ذلك[2]:

أولاً: ما قال به الصوفية من الحلولية والاتحادية من القول بأن الرب عز وجل هو عين وجود المخلوقات وأصل اشتباههم أنهم لَمَّا رأوا أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود ظنوا أن هذا هو الوجود المطلق

---

(١) النفائس، ص(٤٢).

(٢) المرجع السابق، ص(٤٢،٤٣).

بشرط الإطلاق هو عين الوجود عند الإضافة والتعيين، فلم يفرقوا بين الواحد بالنوع وهو المعنى المشترك بين الموجودات وبين الواحد بالعين وهو المعنى المختص الذي تفيده الإضافة لكل من الخالق والمخلوق.

ثانياً: ما قاله بعض المتكلمين أن الوجود مقول بالاشتراك اللفظي وأصل اشتباههم أنهم ظنوا أن القول بأن الموجودات تشترك في مسمى الوجود أي معناه يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق والعكس، وأن ذلك يستلزم أن يكون مركباً من وجود الخالق ووجود المخلوق وهو جمع بين النقيضين فيكون مستحيلاً عقلاً فخالفوا بذلك ما أقر به عموم العقلاء من أن الوجود مقول بالإشتراك، فإن الوجود حال الإشتراك ينقسم إلى وجود قديم وهو اللائق بالخالق، ووجود محدث وهو اللائق بالمخلوق ونحو ذلك من أقسام الوجود.

ثالثاً: ما قاله بعض المتكلمين من نفيهم الاشتراك في مسمى الوجود وأصل اشتباههم أنهم ظنوا أن الموجودات إذا اشتركت في مسمى الوجود في الذهن أن ذلك لازم لأن يكون في خارج الذهن كذلك ومعلوم أن الوجود بمسماه العام إنما هو فرض يفرضه الذهن عن طريق إدراك الجوامع المشتركة بين الموجودات، وهذا المعنى المشترك لا يكون في خارج الذهن، إذ الموجود خارج الذهن هو الوجود المختص إما بالخالق وإما بالمخلوق، والأصل في هذا الاشتباه هو القياس الفاسد الذي يجعل الشيء فيه نظير الشيء وليس كذلك، هذا ومن الأمثلة على حصول الاشتباه في

الجانب النقلي كاشتباه بعض النصارى في دلالة قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾[(١)]، مع قوله سبحانه: ﴿وَإِلهكم إِلهٌ وَاحِدٌ﴾[(٢)]، "فإن لفظ إنا ونحن وغيرهما من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد له شركاء في الفعل ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد وله أعوان تابعون له لا شركاء له)، (فكان ما ذكره من صيغة الجمع مبيناً لما يستحقه من العظمة والأسماء والصفات وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم)، وأما صيغة الإفراد فهو دال على وحدانيته في الألوهية، وبذا يزول الاشتباه ويُعرف الفرق بين الأسلوبين أن هذا الأسلوب له دلالة لا تنافي الأسلوب الآخر، (ومن ذلك جعل قوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[(٣)] نظيرقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾[(٤)] فهذا ليس مثل هذا لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيهاً بقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم﴾[(٥)]، وهناك أضاف الفعل إليه فقال: ﴿لما خَلَقْتُ﴾ ثم قال: ﴿بِيَدَيَّ﴾، وأيضاً فإنه هنا ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد وفي اليدين

---

(١) سورة الحجر: آية (٩).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٦٣).

(٣) سورة ص: الآية (٧٥).

(٤) سورة يس: الآية (٧١).

(٥) سورة الشورى: الآية (٣٠).

ذكر لفظ التثنية كما في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1] وهناك إضافة الأيدي إلى صيغة الجمع)[2]، (فإنه سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهراً ومضمراً وتارة بصيغة الجمع كقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتَحاً مُبِيناً﴾[3]، وأمثال ذلك ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية لأن صيغة التثنية تدل على العدد المحصور وهو مقدس عن ذلك)[4]، ومن أمثلة ذلك من ظن أن قوله ﷺ : "قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن" يقتضي أن يكون القلب متصلاً بالأصابع ومماساً لها أو في جوفه، مع أن الحديث لا يدل على ذلك كله، ونظيره قوله سبحانه: ﴿وَالسَّحَاب المسخر بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[5]، لم يقتضي أن يكون مماساً للسماء والأرض)[6]، ولا في قول القائل: ("هذا بين يدي) ما يقتضي مباشرة ليديه)[7]، وبذا يعلم أن القرآن الكريم والسنة النبوية ليس فيهما شيءٌ من المتشابه التشابه المطلق، بل نصوص القرآن والسنة النبوية كلها محكمة أي بينة المعنى من جهة اللغة العربية.. وبناءً على ذلك جرى عموم السلف في

---

(١) سورة المائدة: الآية (٦٤).

(٢) النفائس، ص(٣٠).

(٣) سورة الفتح: آية (١).

(٤) النفائس، ص(٣١).

(٥) سورة البقرة: آية (١٦٤).

(٦) النفائس، ص(٣٠).

(٧) المرجع السابق، ص(٣١).

جواباتهم على ما تشابه على غيرهم، ومن ذلك ما أجاب عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة" حيث قال في الرد على من توهم التعارض في قوله تعالى: ﴿هَـذَا يَـومُ لا يَنْطِقُـون وَلا يؤذن لهم فيعتذرون﴾[١] وبين قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يومَ القِيَامـةِ عنـدَ رَبِّكُم تَخْتَصِمُون﴾[٢] حيث ادّعـوا أن الآيتين ليستا من المحكم وإنهما متناقضتان، (أما تفسير: ﴿هَـذَا يَـوم لا يَنْطِقُـون﴾ فهـذا أول مـا ابتعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقـون ولا يـؤذن لهم في الاعتـذار فيعتذرون ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلـك قولـه: ﴿رَبَّنَـا أَبْصِرنَـا وَسمعنـا فَارْجِعْنَـا نَعْمَـل صَالِحـاً﴾[٣] فـإذا أذن لهـم في الكـلام تكلمـوا واختصموا فذلك قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكـم تَخْتَصِمُـون﴾ عند الحساب وإعطاء المظالم ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾، أي عندي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيد﴾[٤] أي في الدنيا، فإن العذاب مع هذا القول كائن[٥]. وفي رده على الجهمية في قولهم بخلق القرآن قال: (فيقال له فلم قلت فسيقول من قول الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـا قُرْآنـاً

---

(١) سورة المرسلات: الآية (٣٥-٣٦).

(٢) سورة الزمر: الآية (٣١).

(٣) سورة السجدة: الآية (١٢).

(٤) سورة ق: الآية (٢٨).

(٥) الرد على الجهمية والزنادقة، ص(٤،٥) بمجموع شذرات البلايين، أنظر نحوه الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة من عقائد السلف، ص (٢٣٤).

﴿عَرَبِيّاً﴾[١] وزعم أن كل مجعول هو مخلوق، فادّعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيلها ويبتغي الفتنة في تأويلها وذلك أن جعل في القرآن من المخلوقين على وجهين على معنى التسمية وعلى معنى فعل من أفعالهم وقوله: ﴿الَّذِيْنَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِين﴾[٢]، قالوا هو شعر وأساطير الأولين وأضغاث أحلام فهذا على معنى التسمية قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هم عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[٣]، يعني أنهم سموهم إناثاً ثم ذكر على غير تسمية فقال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُم فِي آذَانِهِم﴾[٤]، فهذا على معنى فعل من أفعالهم وقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَعَله نَاراً﴾[٥]، هذا على معنى فعل فهذا جعل المخلوقين ثم جعل من الله على معنى خلق وجعل على معنى غير خلق والذي قال الله تعالى جعل على معنى خلق لا يكون إلا خلقاً ولا يقوم إلا مقام خلق خلقاً لا يزول عنه المعنى فإذا قال الله جعل على غير معنى خلق لا يكون خلق ولا يقوم مقام خلق ولايزول عنه المعنى فمما قال الله جعل على معنى خلق قوله: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٣).

(٢) سورة الحجر: الآية (٩١).

(٣) سورة الزخرف: الآية (١٩).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٩).

(٥) سورة الكهف: الآية (٩٦).

﴿وَالنُّورَ﴾[١]، يعني خلق الظلمات والنور وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾[٢]، يقول: وخلق لكم السمع الأبصار، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَينِ﴾[٣]، يقول: وخلقنا الليل والنهار آيتين، وقال: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[٤]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٥]، يقول خلق منها زوجها يقول خلق من آدم حواء وقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[٦]، ومثله في القرآن كثير، ثم ذكر جعل على معنى خلق في قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيْرَة وَلاَ سَآئِبَة﴾[٧]، لا يعني ما خلق من بحيرة، ولا سائبة وقال لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[٨]، لا يعني إني خالقك للناس إماماً لأن خلق إبراهيم كان متقدماً وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَد آمناً﴾[٩]، وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةَ﴾[١٠]، لا يعني اخلقني مقيم

(١) سورة الأنعام: الآية (١).
(٢) سورة الملك: الآية (٢٣).
(٣) سورة الإسراء: الآية (١٢).
(٤) سورة نوح: الآية (١٦).
(٥) سورة الأعراف: الآية (١٨٩).
(٦) سورة الرعد: الآية (٣).
(٧) سورة المائدة: الآية (١٣).
(٨) سورة البقرة: الآية (١٢٤).
(٩) سورة إبراهيم: الآية (٣٥).
(١٠) سورة إبراهيم: الآية (٤٠).

الصلاة، وقال: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ لايَجْعَلَ لَهُم حَظّاً فِي الآخِرَة﴾[(١)]، لا يعني يريد الله أن لا يخلق لهم حظاً في الآخرة وقال لأم موسى: ﴿إِنَّا رَادُّوه إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِن الْمُرْسَلِين﴾[(٢)]، لا يعني خالقوه من المرسلين، لأن الله وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله من بعد ذلك رسوله وقال: ﴿وَيَجْعَل الْخَبِيث بَعْضه عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَه فِي جَهَنَّمَ﴾[(٣)]،لا يعني: فيخلقه في جهنم وقال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِين اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِين﴾[(٤)]، لا يعني: ونخلقهم أئمة ونخلقهم الوارثين، وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبّه لِلْجَبَل جَعَلَهُ دَكّاً﴾[(٥)]، لا يعني: خلقه دكا ومثله في القرآن كثير.

فهذا وما كان على أمثاله لا يكون بمعنى خلق فإذا قال الله جعل على معنى خلق وقال جعل على غير معنى خلق فبأي حجة قال الجهمي جعل على معنى خلق، فإن رد الجهمي جعل إلى معنى الذي وصفه الله فيه وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فلما قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاه قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾، يقول جعله عربياً جعله

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٧٦).

(٢) سورة القصص: الآية (٧).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٣٧).

(٤) سورة القصص: الآية (٥).

(٥) سورة الأعراف: الآية (١٤٣).

جعلاً على معنى فعل من أفعال الله على غير معنى خلق وقال في سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُم تَعْقِلُون﴾[١]، وقال: ﴿لِتَكُون مِنَ الْمُنْذِرِين بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين﴾[٢]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِك﴾[٣]، فلما جعل الله القرآن عربياً يسره بلسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلاً من أفعال الله تبارك وتعالى وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل بيناه يعني هذا بيان لمن أراد الله هداه[٤].

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول ابن قتيبة: "وقالوا في قوله: ﴿تَعْلَم مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِك﴾[٥]، أي: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك كما قال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْب﴾[٦]، وكما يقول القائل عندي علم ذاك وهذا كما ذهبوا إليه في احتمال التأويل على بعد والله أعلم بما أراده ولكن عند تدل على قرب وهم يزعمون أن الله تعالى لا يكون أي شيء أقرب منه إلى شيء آخر وأنه على العرش استوى في الحقيقة مثله في الأرض والعجب لقوم لا يؤمنون إلا بما يصح في المعقول ثم خرجوا من

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٣).

(٢) سورة الشعراء: الآية (١٩٤-١٩٥).

(٣) سورة الدخان: الآية (٥٨).

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة، ص(١٧-١٩)، من مجموع شذرات البلاتين، انظر: نحوه الحيدة للإمام عبد العزيز الكناني، ص(٤٩-٦٣)، طبعة الإفتاء.

(٥) سورة المائدة: الآية (١١٦).

(٦) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

كل معقول بقولهم إن الله في كل مكان بغير مماسة ولا مباينة وبغير موافقة ولا مفارقة، وقد قال أمية يذكر قرب موسى عليه السلام من الله حين كلمه:

وهو أقرب الأنام إلى الله * كقرب المداد للمنوال

يقول وهو كقرب مداد الثوب من الخشبة التي ينسج الثوب عليها والله يقول: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾[1]، والنجي في معنى المناجي وهو من كلمك من قرب كما يقال جليس مجالس وأكيل مؤاكل وكذلك كليم الله بمعنى مكالم الله وخليل الله مخال الله قال الله عزوجل: ﴿خَلَصوا نَجِيّاً﴾[2]، قال أبو زبيد يذكر رجلاً ساور الأسد:

وثار عليه إعصار وهيجاً * نجيا ليس بينهما جليس

يريد أن كل واحد قرب من الآخر[3].

ومن أمثلة ذلك قول عثمان بن سعيد الدارمي: "احتج المعارض أيضاً لتحقيق قوله أنه مخلوق بحديث النبي ﷺ: "يجيء القرآن شفيعاً لصاحبه" فقال لأهل السنة: إن قلتم بهذا الحديث كان نقضاً لما ادعيتم أن القرآن غير مخلوق، لأنه لا يتراء شيء في صورة إلا وذلك المترائي والمتكلم في

---

(١) سورة مريم: الآية (٥٢).

(٢) سورة يوسف: الآية (٨٠).

(٣) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة من عقائد السلف، ص(٢٣٩، ٢٤٠).

قياس مذهبه مخلوق فقد فسرنا هذا لهذا المعجب بجهالته في كتابنا هذا أن القرآن كلام ليس له صورة ولا جسم ولا يتحول صورة أبداً له لسان وفم ينطق به ويشفع قد عقل ذلك جميع المسلمين فلما كان المعقول ذلك عندهم علموا أن ذلك ثواب يصوره الله في عين المؤمنين جزاء لهم عن القرآن الذي قرأوه واتبعوا ما فيه ليبشر به المؤمنين ونفس القراءة لم يوقف له على جسم ولا صورة إلا أن يرسم بكتاب هذا معقولاً يجهله الأكل جهول"[1].

ثالثاً: التحذير من البدع والمبتدعين وبيان أثر البدع على عقائد المسلمين، وقد اتخذ السلف في ذلك عدة طرق أهمها:

الطريق الأول: النص على أسباب البدع ومن أهمها:

١- علم الكلام يقول البربهاري: "واعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا بالكلام"[2].

٢- الجدل والمراء والخصومة في الدين يقول البربهاري: "كيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدل والله يقول: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[3]، فعليك بالتسليم والرضى بالآثار

---

(١) رد عثمان بن سعيد على بشر العنيد من عقائد السلف، ص(٤٨٢).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٨)، فقرة (٦١).

(٣) سورة غافر: الآية (٤).

والكف والسكوت".

٣- كتمان الحق المنزل من عند ا لله،يقول البربهاري: "فصار أهل السنة مكتومين وظهرت البدعة وفشت"[١].

٤- تحكيم المقاييس العقلية ومعارضة النصوص الشرعية بها يقول البربهاري: "ووضعوا القياس وحملوه قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم فما وافق عقولهم قبلوه وما خالف عقولهم ردوه".

٥- مجالسة أهل الأهواء والبدع يقول البربهاري: "إذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه فإنه صاحب هوى"[٢].

٦- الأحاديث الموضوعة والضعيفة يقول البربهاري: "والمحنة في الإسلام بدعة وأما اليوم فيمتحن بالسنة لقوله: "أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"، "ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته"، فانظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق كتبت عنه وإلا تركته"[٣].

---

(١) نفس المرجع، ص(٤١)، فقرة (٧٠)، انظر: الحجة في بيان المحجة (٤٨٩/٢).

(٢) شرح السنة البربهاري، ص(٥٤)، فقرة (١١٣).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٥)، فقرة (١١٨).

٧- الإعراض عما جاء به الرسول ﷺ من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ يقول البربهاري: "اعلم أن الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور و لم يجاوزوها بشيء و لم يولدوا كلاماً لم يجيء فيه أثر عن الرسول ﷺ ولا عن أصحابه لم تكن بدعة"[١].

٨- الغلو في الدين بتجاوز الحد المأذون فيه شرعاً قولاً كان أو فعلاً أو اعتقاداً، يقول البربهاري: "وإياك والغلو في الدين فإنه ليس من طريق الحق في شيء"[٢].

٩- القول على الله بغير علم يقول البربهاري: "واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين والحق ما جاء به الرسول ﷺ"[٣].

١٠- الكلام في الله وصفاته وأسمائه وأفعاله بغير ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يقول البربهاري: "إن الكلام في الرب تعالى محدث وهو بدعة وضلالة ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه عزوجل

---

(١) نفس المرجع، ص(٤٦)، فقرة (٨٦).

(٢) نفس المرجع، ص(٤٦)، فقرة (٨٧).

(٣) نفس المرجع، ص(٤٥)، فقرة (٨٢).

في القرآن وما بين رسول الله ﷺ لأصحابه"[١].

١١- الكلام والجدل والخصومة في القدر يقول البربهاري: " الكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق، لأن القدر سر الله ونهي الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر ونهى النبي ﷺ عن الخصومة في القدر وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء واسكت عما سوى ذلك"[٢].

١٢- الاختلاف والفرقة يقول البربهاري: "وقعت المحنة في كل شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة ودعوا إلى الفرقة وقد نهى الله عزوجل عن الفرقة وكفر بعضهم بعضاً وكل دعا إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه فضل الجهال والرعاع ومن لا علم له"[٣].

١٣- اتباع المتشابه يقول البربهاري: "ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر وقف عند متشابه القرآن والحديث ولا تقس شيئاً ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع فإنك أمرت بالسكوت عنهم ولا

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٢٤)، فقرة (٩).

(٢) نفس المرجع، ص(٣٦)، فقرة (٥٠).

(٣) شرح السنة للبربهاي، ص(٤٠،٤١).

تمكنهم من نفسك"[١].

ثانياً: بيان علامات أهل البدع وخصالهم الدالة عليهم ومن أهم علاماتهم ما يلي:

١- شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم واستخفافهم بهم[٢] روى أبو إسماعيل الصابوني بسنده عن أحمد بن سنان القطان يقول: "ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو مبغض أهل الحديث فإذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه"[٣]. وروى أيضاً بسنده عن أبي حاتم يقول: "علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر"[٤].

٢- الطعن في الأحاديث والآثار المروية عن الرسول ﷺ وصحبه، يقول البربهاري: "إذا سمعت الرجل يطعن في الآثار أو يرد الآثار أو يريد غير الآثار فاتهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع"[٥]، وقال أبو نضر بن سلام الفقيه: "ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد ولا أبغض إليهم من سماع الحديث روايته وإسناده"[٦].

---

(١) نفس المرجع، ص(٥٦)، فقرة (١٢٠).

(٢) عقيدة السلف أهل الحديث، ص(١٠١)، فقرة (١٦٢).

(٣) رواه أبو إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أهل الحديث، ص(١٢٠)، فقرة (١٦٣).

(٤) نفس المرجع، ص(١٠٤،١٠٥)، فقرة (١٦٧).

(٥) شرح السنة للبربهاري، ص(٥١)، فقرة (١٠٥).

(٦) عقيدة السلف أهل الحديث، ص(١٠٤)، فقرة (١٦٥).

٣- تسميتهم لأهل السنة بالألقاب الفاسدة قال أبو حاتم: "علامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية يريدون بذلك إبطال الأثر وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ثابتة وناصبة"[١].

٤- الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، يقول البربهاري: "وإذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى"[٢].

٥- ترك الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر يقول البربهاري: "من ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر فهو مبتدع كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد أو خوف من سلطان ظالم وما سوى ذلك فلا عذر لك"[٣].

٦- الدعاء على السلطان يقول البربهاري: "إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى"[٤].

٧- مجالسته لأهل البدع بعد علمه ببدعتهم يقول البربهاري: " فإن جلس

---

(١) عقيدة السلف أهل الحديث، ص(١٠٥، فقرة (١٦٧).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٠)، فقرة (١٠٤).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٠)، فقرة (١٠٠).

(٤) نفس المرجع السابق، ص(٥١)، فقرة (١٠٧).

معه بعد ما علم فاتقه فإنه صاحب هوى"[١].

٨- الدعوة إلى الخروج على الأئمة واستباحة دماء الغير: يقول البربهاري: "واعلم أن الأهواء كلها ردية تدعوا إلى السيف واردؤها وأكفرها الرافضة والمعتزلة والجهمية فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة"[٢].

٩- التهاون بالفرائض في الجماعة: يقول البربهار: "وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى"[٣].

١٠- الانتساب إلى المقالات الخارجة عن السنة كالقدرية والجهمية والمرجئة وغيرها[٤].

١١- موالاتهم على ما انتحلوه من الأقوال يقول ابن القيم: "وأهل البدع يوالون ويعادون على أقوال ابتدعوها"[٥].

١٢- التكذيب بالحق والتكفير للخلق وإذا أقيمت عليهم الحجة من

---

(١) نفس المرجع السابق، ص(٥٤)، فقرة (١١٣).

(٢) نفس المرجع السابق، ص(٥٤)، فقرة (١١٥).

(٣) نفس المرجع السابق، ص(٥٢)، فقرة (١٠٩).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٣٠-٤٣٢).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٤٣٠-٤٣٢).

الكتاب والسنة لجؤوا إلى حبس من كان على السنة وعقوبتهم إذا تمكنوا[(١)].

١٣- يأخذون من السنة ما وافق أهواءهم صحيحاً كان أو ضعيفاً ويتركون ما لم يوافق أهواءهم من الأحاديث الصحيحة فإذا عجزوا نفوه عوجاً بالتأويلات المستنكرة التي هي تحريف له عن مواضعه"[(٢)].

١٤- تركهم دلالة النصوص لأقوال الناس يقول ابن القيم: "وأهل البدع يتركونها لأقوال الناس"[(٢)].

١٥- أنهم يعرضون السنة على أقوال الناس وآراء الرجال فما وافق هذه الآراء قبلوه وما خالفها ردوه إما بتركه أو تأويله.

١٦- يدعون إلى التحاكم لآراء الرجال ومعقولاتهم[(٢)].

١٧- نفرتهم من الدعوة إلى السنة فلهم نصيب من قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرآنِ وَحده وَلوْا عَلى أَدْبَارِهِم نَفُوراً**﴾[(١)]، وإذا ذكر لهم كبراءهم ومقالاتهم استبشروا فهم كما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّه وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِه إِذا هُم يَسْتَبْشِرُونَ**﴾[(٢)].

---

(١) سورة الإسرء: الآية (٤٦).

(٢) سورة الزمر: الآية (٤٥).

١٨- تكلمه بالألفاظ البدعية التي لم ينزل الله بها سلطاناً لا نفياً ولا إثباتاً كلفظ الجبر والتشبيه يقول البربهاري: "لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع"[١].

١٩- التفرق والاختلاف: يقول أبو القاسم الأصفهاني: "وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد ويبدع بعضهم بعضاً بل يرتقون إلى التكفير يكفر الابن أباه والرجل أخاه والجار جاره تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون"[٢].

ثالثاً: بيان أصول البدع التي تفرقت عنها سائر الفرق البدعية قال عبد الله بن المبارك: "أصل اثنين وسبعين هوى أربعة أهواء فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى، القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج"[٣]، وقال البربهاري: "اعلم أن أصول البدع أربعة أبواب يتشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى ثم يصير كل واحد من

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٢)، فقرة (١١١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٥).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٧)، فقرة (١٢٢).

البدع يتشعب حتى يصير كلها إلى ألفين وثمان مائة كلها ضلالة وكلها في النار إلا واحدة"(١).

ويدخل في هذا البيان حصر أقوال الفرق المبتدعة وبيان ما فيها من ضلال يقول الأصفهاني: "فأهل التشبيه تعتقد لله مثلاً والجهمية تنفي أسماء الله وصفاته، والقدرية لا تعتقد أن الخير والشر جميعاً من الله، والخوارج تعم أن المسلم يكفر بكبيرة يعملها والمرجئة تقول أن العمل ليس من الإيمان وأن مرتكب الكبيرة مؤمن وأن الإيمان يزيد ولاينقص، والرافضة تنكر إعادة الإجسام وتزعم أن علياً ﷺ لم يمت وأنه يرجع قبل يوم القيامة"(٢).

وروى أبو بكر الآجري بسنده إلى يوسف بن أسباط أنه يقول: "أصول البدع أربع: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تشعبت كل فرقة ثمان عشرة طائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة والثالثة وسبعون الجماعة التي قال النبي ﷺ أنها ناجية"(٣).

ومما يدخل في هذا أيضاً تتبع الفرق في تاريخها الطويل ورصد كل ما طرأ عليها من تطور وانقسام وهذا تراه مبثوثاً في كثير من الكتب،

---

(١) نفس المرجع السابق، ص(٤٦)، فقرة (٨٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٣٨٣).

(٣) الشريعة للآجري، ص(١٥).

كالكتب التي اعتنت برصد الفرق وتاريخها يقول أبو الحسن الملطي رحمه الله: "إن أهل الضلال الرافضة ثماني عشرة فرقة يتلقبون بالإمامية"[١].

ثم ذكرهم فرقة فرقة وما عند كل فرقة من العقائد الباطلة، وقال أيضاً: "والطائفة السادسة من مخالفي أهل القبلة هم المعتزلة وهم أرباب الكلام والجدل والتمييز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمصنفون في مناظرة الخصوم"[٢]. ثم ذكر أصولهم وفرقهم و لم يزل على ذلك حتى ذكر فرق البدع كلها.

وكان من عنايتهم بذلك أن حصروا البلاد التي يكثر فيها البدع وحددوا ما تختص به كل بلد من أصناف البدع قال عبد الله بن المبارك: "لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً ولا عن أهل الشام في السيف شيئاً ولا عن أهل مكة في العرف ولا عن أهل المدينة في الغناء شيئاً ولا تأخذوا عنهم من هذه الأشياء شيئاً"[٣].

رابعاً: التحذير من البدع وأهلها وقد اتخذوا في ذلك منهجاً واضحاً ويمكن ذكر أهم عناصره فيما يلي[٤]:

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص(٢٩ وما بعدها).

(٢) نفس المرجع، ص(٤٩ وما بعدها).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٢)، فقرة (١١١).

(٤) نفس المرجع السابق، ص(٥٨-٦١)، فقرة (١٢٣-١٢٨-١٣٠).

١- تحريم الجلوس مع أهل البدع: قال الفضيل بن عياض: "من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة"، وقال أيضاً: "لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة".

٢- النهي عن حب أهل البدع وتعظيم شأنهم: قال الفضيل: "من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه"، وقال أيضاً: "من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عزوجل على محمد".

٣- النهي عن تزوجيهم واتباع جنائزهم ومن ذلك قول الفضيل بن عياض: "من زوج كريمته مبتدعاً فقد قطع رحمها ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع".

٤- عدم الأصغاء لكلام المبتدع وسماع مقاله: قال سفيان الثوري: "من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها يعني البدعة".

٥- بغض أهل البدع: قال الفضيل بن عياض: "إذا علم الله عزوجل من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له وإن قل عمله".

٦- إهانة المبتدع بالقول والفعل: قال الفضيل: "من أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة، ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر.

٧- هجر المبتدع بالقول والفعل: يقول الفضيل: "من أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيماناً"، وقال طعمه بن عمرو وسفيان بن عيينة: "من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يعدل ولا يكلم ولا يجالس".

٨- النهي عن التهاون بأمر البدع مهما ظهر من صغرها في نفسه يقول البربهاري: "واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً كذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها فعظمت وصارت ديناً يدان بها مخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام"[(١)].

٩- ذم البدع والأهواء يقول معاذ بن جبل ﷺ: "إنها ستكون فتنة يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقول القائل لقد قرأت القرآن فما أرى الناس يتبعوني فلأقرأنه علانية فيقرأه علانية فلا يتبعونه فيقول ما أراهم يتبعوني فيبني مسجداً في داره ثم يبتدع قولاً ليس في كتاب الله عزوجل ولا في سنة رسوله ﷺ فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة".

وقال ابن عمر ﷺ: "لا أعلم شيئاً في الإسلام أفضل عندي من أن

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٢٣)، فقرة (٥).

قلبي لم يخالطه شيء من هـذه الأهـواء المختلفـة"[١]، وقـال الشـافعي رحمـه الله: "لأن ألقاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحـب إلي مـن أن ألقـاه بشـيء من الأهواء"[٢].

١٠- النهي عن الكلام المحدث عن ابن عباس قال: "من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"[٣].

١١- النهي عن اتخاذ أهل البدعة بطانة فعن يحيى بن سعيد القطـان يقـول لما قدم سفيان الثوري البصرة وجعـل ينظـر إلى أمـر الربيـع يعـني ابـن صبيح وقدره عند الناس سأل أي شيء مذهبـه قـال، وأمـا مذهبـه إلا السنة قال من بطانته قالوا أهل القدر قال هـو قـدري. قـال ابـن بطـه رحمه الله على سفيان الثوري: "لقد نطق بالحكمة فصدق وقال بعلـم فوافق الكتاب والسنة وما توجبه الحكمة ويدركه العيان ويعرفـه أهـل البصـرة والبيـان"[٤]. قـال الله عزوجـل: ﴿يَـآ أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُــوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُم لا يَأْ لُونَكُم خبالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّم﴾[٥].

١٢- النهي عن مجاورة أهل البدع قال أبو الجوزاء: "لئن تجـاورني القـردة

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/٣٠٣،٣٠٤).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(٥٥)، فقرة (٨٧).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (١/٣٥٤ رقم ٢٣٤).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٣/٤٥٣ رقم ٤٢١).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٨).

والخنازير في دار أحب إلي من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء وقد دخلوا في هذه الآيـة: ﴿وَإِذَا لَقُوكُم قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوا عَضُّوا عَلَيْكُم الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُل مُوتُوا بِغَيْظِكُم إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1][2].

١٣- النهي عن مناظرة أهـل البدع والرد عليهم فعن أيوب أنه قال: "لست براد عليه بشيء أشد من السكوت"، وقال عبد الله بن اليسري: "ليس السنة أن ترد على أهل الأهواء ولكن السنة عندنا أن لا تكلم أحداً منهم"[3]، وعن عون بن عبد الله قال لا تفاتح أصحاب الأهواء في شيء فإنهم يضربون القرآن بعضه ببعض قال يعقوب ما فتح علي وعاينا أكثره وشاهدناه فلو أن رجلاً ممن وهب الله له عقلاً صحيحاً"، وعن جبير بن نفير أنه كان يقول: "إن التكذيب بالقدر شرك فتح على أهل الضلالة فلا تجادلوهم فيجرى شركهم على أيديكم"[4]، قال ابن بطه: "فاعلم يا أخي أني لم أر الجدال والمناقض والخلاف الناحلة والأهواء المختلفة والآراء المخترعة من شرائع النبلاء ولا من أخلاق العقلاء ولا من مذاهب أهل المروءة

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٩).

(٢) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٤٦٧/٢ رقم ٤٦٦).

(٣) نفس المرجع (٤٧١/٢ رقم ٤٧٨، ٤٧٩).

(٤) الإبانة في شريعة الفرق الناجية (٥٢٢/٢، ٥٢٣ رقم ٦٢٥، ٦٢٧٩).

ولا مما حكي لنا عن صالحي هذه الأمة ولا من سير السلف ولا من شيمة المرضيين من الخلف وإنما هو لهو يتعلم ودراية يتفكه بهما ولذة يستراح إليها ومهارشة العقول وتدريب اللسان بمحق الأديان وضراوة على التغالب واستمتاع بظهور حجة المخاصم وقصد إلى قهر المناظر والمغالطة في القياس وبهت في المقاولة وتكذيب الآثار وتسفيه الأعلام الأبرار ومكابرة لنص التنزيل وتهاون بما قاله الرسول ونقض لعقدة الإجماع وتشتيت الألفة وتفريق لأهل الملة وشكوك تدجل على الأمة وضراوة السلاطة وتوغير للقلوب وتوليد للشحناء في النفوس عصمنا الله و إياكم من ذلك وأعاذنا من مجالسة أهله"[1]، وعن عبد الرحمن ابن أبي الزناد قال: "أدركنا أهل الفضل والفقه ومن خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي أشد العيب وينهوننا عن لقائهم ومجالستهم وحذرونا مقاربتهم أشد التحذير ويخبرونا أنهم على ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسوله ﷺ".

١٤- تعزيرهم للمبتدع ومن ذلك من رواه ابن بطة بسنده عن أبي عثمان أن رجلاً كان من بني يربوع يقال له صبيغ سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات والنازعات والمرسلات وعن إحداهن، فقال له عمر ضع عن رأسك فوضع عن رأسه فإذا له وفيرة فقال: لو وجدتك

(١) نفس المرجع (٥٣١/٢، ٥٣٢ رقم ٦٥٨).

مخلوقاً لضرب الذي فيه عيناً له، قال: ثم كتب إلى أهل البصرة أن لا تجالسوه أو قال كتب إلينا أن لا تجالسوه قال فلو جلس إلينا ونحن مائة لتفرقنا عنه"، وفي رواية: فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يجلده حتى سقطت عمامته"[1].

١٥- تخصيص بعض الفرق بالذم يقول قتادة: "ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء.

١٦- إعراضهم عن تغسيل المبتدع: قال أيوب السختياني رحمه الله: "قبلوا قبل صاحبكم فلست أغسله رأيته يماشي صاحب بدعة"[2].

١٧- استحلال غيبة المبتدع: قال الحسن: "ليس لصاحب بدعة ولا لفاسق يعلن بفسقه غيبة". وفي رواية عنه: "ليس لأهل البدع غيبة"[3].

١٨- عدم قبول توبة المبتدع: قال الحسن البصري: "أبا الله تبارك وتعالى أن يأذن لصاحب هوى بتوبة"، وقال عطاء الخراساني: "ما يكاد الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة"[4].

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (١/٤١٤،٤١٥ رقم ٣٢٩،٣٣٠).

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٤٧٦ رقم ٤٩٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/١٤٠ رقم ٢٧٩،٢٨٠).

(٤) نفس المرجع السابق (٢/١٤١ رقم ٢٨٣،٢٨٥).

خامساً: بيان آثار البدع على عقائد المسلمين ويمكن تلمس هذه الآثار فيما يلي:

١- طريق للشك والريب والتردد في الإيمان بالحق المنزل من عند الله قال داود بن أبي هند: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران: لا تجالس أهل البدع فإن جالستهم فحاك في صدرك شيء مما يقولون أكببتك في نار جهنم.

٢- عدم التوفيق إلى الخير قال سفيان الثوري: "من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها يعني إلى البدع"(١).

٣- نزع الحكمة من لسانه وعمله قال الفضيل بن عياض: "من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة"(٢).

٤- نزول اللعنة من الله على المبتدع قال الفضيل بن عياض: "من أحب صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة"(٢).

٥- إحباط العمل قال الفضيل بن عياض: "من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه"(٢).

٦- سخط الله وبغضه لصاحب البدعة يقول الفضيل بن عياض: "من تبع

---

(١) شرح السنة للبربهاري، (٦٠)، فقرة (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠).

(٢) نفس المرجع، ص(٥٤)، فقرة (١١٦).

جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع"[٢].

٧- نزول العذاب العاجل والهلاك بالمبتدع يقول أبو الحسن البربهاري إذا رأيت الرجل عابداً مجتهداً متقشفاً محترفاً بالعبادة صاحب هوى فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه ولاتمشي معه في طريق فإني لا آمن أن تستحلى طريقه فتهلك معه"[٢].

٨- عمى القلب عن الحق والهدى: قال الفضيل بن عياض: "صاحب بدعة لا تأمنه على دينك ولاتشاوره في أمرك ولا تجلس إلى صاحب بدعة أورثه الله العمى يعني في قلبه"[١].

٩- الفتنة عن الدين قال مصعب بن سعد: "لا تجالس مفتوناً فإنه لن يخطئك إحدى اثنتين أن يفتنك فتتابعه وأما أن يؤذيك قبل أن تفارقه"[٢].

١٠- زرع بذور النفاق في القلب قال محمد بن سيرين: "إن قلبي ليس بيدي وأني لا آمن أن يبعث في قلبي شيئاً لا أقدر أن أخرجه منه وكان أحب إلى ألا أسمع كلامه"[٣].

وقال الفضيل: "وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/٤٥٩ رقم ٤٣٧).

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٤٥٨ رقم ٤٣٣).

(٣) الإبانة لابن بطة (٢/٤٥٨ رقم ٤٣٢).

صاحب بدعة"[١].

١١- تزيين الباطل وكراهية الحق قال سفيان الثوري: "ما من ضلالة إلا ولها زينة فلا تعرض دينك إلى من يبغضه إليك"[٢]، وقال محمد بن النضر الحارثي: "إن أصحاب الأهواء قد أخذوا تأسيس الضلالة وطمس الهدى فاحذروهم"[٣].

١٢- مرض القلب بالشبهات والشهوات، قال أبو موسى: "لئن يجاورني أهل بيت من يهود ونصارى وقردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني صاحب هوى يمرض قلبي"[٤]، قال خصيف الجزري أشهد أن في التوراة مكتوباً يا موسى لا تجالس أصحاب الأهواء فيمرضوا عليك قلبك بما يرديك فيدخلك النار"[٤].

١٣- قساوة القلب قال محمد بن النضر الحارثي: "بلغنا أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن كن يقظاناً مرتاداً بنفسك أخداناً فكل خدن لا يواتيك على مسرتي فلا تصحبه فإنه لك عدو وهو يقسي قلبك"[٥].

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/٤٦٠ رقم ٤٣٨).

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٤٦١،٤٦٢ رقم ٤٤٧،٤٤٨).

(٣) الإبانة لابن بطة (٢/٤٦٨،٤٦٩ رقم ٤٧١).

(٤) الإبانة لابن بطة (٢/٤٣٤ رقم ٣٦٠،٣٦١).

(٥) الإبانة لابن بطة (٢/٤٣٤ رقم ٣٦٠،٣٦١).

١٤- استحلال الأمة دماء بعضها بعضاً قال البربهاري: "واعلم أن الأهواء كلها ردية تدعوا إلى السيف"[١]، قال أبو قلابة: "ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف"[٢].

١٥- نشر التعطيل والزندقة في الأمة قال البربهاري: "فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة".

١٦- التهاون بالأحكام الشرعية يقول البربهاري: "إذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى"[٣].

١٧- كثرة الخصومة والاختلاف وجدل في الدين يقول البربهاري: " واعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة والعجب"[٤].

١٨- يقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٥]، أمر الله عزوجل المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٤)، فقرة (١١٥).

(٢) الشريعة للآجري، ص(٦٢،) ، (٦٤).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٢)، فقرة (١٠٩).

(٤) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٨)، فقرة (٦١).

(٥) سورة الشورى: الآية (٢٣).

الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومة في دين الله عزوجل"[١].

١٩- اتقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين يقول أبو العالية: "وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء"[٢].

٢٠- التباس الحق بالباطل قال أبو قلابه: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما ليس عليهم"[٣].

٢١- عدم تقبل الله الأعمال الصالحة للمبتدع قال الحسن: "صاحب البدعة لا تقبل له صلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صرف ولا عدل"[٢].

سادساً: بيان ما عند كل صاحب بدعة من أقوال مخالفة للكتاب والسنة مع بيان ما تقتضيه كل بدعة من حكم عقدي يترتب عليها وذلك بالطرق التالية:

١- البيان المباشر وذلك بذكر الأدلة النقلية والعقلية الدالة على أن ذلك مخالف لما جاء في كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف

---

(١) الشريعة للآجري، ص(٦١)، (١٣،١٤).

(٢) الشريعة للآجري، ص(٦٤)،

(٣) الشريعة للآجري، ص(٦٢)، (٦٤).

الأمة المحمدية.

٢- البيان غير المباشر وذلك بذكر لوازم الأقوال الباطلة وآثارها الفاسدة على الاعتقاد الأمر الذي يدل ضرورة على فسادها وعدم صحتها وهم عندما يذكرون لوازم الأقوال لايهمهم أن يكون القائل بالقول ملتزماً له أم لا، وذلك لأن لوازم الباطل دالة على أنه باطل وليس ذلك مترتباً على التزام القائل باللازم.

ويجمع هذين الطريقين ما قاله الإمام أحمد رحمه الله تعالى في كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية حيث قال: "بيان ما تأولت الجهمية من قول الله: ﴿مَا يَكُون مِن نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلاّ هُوَ رَابِعُهُم وَلا خَمْسَةٍ إلاَّ هُوَ سَادِسُهُم﴾[1]، قالوا إن الله معنا وفينا فقلنا الله جل ثنائه يقول: ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[2]، ثم قال: ﴿مَا يَكُون مِن نَجْوَى ثَلاثَة إلاَّ هُوَ رَابِعهُم﴾، يعني الله يعلمه، ﴿وَلاَ خَمْسَة إلاَّ هُوَ﴾، يعني يعلمهم، ﴿سَادِسهُم وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾[3]، يعني يعلمه فيهم، ﴿أَينَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَومَ الْقِيَامَة إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾[4].

(١) سورة المجادلة: الآية (٧).

(٢) سورة المجادلة: الآية (٧).

(٣) سورة المجادلة: الآية (٧).

(٤) سورة المجالة: الآية (٧).

يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه ويقال للجهمي إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه، فإن قال نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه، وإن قال: لا كفر.

وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان فقل أليس الله كان ولا شيء فيقول نعم، فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لابد له من واحد منها إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه، وإن قال خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم كان هذا كفراً أيضاً حين زعم أنه دخل في مكان وحش وقذر وردئ، وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة"[١].

فالإمام أحمد أبطل قول الجهمية بطريق مباشر وهو أن الآية بدأت وانتهت بذكر علمه تعالى مما يدل على أن الآية كلها مسوقة لبيان علمه الشامل وأنه المراد بها ثم دلل على ذلك بدليل عقلي يدل على إبطال قول الجهمي فجمع بيد دلالة النقل ودلالة العقل وذكر في كلامه لوازم قول الجهمي من كونه سبحانه في كل مكان ردئ وقذر وكون الجن والإنس والشياطين في ذاب الرب تعالى، ولاشك أنه لا يقول بذلك لكن ما دام

---

(١) عقائد السلف الرد على الزنادقة والجهمية، ص(٩٥،٩٦).

أن ذلك هو لازم قوله فإنه يدل على بطلان هذا القول وهو متضمن بيان مدى فضاحة هذا القول وضرره على عقائد الإسلام الأمر الذي يستلزم هجره والبعد عنه وفساده وتهاوي أركانه وهم في ذلك مقيدون بكتاب الله تعالى حيث جاء القرآن الكريم بهذين الطريقين فمن الأولى دلالة قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾[1] على بطلان القول بأن هناك خالق غير الله، وهي وإن كانت دلالة نقلية فهي أيضا مقترنة بالدلالة العقلية عليه حيث استعمل طريق السبر والتقسيم لإثبات وحدانية الله بالخلق وهذا هو الطريق الأول، ومن الثاني دلالة قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[2] فذكر لازم القول بتعدد الآلهة وهو الفساد للسموات والأرض وهذا لايكون إلا بعد وجودهما مما يدل على أن القول بتعدد الآلة في السموات والأرض قول باطل لا صحة له، وقال تعالى لتقرير هذا في موضع آخر من كتابه الكريم: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابتغوْا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً**﴾[3]، فإن من لوازم تعدد الآلهة أن يطلب كل واحد منهم الاستقلال بالملك كما هو الحال إذا تزاحما تزاحم الملوك وهذا لم يكن لأنه لو كان لاضطرب نظام الكون وهذا أمر لم يكن مما يدل على

---

(١) سورة الطور: الآية (٣٥).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٢٢).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٤٢).

أن إلهَ العالم واحد لا شريك له في ألوهيته[١].

هذا وكان من مقتضى ردهم أن يعرفوا بأسباب تسمية هذه الفرق وأهم العقائد التي قالوا بها ليبين مدى ما عندهم من الفساد والاضطراب يقول الاصفهاني: "والرافضة الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ وذلك أنهم أرادوه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رضي الله عن محبيهما ويرون السيف على الأمة الناصبة سموا ناصبة، لأنهم نصبوا العداوة لعلي رضي الله عنهما، وقالوا نكفر أهل الكبائر وأن من لم يقل بقولهم فهو كافر، القدرية يزعمون أن ليس لله في كفر العباد ومعاصي العباد صنع، والجهمية: لا يصفون الله السمع والبصر والاستوء على العرشِ ويقولون هو في الأرض كما هو في السماء وهو بكل مكان، والمعتزلة يقولون أن الله لا يرى ولم يتكلم الله بالقرآن ولكنه خلقه وأضافه إلى نفسه، وقوم من الجهمية يقولون الإيمان معرفة الله بالقلب وإن لم يكن معها شهادة باللسان ولا إقرار بالنبوة، وقد كانت الملائكة مؤمنين قبل أن يخلق الله الرسل، والجبرية يقولون أن الله كلف العباد ما لا يستطيعون وعلم أن منهم من لا يطيقه"[٢]، وقد اقتضت هذه الآراء المخالفة للكتاب والسنة حكماً عقدياً يتناسب وطبيعة هذه

---

(١) قارن حجج القرآن، ص(١٢).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٧٨،٤٨٩)، انظر: شذرات البلاتين (١/٥٢٠٠٥)، انظر: الشريعة للآجري، ص(٢١،٢٢،٨٧،٨٩،١٤٣،١٤٩،٢٨٥).

العقائد ومدى قوة المخالفة فيها وقد جاء في السنة النبوية والآثار السلفية ذم بعض هذه الفرق مما يقتضي بدعية اتجاهها من حيث الجملة ومن ذلك الخوارج فعن ابن أبي أوفى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الخوارج كلاب النار)[١]. ومنه الرافضة قد جاء ما يدل على الإشارة إليهم قال علي رضي الله عنه: "ليحبني قوم حتى يدخلوا النار وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي"[٢]. ووردت آثار أخرى في المرجئة وأكثرها لا تصح أسانيدها لكن ربما كان مجموعها يدل على أن لذلك أصلاً ومن ذلك: "صنفان من أمتي لا يردان على الحوض القدرية والمرجئة"[٣]، هذا ومن الأحاديث الصحيحة ما يدل على معناه في الجملة ومن ذلك: "صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب أهل الأرجاء وأهل القدر"[٤].

ولاشك أن من أهل الإرجاء والقدر من تكفره بدعته فيهما، وروى الآجري وابن بطة العكبري بسنده عن عدد من التابعين ذم المرجئة فقال الزهري: قال ابن محمد المروزي: "ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على الملة من هذه، يعني أهل الأرجاء، وقال إبراهيم النخعي: " المرجئة أخوف عندي على الإسلام عدتهم من الأزارقة"، وقال سعيد بن جبير: "مثل

(١) السنة لابن أبي عاصم بسند صحيح رقم (٩٠٤)، (١٣٨/٢).
(٢) السنة لابن أبي عاصم رقم (٩٨٣)، (٤٧٦/٢) بسند صحيح.
(٣) السنة لابن أبي عاصم رقم (٩٤٩)، (٤٦٢/٢) بسند صحيح.
(٤) السنة لابن أبي عاصم رقم (٩٤٨)، (٤٦٢/٢) بسند صحيح.

المرجئة مثل الصابئين"، وقال إبراهيم النخعي لفتنتهم عندي أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة" يعني المرجئة[١].

ومثل ذلك ما جاء في ذم الجهمية قال ابن المبارك: "الجهمية كفار"، وقال الحسن بن عيسى: "الجهمية ومن يشك في كفر الجهمية".

وقال أبو يوسف القاضي: "بخراسان صنفان وما على ظهر الأرض أشر منهما الجهمية والمقاتلية"، وسئل عبد الله بن إدريس عن الصلاة خلف الجهمية، فقال أمؤمنون هم؟[٢] ومن أهل السنة والجماعة أنهم لم يحكموا بالكفر على جميع هذه الفرق بل بكفر الفرقة حيث اجتمعت على ما يكفر وكذا فإنهم ربما تعرضوا للاعتقاد والحكم عليه دون الفرقة ومما يدل على ذلك ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة بسنده إلى سفيان الثوري أنه قال من زعم أن قول الله عزوجل: **﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[٣]، مخلوق فهو كافر زنديق وحلال الدم"[٤]، وروى عن ابن المبارك قوله: "من قال القرآن مخلوق فهو زنديق"[٥]، وروى عن سفيان بن عيينة قوله: "القرآن كلام الله عزوجل من قال مخلوق فهو كافر

---

(١) الشريعة، ص(١٤٣،١٤٤)، انظر: الإبانة لابن بطة (٨٨٤/٢،٨٨٦).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١٠٨/١،١٠٩،١١٣).

(٣) سورة النمل: الآية (٩).

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد (١٠٧/١ رقم ١٢).

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد (١١١/١ رقم ٢١).

ومن شك في كفره فهو كافر"[١]، ولربما حكموا بالكفر على من رد دلالة الحديث ومن ذلك قال يزيد بن هارون عند حديث الرؤية: "من كذب بهذا الحديث فهو بريء من الله عزوجل ومن رسوله ﷺ"[٢]، ولم يعرف عنهم إطلاق الكفر على الفرقة إلا فرقتان هما الجهمية والقدرية قال إبراهيم بن طهمان الجهمية كفار والقدرية كفار"[٣]، ومما يدخل في هذا حرق كتب المبتدعة فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد بسنده: "أن أبا موسى وجد كتاباً فقال لولا أني أخشى أن يكون فيه شيء من كتاب الله لأحرقته"[٤].

خامساً: مناقشة الشبه العقلية وإبطالها بما يدل على عدم صحتها وفساد ما تركبت منه من مقدمات ونتائج ويعبر عنها بالقياس الفاسد وقد حدد الخطيب البغدادي رحمه الله معالم القياس في باب العقائد حيث قال: "والقياس على ضربين ضرب منه في التوحيد وضرب في أحكام الشريعة فالقياس في التوحيد على ضربين: ضرب هو القياس الصحيح وهو ما استدل به على معرفة الصانع تعالى وتوحيده والإيمان بالغيب والكتب وتصديق الرسل فهذا قياس محمود فاعله مذموم تاركه والضرب الثاني من

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١/١١٢ رقم ٢٥).

(٢) السنة (١/٢٣٢ رقم ٤١٩).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/٣٨٦،٣٨٧ رقم ٨٤٠).

(٤) السنة (٢٠/٢٦٥ رقم ١٠٥٧).

القياس في التوحيد هو القياس المذموم الذي يؤدي إلى البدعة والإلحاد نحـو تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه صفاته بصفات المخلوقـين ودفـع قايسـه مـا أثبت ا لله تعالى لنفسه ووصفته به رسله مما ينفيه القياس يفعله"[١].

فصار حد الشبهة العقلية هي القياس المشـتمل علـى نفـي الحـق إثبـات الباطل وهو في حقه سبحانه نوعان:

النوع الأول: قياس تمثيل ومعناه هو ما جعل فيه الخالق فرعـاً والآخـر أصلاً يقاس عليه لوجود وصف جـامع بينهمـا ووجـه حرمـة استعماله في حقه تعالى استلزامه للتمثيل تمثيل الخالق بالمخلوق أو تمثيل المخلوق بالخالق وهو ما نفاه ا لله عن نفسه بقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[٢]، وقوله: ﴿**هل تَعْلَم لَهُ سَمِيّاً**﴾[٣].

النوع الثاني: قياس شمول وهو ما جعل فيــه الخـالق والمخلـوق فروعـاً وجزئيات لقاعدة عامة ووجه حرمته استلزامه لتماثل الخالق والمخلوق فيما دل عليه عموم القاعدة وهو داخل أيضـاً في مسـمى التمثيـل الـتي جـاءت الأدلة الشرعية والعقلية بنفيه عنه تعالى[٤] كما تقدم فمثال التمثيل أن يقال

---

(١) كتاب الفقيه والمتفقه (١/٢٠٩).

(٢) سورة الشورى: الآية (١١).

(٣) سورة مريم: الآية (٦٥).

(٤) الرد على المنطقين، ص(٣٦٤) ونحوه منطق ابن تيمية، ص(١٤١،١٤٢).

أن الخالق أصل والمخلوق فرع والعلة الجامعة الاتصاف بالصفات فيكون الحكم أن صفات كل واحد منهما مماثلة لصفات الآخر وهو باطل لأن الفرق بين الخالق والمخلوق من أوضح الأمور فلا يكون أحدهما مثل للآخر.

ومثال قياس الشمول أن يقال كل متصف بالصفات فهو جسم النتيجة أن الخالق والمخلوق جسم وهو قياس غير صحيح للبون الشاسع بين الخالق والمخلوق ولما يشتمل عليه من اللفظ المجمل المحتمل للحق والباطل مما لم يرد به كتاب ولا سنة فيكون بدعة ووجه كون القياس الفاسد من الشبهات، هو ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية: "والقياس الفاسد إنما هو من باب الشبهات"، لأنه تشبيه للشيء في بعض الأمور ربما لا يشبهه فيه فمن عرف الفصل بين الشيئين اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه والقياس الفاسد وما من شيئين إلا ويجتمعان في شيء ويفترقان في شيء فبينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه والقياس الفاسد لا ينضبط كما قال الإمام أحمد: "أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس فالتأويل في الأدلة السمعية والقياس في الأدلة العقلية وهو كما قال: والتأويل الخطأ إنما يكون في الألفاظ المتشابهة والقياس الخطأ إنما يكون في المعاني المتشابهة"[1]، ومن الأقيسة الفاسدة في

---

(١) النفائس، ص(٤٢).

باب الأسماء والصفات لله يستلزم التشبيه بالمخلوقات فلا يوصف الرب بالصفات وبيان فساد هذا القياس من وجوه[1]:

١- أن لفظ التشبيه لفظ مجمل لأنه بحسب الاصطلاح له معنيان:

أ - أن يكون مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك له في الاسم.

ب- أن يكون مشابه للمخلوق من كل وجه فالأول ممن اتفق العقلاء على إثباته وأنه لا يلزم منه محذور أصلاً، وأما الثاني فهو الذين نفته الأدلة لكنه غير لازم في الصفات، لأن صفاته تعالى تحذو حذو ذاته فكما أنها ثابتة ولم يلزم في ذلك تشبيه فكذلك لا يلزم في صفاته تعالى.

٢- أنه لاضابط لاستعماله هذا الطريق إذ كل من المثبت والنافي يمكن أن يستعمله.

٣- أن تسمية القدر المشترك تشبيه أمر باطل: "فهذا المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وإنما الواجب نفي ما نفته الأدلة الشرعية والعقلية والقرآن قد نفى مسمى المثل والكفء والند ونحو ذلك، ولكن يقولون: الصفة في لغة العرب ليست مثل الموصوف ولا كفأه ولا نده فلا يدخل في النص، وأما العقل فلم ينف مسمى التشبيه في اصطلاح المعتزلة"[2].

---

(١) النفائس، ص(٤٦، ٤٧).

(٢) النفائس، ص(٤٧، ٤٨).

٤- أن إثبات هذا القدر المشترك "لا يستلزم إثبات ما يمتنع على الرب سبحانه ولا نفي ما يستحقه فلم يكن ممتنعاً"(١).

وقد رد السلف على الشبه العقلية التي يثيرها أهل البدع ومن ذلك رد الإمام أحمد على الجهمية في قولهم الذي حرره بقوله: "ثم أن الجهم ادعى أمراً آخر فقال: إن الله يقول: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٢)، فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهم فشبه على الناس وليس عليهم فقلنا له أليس إنما أوقع الله جل ثناؤه الخلق والمخلوق على ما في السموات والأرض وما بينهما فقالوا نعم فإنه لم يجعل ما فوق السموات مع الأشياء المخلوقة وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة لم يسمها ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة وإنما وقع الخبر على السموات والأرض وما بينهما فقلنا فيما ادعوا أن القرآن لا يخلو أن يكون في السموات أو في الأرض أو فيما بينهما فقلنا الله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَا خَلَقَ اللهُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ﴾(٣)، فالذي خلق به السموات والأرض هو قوله لأن الله

(١) النفائس، ص(٥٠).

(٢) سورة السجدة: الآية (٤).

(٣) سورة الروم: الآية (٨).

يقول الحق وقال: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُول﴾[١]، ﴿ويومَ يقولُ كُنْ فَيَكُون قوله الحقُّ﴾[٢] فالحق الذي خلق به السموات والأرض قد كان قبل السموات والأرض والحق قوله وليس قوله مخلوقاً"[٣]، فالشبهة العقلية هنا تحريرها أن يقال كل ما في السموات والأرض وما بينهما مخلوق والقرآن بينهما فيكون مخلوقاً فرد الإمام أحمد عليه بأمرين:

الأول: أن هناك مخلوقات فوق السموات لم يشملها الخطاب فلتكن غير مخلوقة.

الثاني: أن أخبار الله أن السموات والأرض وما بينهما خلقتا بالحق ولا يمكن ذلك إلا إذا كان الحق موجوداً قبلهما وهو قوله كما دل عليه القرآن فلا يدخل في عموم الآية فلا يكون مخلوقاً.

ومنه ما نقله الأصفهاني: "أن بشراً المريسي لقي منصور بن عمار فقال له أخبرني عن كلام الله أهو الله أم غيره أم دون الله فقال أن كلام الله لا ينبغي أن يقال هو الله ولا هو غيره ولا هو دون الله لكنه كلامه، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآن أَن يُفْتَرَى مِن دُون الله﴾[٤].

---

(١) سورة ص: الآية (٨٤).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٧٣).

(٣) عقائد السلف، ص(٨٤) الرد على الزنادقة والجهمية.

(٤) سورة يونس: الآية (٣٧).

أي لم يقل أحد إلا ا لله فرضينا حيث رضي لنفسه واخترنا ا لله من حيث اختار لنفسه فقلنا كلام ا لله ليس بخالق ولا مخلوق فمن سمى القرآن بالاسم الذي سماه ا لله به فهو من المهتدين ومن سماه باسم من عنده كان من الغافلين فاله من هذا: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِه سَيُجْزَونَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، فإن تأبى إلا أن تفعل كنت من الذين ﴿يَسْمَعُونَ كَلاَمَ ا للهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ ما عَقَلُوه وَهُم يَعْلَمُونَ﴾[2][3]، فبشر استعمل طريقة السبر والتقسيم فحصر الفروض في الثلاثة وأراد إلزام منصور بها للقول بخلق القرآن ورد عليه منصور بعدة أمور:

الأول: أن ثم قِسْماً رابعاً لم يذكر وهو كون القرآن كلام ا لله وقوله هو ما ورد به النص.

الثاني: أن كلام بشر قول مبتدع حيث أن الكتاب والسنة لم يطلقا على القرآن شيئاً مما قال.

الثالث: أن ا لله أخبر عن القرآن أنه كلامه وهو أعلم بنفسه منا فوصفناه بما وصف به نفسه لأنه أعلم بها إذ أيُّ قول يقال خلافه فهو قول عليه تعالى بغير علم.

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٨٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (٧٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٣٩٣/١، ٣٩٤).

الرابع: أن استعمال بشر لهذه الألفاظ المجملة المحتملة تحريف لكلام الله عن مواضعه.

الخامس: أن باب الصفات توقيفي لا يتجاوز فيه النص، والنص جاء بكون القرآن كلام الله وقوله فإن خالفه بشر لم يخرج عن أحد أمرين، إمّا أن يكون من الذين يحرفون كلام الله أو من الذين يلحدون في آياته وهما محرمان مما بني عليهما وهو القول بخلق القرآن محرم وباطل.

ومن أحسن الردود على شبهات المبطلين الكتاب المسمى بالحيدة لعبد العزيز الكناني حيث أورد بشر المريسي بعض الشبهات ومنها ما دل عليه قوله لعبد العزيز الكناني: "قال بشر نقول يا عبد العزيز القرآن شيء أو غير شيء فإن قلت شيء فقد كفرت لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء"[1]، فأجابه بما حكاه بقوله: "فقلت لبشر سألت عن القرآن هو شيء أم غير شيء فإن كنت تريد أنه شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم فنعم هو شيء وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا"، ووجه تركيب شبهة بشر القياسية أن يقال أن القرآن شيء وكل شيء مخلوق فالقرآن مخلوق فأجابه عبد العزيز بما محصله أن لفظ شيء لفظ مجمل لا يعرف المراد به إلا بتعيين مقصودك منه فإن قصدت به أنه موجود فالقرآن موجود وإن أردت به أنه اسم الله أو أنه شيء مماثل لما

---

(١) الحيدة، ص(١٨،١٩).

سواه من الأشياء المخلوقة فلا لأنه صفته فلا يكون من مخلوقاته وأسماء الله توقيفية، و لم يرد الشرع بتسميته شيئاً فلا يكون اسماً من أسمائه ولذا لما أجاب عبد العزيز بذلك دهش بشر لأنه يظن أن شبهته هذه من القوة بحيث لا يجاب عليها حيث قال بشر: "ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه ولابد من جواب يعقل أنه شيء أم غير شيء"[1]، هذا ومن خلال عرضنا لبعض الشبهات مع أجوبتها لبعض علماء السلف يتبين لنا مدى ما اتسم به مذهب السلف من انضباط في أصول استدلاله وطرق رده مما يدل على أنه الحق الذي يمثل دين الإسلام في صفائِهِ ونقائه مع ما في ردهم من بعد عن مجملات الألفاظ.أو القول على الله بغير علم أو التعبير بما لا يفهم من المعاني أو يمكن إدراكه من المقاصد.

رابعاً: بيان الفرق بين فرق الضلال في الاعتقاد وأهل الحق وذلك عند اشتباه الحق بالباطل والضلالة بالهدى ويظهر ذلك في الأمور التالية:

١- بيان العقائد التي تميز أهل السنة والجماعة عمن عداهم من أهل البدع ومما يدل على ذلك قول عبد الله بن المبارك: "أصل اثنين وسبعين هوى القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على أصحاب رسول الله ﷺ و لم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره، ومن قال الصلاة

(١) الحيدة، ص(١٨،١٩).

خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره ومن قال: المقادير كلها من الله عزوجل خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة"(١).

٢- بيان علامات أهل السنة وخصائصهم المميزة لهم عما سواهم يقول أبو إسماعيل الصابوني: "وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار ويدلون أصحابهم على دار البوار وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله"(٢).

٣- بيان الآداب التي يتأدبون بها ومن ذلك ما ذكره أبو محمد البربهاري بقوله: "ولا يحل أن تكتم النصيحة عن أحدٍ من المسلمين برهم وفاجرهم في أمر الدين فمن كتم فقد غش المسلمين ومن غش المسلمين فقد غش الدين ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"(٣).

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٧)، فقرة (١٢٢).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١٠٨)، فقرة (١٧١).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٧)، فقرة (٥٧).

وقال أبو إسماعيل الصابوني: "ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات احرازاً للأجور الجميلة بها والمثوبات"[(١)].

٤- أن ما عليه أهل السنة هو ما كان عليه الرسول ﷺ حتى جرى الخلاف بين الأمة المحمدية وعليه فيجب الرجوع لما كان عليه الرسول وأصحابه وتابعوهم بإحسان ليعرف مذهب أهل السنة والجماعة ومنهجهم يقول البربهاري: "واعلم أن الدين العتيق ما كان من وفاة الرسول ﷺ إلى قتل عثمان بن عفان ﷺ وكان قتله أول الفرقة وأول الاختلاف فتحاربت الأمة وافترقت واتبعت الطمع والهوى والميل إلى الدنيا"[(٢)]. "وليس لأحد رخصة في شيء أخذ به ما لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ أو يكون رجل يدعوا إلى شيء أحدثه من قبله من أهل البدع فهو كمن أحدثه من زعم ذلك أو قال به فقد رد وخالف الحق والجماعة وأباح الهوى وهو أشر على هذه الأمة من إبليس ومن عرف ما ترك أهل البدع من السنة وما فارقوا منها فتمسك به فهو صاحب سنة وصاحب جماعة وحقيق أن يتبع وأن يعاون وأن يحفظ وهو ممن أوصى به رسول الله ﷺ"[(٣)].

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(٩٧،٩٨).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٤٥،٤٦)، فقرة (٨٣،٨٤).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٤٥،٤٦)، فقرة (٨٣،٨٤).

٥- بيان أن أهل السنة لا اسم لهم غير هذا الاسم، ولذا كان من أبرز صفاتهم التمسك بالسنة والجماعة يقول البربهاري: "واعلم أن الإسلام هو السنة والسنة الإسلام ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر فمن السنة لزوم الجماعة ومن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلاً والأساس الذي نبينا عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ رحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع وكل بدعة ضلالة والضلال وأهله في النار قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى ولا في هدى تركه حسبه ضلالة فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر"، وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين للناس فعلى الناس الاتباع"[١]، وكل اسم سوى السنة والجماعة فهو بدعة يقول البربهاري: "إذا سمعت الرجل يقول تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد فاعلم أنه خارجي معتزلي أو يقول فلان مجبر أو يتكلم بالإجبار أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع"[٢].

٦- بيان الفروق الخاصة ببعض أبواب الاعتقاد كالفرق بين الإرادة الكونية والإرادة القدرية وبين تفويض السلف وتفويض أهل البدع

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٢١،٢٢)، فقرة (١،٢).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٢)، فقرة (١١١).

والفرق بين معنى الكسب عند الأشعرية ومعنى الكسب عند السلف ونحو ذلك من الفروق العقدية التي تختص ببعض أبواب الاعتقاد وليست من قبيل الفروق العامة بين أهل السنة وغيرهم من أهل البدع، فإن السلف مثلاً يفوضون في الكيفيات دون المعاني اللغوية، وأما المفوضة من أهل البدع فالتفويض عندهم في المعاني اللغوية والكيفيات فيكون الفرق محله المعاني اللغوية(١)، وبناء على هذا الفرق كان مذهب السلف أن ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله من الأسماء والصفات من المحكم الذي يدرك معناه بمجرد إطلاق لفظه وأما مذهب المفوضة فهو أن أسماء الله وصفاته من المتشابه الذي لا يعلم معناه اللغوي إلا الله وقد ينسب هذا المذهب إلى السلف مما يسبب الخلط بينهما وبذا يتبين لنا فائدة هذه الفرق في تمييز مذهب السلف عن مذهب المفوضة المبتدعة المخالفة للكتاب والسنة(٢).

٧- بيان أن السلف لا يستعملون الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل ومما يدل على ذلك قول الإمام أحمد بن حنبل في رده على الجهمية حيث حكى قولهم ورد عليه: "ثم أن الجهمي ادعى أمراً آخر وهو المحال فقال أخبرونا عن القرآن أ هو الله أو غير الله فادعى في القرآن أمراً يوهم الناس فإذا سئل الجاهل عن القرآن هو الله أو غير الله

---

(١) انظر: النفائس، ص(١٥٩).

(٢) تنبيه ذوي الألباب السليمة، ص(٣٢،٣٣).

فلابد له من أن يقول أحد القولين فإن قال: "هو الله" قال له الجهمي كفر، وإن قال "غير الله" قال صدقت فلم لا يكون غير الله مخلوقاً فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي وهذه المسألة من الجهمي هي من الأغاليط والجواب للجهمي إذا سأل فقال أخبرونا عن القرآن هو الله أو غير الله؟ قيل له: إن الله جل ثناءه لم يقل إن القرآن أنا و لم يقل غيري قال هو كلامي فسميناه باسم سماه الله به فقلنا: "كلام الله" فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ومن سماه باسم من غيره كان من الضالين"[١].

وقال رحمه الله أيضاً في رده على قول الجهمي هو شيء أم لا فقلنا إن الله سبحانه لم يسم كلامه في القرآن شيئاً إنما سمى شيئاً الذي بقوله ألم تسمع قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾[٢]، فالشيء ليس هو قوله، وإنما الشيء الذي كان يقوله، وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾[٣] ثم قال: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً﴾[٤]، فالشيء ليس أمره إنما الشيء الذي كان بأمره"[٥].

(١) شذرات البلاتين (١٩/١).

(٢) سورة النحل: الآية (٤).

(٣) سورة يس: الآية (٨٢).

(٤) سورة يس: الآية (٨٢).

(٥) المرجع السابق (٢١/١).

٨- ضبط المراد بأهل السنة عن طرق ذكر العقائد المميزة لأهل السنة والجماعة حتى لا يختلطوا بغيرهم فقد روى الإمام اللالكائي بسنده عن أبي قاسم عبد الجبار العيدي يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول، وقيل له متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة. قال إذا عف من نفسه عشر خصال:

أ - لا يترك الجماعة.

ب- ولا يسب أصحاب النبي ﷺ.

جـ- ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف.

د -ولا يكذب بالقدر.

هـ- ولا يشك في الإيمان ولا يماري في الدين.

و - ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب.

ز - ولا يترك المسح على الخفين.

حـ- ولا يترك الجماعة خلف إن جار أو عدل"[١].

٩- بيان أصولهم التي التزموها في الاعتقاد يقول الإمام أحمد بن حنبل: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٨٢،١٨٣).

والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين"[١].

١٠- بيان معنى السنة حتى يعرف صاحبها من صاحب البدعة فقد روى الإمام أبو القاسم اللالكائي بسنده إلى سفيان بن عيينة[١] يقول: السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: "إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، الإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة ولايقطعون بالشهادة على مسلم".

١١- بيان أن أهل السنة والجماعة مصدر التلقي عندهم الكتاب والسنة ومعقولهما دون الرأي والعقل المجرد من اتباع نص الشرع يقول أبو القاسم الأصفهاني: "واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هي مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوها الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة قالوا الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع"[٢].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٥٥،١٥٦).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/٣٢٠).

خامساً: إجراء المناظرات العلمية والتي من خلالها يبين زيف الباطل وزخرفة وفساد ما يبنى عليه من أصول وقواعد كلية ويطلق على هذه المناظرات (الجدل) مشتق من جدلت الحبل إذا لففت بعضه على بعض[١]، والجدل اصطلاحاً: هو إبطال قول الخصم بما يدل على بطلانه وإثبات الحق بالدليل[٢]، ويسمى الخصومة والمراء ووجه مناسبة المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي أن كلا من المتجادلين يرجع على حجة خصمه بالإبطال وقد جاءت الآثار الوفيرة الكثيرة في ذم الجدل مع أهل البدع ومن ذلك:

١- قال الحسن: "لاتجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم"[٢].

٢- قال الأوزاعي: "إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل"[٣].

٣- قال معاوية بن قرة: "الخصومات في الدين تحبط الأعمال"[٤].

٤- قال عمر بن عبد العزيز: "من جعل دينه غرضاً للخصومات

---

(١) قارن شرح الكوكب المنير (٣٥٩/٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣٣/٢ رقم ٢٤٠).

(٣) المرجع السابق (١٤٥/٢ رقم ٢٩٦).

(٤) الشريعة في الآجري، ص(٥٦).

أكثر التنقل"[٦].

٥- قال عبد الكريم الجزري: "ما خاصم ورع قط في الدين"[١].

وكانوا يرفضون مناظرة أهل البدع ومما يدل على ذلك:

١- قال أيوب: "لست براد عليهم أشد من السكوت"[٢].

٢- قال هشام بن حسان قال: "جاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك في الدين فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني فإن كنت أضللت دينك فالتمسه"[٣].

قال مهدي بن ميمون قال سمعت محمد بن سيرين وما رآه رجل ففطن له فقال: إني أعلم ما تريد أني لو أردت أماريك كنت عالماً بأبواب المراء"[٤]. وحكى الآجري أسماء عدد من علماء السلف الذين نهوا عن الجدال والمراء والخصومة في الدين ومناظرة أهل البدع حيث قال: "وبعد هذا نأمر بحفظ السنن عن رسول الله ﷺ وسنن أصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وقوله أئمة المسلمين مثل مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وابن المبارك وأمثالهم، والشافعي، وأحمد بن حنبل،

---

(١) المرجع السابق، ص(٥٨).

(٢) الشريعة للآجري، ص(٦١).

(٣) الشريعة للآجري، ص(٥٧).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية (٢/٥٢٢ رقم ٦٢٢).

والقاسم بن سلام، ومن كان على طريقة هؤلاء من العلماء ﷺ ونبذ من سواهم ولا نناظر ولانجادل ولا نخاصم، وإذا لقي صاحب بدعة أخذ غيره وإن حضر مجلساً هو فيه قام عنه هكذا أدبنا مضي من سلفنا"[١]. وقد حكى عبد الرحمن بن أبي الزناد إجماع السلف على ذلك حيث قال: "أدركنا أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي أشد العيب وينهوننا عن لقائهم ومجالستهم وحذرونا مقاربتهم أشد التحذير ويخبرونا أنهم على ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسوله ﷺ"[٢]، وقد أشار ابن بطة العكبري إلى مفاسد الجدل فقال: "فاعلم يا أخي أني لم أر الجدال والمناقضة والخلاف والمماحلة والأهواء المختلفة والآراء المخترعة من شرائع النبلاء ولا من أخلاق العقلاء ولا من مذاهب أهل المروءة ولا مما حُكيَ لنا عن صالحي هذه الأمة ولا من سير السلف ولا من شيمة المرضيين من الخلف وإنما هو لهو يتعلم دراية يتفكه بها ولذة يستراح إليها ومهارسة العقول وتدريب اللسان بمحق الأديان وضراوة على التغلب واستمتاع بظهور حجة المخاصم وقصد إلى قهر المناظر والمغالطة في القياس وبهت في المقاولة وتكذيب الآثار وتسفيه الأحلام الأبرار ومكابرة لنص التنزيل وتهاون بما قاله الرسول ونقض لعقدة الإجماع وتشتيت الألفة وتفرق لأهل الملة وشكوك تدخل على

---

(١) الشريعة للآجري، ص(٦٤).

(٢) الإبانة لابن بطة العكبري (٥٣٢/٢).

الأمة وضراوة السلاطه وتوغير للقلوب وتوليد للشحناء في النفوس عصمنا الله وإياكم من ذلك وأعاذنا من مجالسة أهله"[(١)]، وقال اللالكائي في بيان آثار الجدل السيئة على الأمة: "مما جني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة و لم يكن له قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمد ورد ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً حتى كثرت بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة حتى تقابلت الشبهة في الحجج وبلغوا من التدقيق في اللجج فصاروا أقراناً وأخداناً وعلى المداهنة خلاناً وأخواناً بعد أن كانوا في الله أعداء وأضداداً وفي الهجرة في الله أعواناً يكفرونهم في وجوههم عياناً ويلعنونهم جهاراً وشتان ما بين المنزلتين وهيهات ما بين المقامين"[(٢)].

وقد جاءت عدة آثار في بيان آثار الجدل السيئة ومن ذلك:

١ - الضلالة عن الهدى قال عمر بن الخطاب ﷺ: "إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاثة: جدال المنافق بالقرآن لا يخطئ واواً ولا ألفاً يجادل الناس أنه أجدل منهم ليضلهم عن الهدى وزلة عالم وأئمة المصلين

---

(١) الإبانة في شريعة الفرق الناجية لابن بطة العكبري (٥٣١/٢، ٥٣٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩/٢، ٢٠).

ثلاث بهن يهدم الزمن"[١].

٢- ضعف الإيمان: "قال ميمون أبي عمر قال لا يصيب عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً"[٢].

٣- احباط الأعمال: "قال سمعت أبا نصر عن بشر بن الحارث الخصومات تحبط الأعمال"[٣].

٤- قساوة القلب ويورث الضغن قال مالك بن أنس: "المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغن"[٣].

٥- الإفساد بين الناس قال عبد الله بن الحسين: "المراء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون المغالبة والمغالبة أمتن أسباب القطيعة"[٣].

٦- قلة المروءة وضياع الكرامة قال الأصمعي قال سمعت أعرابياً يقول من لاحا الرجال وما رآهم قلت مروئته وهانت كرامته ومن أكثر من شيء عرف به"[٤].

٧- الإثم، قال سفيان: قيل لعبد الله بن حسن مالك لا تماري إذا جلست

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/٥٢٧ رقم ٦٤١).

(٢) نفس المرجع (٢/٥٢٨ رقم ٦٤٥).

(٣) نفس المرجع (٢/٥٣٠ رقم ٦٥٠،٦٥٣،٦٥٥).

(٤) الإبانة لابن بطة (٢/٥٣١ رقم ٦٥٦،٦٥٧).

فقال ما تصنع بأمر إن بالغت فيه أثمت و إن قصرت فيه خصمت.

٨- يورث النفاق قال جعفر بن محمد ﷺ: "إياكم والخصومة في الدين فإنها تورث النفاق"[١].

٩- شغل القلب، قال جعفر بن محمد ﷺ: "إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق"[٢].

١٠- ضرب القرآن بعضه ببعض، قال عون بن عبد الله: "لا تفاتح أصحاب الأهواء في شيء فإنهم يضربون القرآن بعضه ببعض قال يعقوت: " ما فتح على وعابنا أكثره وشاهدناه فلو أن رجلاً ممن وهب الله له عقلاً صحيحاً"[٣].

١١- محق الدين، قال علي: "إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين"[٤].

١٢- الاختلاف والفرقة، قال ابن عباس: "أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم بما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات"[٥].

---

(١) نفس المرجع (٢/٥٢٦ رقم ٦٣٦).

(٢) نفس المرجع (٢/٥٢٥ رقم ٦٣٥).

(٣) نفس المرجع (٢/٥٢٢،٥٢٣ رقم ٦٢٥).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/١٢٧ رقم ٢١١).

(٥) نفس المرجع السابق (٢/١٢٧ رقم ٢١٢).

١٣- تلبيس الدين على الناس قال أبو قلابة: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لَبِسَ عليهم"[١].

١٤- الشك قال عمر بن عبد العزيز: "من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر الشك أو قال يكثر التحول"[٢]، هذا وإنما ذم السلف من المناظرة والجدل ما ترتبت عليه المفاسد المتقدمة مع رد الحق ونشر الباطل وهذا هو الذي دل عليه نص الكتاب والسنة كقوله سبحانه: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤]، وقال: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٥]، وروى الآجري وابن بطة العكبري كل بسنده عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٦]، وروى ابن بطة بسنده عن

(١) الشريعة للآجري، ص(٦٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/١٢٨ رقم ٢١٦).

(٣) سورة غافر: الآية (٤).

(٤) سورة الحج: الآية (٨).

(٥) سورة الزخرف: الآية (٥٨).

(٦) الشريعة للآجري، ص(٥٤)، الإبانة لابن بطة العكبري (٢/٤٤٨ رقم ٥٣٠)، الحجة في =

عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[1]، ولما اشتملت عليه ألفاظ المناظرين من الألفاظ البدعية والمجملة التي يختلط فيها الحق بالباطل فيحصل الالتباس والإشكال بسبب ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظاً بدعياً ولا يخالف دليلاً عقلياً ولا شرعياً فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمة الذين لا يوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفي بل يقولون ما تعنون بقولكم"[2]، وإذا خلت المناظرة من ذلك جازت في ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إذا قصد الاستفادة من دراسة العلم ومذاكرته ومعرفة أساليب الاستدلال وطرق الاستنباط ومعرفة الحق لا بقصد مغالبة ولا ظهوراً ولا خصومة بل إن صواب قرينه أحب إليه من صواب نفسه.

الحالة الثانية: ما تدعوا إليه الضرورة من رد باطل عظيم أمره وكثر شره وخيف الفتنة به.

=

بيان النحجة (١/٣١١ رقم ١٦٩)، وقد أشار المحقق في قول الترمذي حديث حسن صحيح.

(١) الإبانة لابن بطة العكبري (٢/٤٩٢ رقم ٥٣٦).

(٢) درء العقل والنقل (١/٣٥١).

الحالة الثالثة: أن يفتن سلطان جائر الناس على قول الباطل فتتعين المناظرة لإظهار الحق ورد الباطل ودرء الفتنة عن الخلق ويدل على ذلك قول الآجري رحمه الله "إن أردت وجه السلامة في المناظرة لطلب الفائدة كما ذكرت فإذا كنت أنت حجازياً والذي يناظرك عراقياً وبينكما مسألة تقول أنت حلال ويقول هو بل هو حرام فإن كنتما تريدان السلامة فقل له رحمك الله هذه المسألة قد اختلف فيها من تقدم من الشيوخ فتعال حتى نتناظر فيها مناصحة لامغالبة فإن يكن الحق فيها معك اتبعك وتركت قولي وإن يكن الحق معي اتبعتني وتركت قولك لا أريد أن تخطئ ولا أغالبك ولا تريد أن أخطئ ولا تغلبني فإن جرى الأمر على هذا فهو حسن جميل وما أعز هذا في الناس"[١].

وقال في موضع آخر: "فإن قال قائل فإن اضطر في الأمر وقتاً من الأوقات إلى مناظراتهم وإثبات الحجة عليهم ألا يناظرهم قيل الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل رحمه الله ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس ودعوهم إلى مذهبهم السوء فلم يجد العلماء بدا من الذب عن الدين وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل فناظروهم ضرورة لا

---

(١) الشريعة للآجري، ص(٦٦).

اختياراً"[١]، ويدل على هذا المعنى ما رواه ابن بطة العكبري بسنده عن حسين الزعفراني يقول سمعت الشافعي يحلف وهو يقول ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة وما ناظرت أحداً ما فأحببت أن يخطئ"[٢]، ثم قال ابن بطة معلقاً: "أفهكذا أنت يا أخي بالله عليك إن ادعيت ذلك فقد زعمت أنك خير من الأخيار وبدل من الأبدال والذي يظهر من أهل وقتنا أنهم يناظرون مغالبة لا مناظرة ومكابدة لا مناصحة ولربما ظهر من أفعالهم ما قد كثر وانتشر في كثير من البلدان مما يظهر من قبيح أفعالهم وما يبلغ بهم حب المغالبة ونصرة الخطأ أن تحمر وجوههم وتدر عروقهم وتنتفخ أوداجهم ويسيل لعابهم ويرجف بعضهم إلى بعض حتى ربما لعن بعضهم بعضاً وربما برق بعضهم على بعض وربما مد أحدهم يده إلى لحية صاحبه"[٣].

وقد بينوا الآداب المرعية في المناظرة المباحة حيث قال ابن بطة العكبري رحمه الله: "فالذي يلزم المسلمين في مجالسهم ومناظراتهم في أبواب الفقه والأحكام تصحيح النية بالنصيحة واستعمال الإنصاف والعدل ومراد الحق الذي قامت به السموات والأرض فمن النصيحة أن تكون تحب صواب مناظرك ويسوؤك خطأه كما تحب الصواب من نفسك ويسوؤك الخطأ

(١) المرجع السابق، ص(٦٦).
(٢) المرجع السابق، ص(٦٢).
(٣) الإبانة لابن بطة (٢/٥٤٦).

منها فإنك إن لم تكن كذلك كنت غاشاً لأخيك ولجماعة المسلمين وكنت محباً أن يخطأ في دين الله وأن يكذب عليه ولا يصيب الحق في دين الله ولا يصدق فإذا كانت نيتك أن يسرك صواب مناظرك ويسؤوك خطأه فأصاب وأخطأت لم يسوؤك الصواب ولم تدفع ما أنت تحبه بل سرك ذلك وتتلقاه بالقبول والسرور والشكر لله عزوجل حين وفق صاحبك لما كنت تحب أن تسمعه منه فإن أخطأ ساءك ذلك وجعلت همتك التلطف لتزيله عنه لأنك رجل من أهل العلم يلزمك النصيحة للمسلمين بقول الحق فإن كان عندك بذلته وأحببت قبوله إن كان عند غيرك قبلته ومن ذلك عليه شكرت له"[1]، وقال في موضع آخر: "سمعت بعض شيوخنا رحمه اللّه يقول المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة، وحسبك بهذه الكلمة أصلاً ترجع إليه وتحمل أمورك كلها عليه وبما حيته لك من أفعال المناظرين وسوء مذاهبهم عاراً تأنف منه وتنأى عنه"[2]، وهذا الذي سلكه السلف من المناظرة والجدل المباح هو الذي دل عليه نص الكتاب والسنة المطهرة حيث قال سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]، فوصف الجدل بالحسنى وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان على سبيل المناصحة ونصرة

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/٥٤٦).

(٢) نفس المرجع (٢/٥٤٨).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥).

الحق لا لمجرد المغالبة والانتصار وقد تواترت نصوص القرآن بأنواع المناظرات كمناظرة إبراهيم للنمرود ومناظرة موسى لفرعون ومناظرة عيسى لبني إسرائيل وغيرهم من الأنبياء والمرسلين مما يدل دلالة صريحة على إباحة هذا النوع من المناظرات بل قد تكون من الواجبات الشرعية إذا ترتب على عدمها انتشار الباطل ورد الحق وفتنة الخلق عن دينهم واعتقادهم للباطل هذا والجدل لم يرد القرآن بذمه مطلقاً لكن جاء في القرآن ذم الجدل في المواضع التالية:

الأول: الجدل في الحق ظهوره كقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾[1].

الثاني: الجدل بغير علم كقوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُم هؤُلاءِ حَاجَجْتُم فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْم﴾[2].

الثالث: الجدل بالباطل كقوله: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[3].

الرابع: الجدل في آياته كقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آياتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ

(١) سورة الأنفال: الآية (٦).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٦٦).

(٣) سورة غافر: الآية (٥).

(٤) سورة غافر: الآية (٤).

أَتَاهُم كَبرُ مَقْتاً عِندَ ا للهِ وعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[١]، وقوله: ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آياتِنَا مَا لَهُم مِن مَحِيص﴾[٢]، ونحو ذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي ا للهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتهم داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِم﴾[٣]، وقوله: ﴿وَهُم يُجَادِلُون فِي ا للهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمحال﴾[٤]، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ا للهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ولا هُدىً ولا كِتَابٍ مُنير﴾[٥][٦].

سادساً: يخاطب كل قوم باصطلاحهم ما داموا لا يفهمون إلا به مع اقتران اللفظ بما يعنيه للحق حتى يعرف المراد ولا يدخله الاحتمال وذلك لأن الأصل في باب العقيدة التعبير بألفاظ الكتاب والسنة وما استعمله السلف من الألفاظ والتراكيب، وأما بعد فرقة الأمة واستقلال كل فرقة بألفاظها الاصطلاحية التي رتبوا عليها من المعاني والأحكام العقدية ما يدعون أن الكتاب والسنَّة قصدها وفي أقل تقدير جعلوها معبرة عن مقاصد ا لله ورسوله ﷺ والأمر في حقيقته ليس كذلك مما جعل هذه

---

(١) سورة غافر: الآية (٣٥).

(٢) سورة الشورى: الآية (٣٥).

(٣) سورة الشورى: الآية (١٦).

(٤) سورة الرعد: الآية (١٣).

(٥) سورة الحج: الآية (٨).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (١/٤٧،٤٨).

الألفاظ والتراكيب والاستعمالات عند المصطلح عليها معبرة عما يريده مما فهمه من عقائد وأحكام عقدية الأمر الذي يصعب بسببه مخاطبة هذه الفرق بعضها مع بعض لغياب اللغة المشتركة التي يمكن التفاهم بها، وبناء على ذلك فإنّ السلف اعتبروا هؤلاء بحال من لا يعرف لغة العرب من الأعاجم التي يحتاج في تبليغ الحق وتعليمه إلى مخاطبة الأعجمي بلغته التي يفهم بها. ومن هنا تأتي أهمية هذا الأصل السلفي في تبليغ ما هم عليه من الحق من جهة وردّ ما اشتملت عليه هذه المصطلحات من باطل. ومن هذا المنطلق نادى السلف بوجوب استعمال الألفاظ القرآنية والنبوية في التعبير عن عقائد القلوب لأن الشارع لازم بين ألفاظه وأحكامه وحرّموا ترتيب أي أمر عقدي على أي لفظ اصطلاحي حتى يعرف المراد منه، وعندئذٍ يبيّن لصاحب الاصطلاح ما في اصطلاحه من احتمال ومدى ما في ألفاظ الكتاب والسنة من الانضباط، ولذا نصّ العلماء على أنّ تعلم العربية التي هي لغة الكتاب والسنة أمر متعيّن على المسلمين بحيث تنشأ ناشئة المسلمين على ذلك حتى يمكنهم فهم ما يريده الله منهم من أحكام عملية وأخرى علمية عقدية. وأما إذا قصر المسلمون في ذلك فإنّ نتيجة ذلك أن يوجد جيل منفصم العرى بين لغته ولغة القرآن والسنة النبوية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما اعتبار الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة لمصر وأهله، ولأهل الدار وللرجل مع صاحبه ولأهل السوق أو للأمراء أو لأهل الديوان أو

لأهل الفقه. فلاريب أن هذا مكروه؛ فإنه من التشبّه بالأعاجم وهو مكروه .. وإنما الطريق الحسن: اعتبار الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى، فإنه يصعب عليه.

واعلم أنّ اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيّناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضاً فإنّ نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب؛ فإنّ فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم العربية، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب. ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية، وهذا معنى ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال: "كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: "أما بعد: فتفقّهوا في السنة وتفقّهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي". وفي حديث آخر عن عمر ﷺ أنه قال: "تعلّموا العربية فإنها من دينكم، وتعلّموا الفرائض فإنها من دينكم". وهذا الذي أمر به عمر ﷺ من فقه العربية وفقه الشريعة هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو: الطريق إلى فقه أعماله"[١].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص(٢٠٦،٢٠٧).

ومن هنا ذمّ السّلف المتكلّمين على استعمالهم بعض الألفاظ المجملة، وترتيب الأحكام العقدية عليها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالسلف الأئمة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة .. بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معانٍ مجملة في النفي والإثبات، وإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً في الوسائل والمسائل من غير بيان التفصيل والتفسير الّذي هو الصراط المستقيم وهذا مثار الشبه، فإنه لا يوجد في كلام النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من الأئمة المتبوعين أنه علق بمسمى لفظ الجوهر والجسم والتميز والعرض، ونحو ذلك شيئاً من أصول الدِّين لا في الدَّلائل ولا المسائل، والمتكلّمون بهذه العبارات يختلف مرادهم بها تارة لاختلاف الوضع وتارة لاختلافهم في المعنى الذي هو مدلول اللفظ.. والسلف والأئمة ذموا وبدعوا الكلام في الجوهر والجسم والعرض، تضمَّن كلامهم ذمّ من يدخل المعاني التي يقصدها هؤلاء بهذه الألفاظ في أصول الدِّين في دلائله وفي مسائله نفياً وإثباتاً، فأما إذا عرفت المعاني الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة وعبر عنها بهذه الألفاظ ليتبيّن ما وافق الحق من معاني

معاني هؤلاء وما خالفه فهذا عظيم المنفعة، وهو من الحكم بالكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحدةً فبعثَ اللَّهُ النبيِّين مبشِّرينَ ومُنذرينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُم الْكِتَابَ بِالحقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فيه﴾[1]. وهو مثل الحكم بين سائر الأمم بالكتاب فيما اختلفوا فيه من المعاني التي يعبرون بوضعهم وعرفهم، وذلك يحتاج إلى معرفة معاني الكتاب والسنة ومعرفة معاني هؤلاء بألفاظهم، ثم اعتبار هذه المعاني ليظهر الموافق والمخالف، لكنّ لَمّا أصبحت هذه المصطلحات هي اللغة الاصطلاحية التي يفهم بها هؤلاء كان لابد من مخاطبتهم بما يفهمون به المراد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وما من أهل فنّ إلا وهم معترفون بأنهم يصطلحون على ألفاظ يتفاهمون بها مرادهم، كما لأهل الصناعات العملية ألفاظ يعبّرون بها عن صناعتهم، وهذه الألفاظ هي عرفية عرفاً خاصاً ومرادهم بها غير المفهوم منها في أصل اللغة سواء كان ذلك المعنى حقاً أو باطلاً"[2]. ثم بيَّن السبب لطلب الاستفصال لمعاني هذه الألفاظ الاصطلاحية قبل النفي أو الإثبات وترتيب الأحكام العقدية عليها حيث يقول: "وذلك أنّ هؤلاء المعارضين إذا لم يخاطبوا بلغتهم واصطلاحهم فقد يقولون إنّا لا نفهم ما قيل لنا أو أن المخاطب لنا والرادّ علينا لم يفهم قولنا، ويلبّسون على الناس بأنّ الذي عنيناه بكلامنا

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٤٤-٤٦).

حقّ معلوم بالعقل أو الذوق، ويقولون أيضاً: أنه موافق للشرع إذا لم يظهروا مخالفة الشرع كما يفعله الملاحدة من القرامطة والفلاسفة ومن ضاهأهم، وإذا خوطبوا بلغتهم واصطلاحهم مع كونه ليس هو اللغة المعروفة التي نزل بها القرآن فقد يفضي إلى مخالفة ألفاظ القرآن في الظاهر، فإنّ هؤلاء عبّروا عن المعاني التي أثبتها القرآن بعبارات أخرى ليست في القرآن وربّما جاءت في القرآن بمعنى آخر فليست تلك العبارات مما أثبته القرآن بل قد يكون معناه المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفياً باطلاً نفاه الشرع والعقل، وهم اصطلحوا بتلك العبارات على معانٍ غير معانيها في لغة العرب، فتبقى إذا أطلقوا نفيها لم تدلّ في لغة العرب على باطل، ولكن تدلّ في اصطلاحهم الخاص على باطل، فمن خاطبهم بلغة العرب قالوا: "إنَّه لم يفهم مرادنا ومن خاطبهم باصطلاحهم أخذوا يظهرون عنه أنه قال ما يخالف القرآن، وكان هذا من جهة كون تلك الألفاظ المجملة مشتبهة"[(١)].

وإنما كره السلف استعمال هذه الاصطلاحات إذا لم يحتج إلى استعمالها أو استعملت استعمالاً لا يعينها للحقّ بل بما فيها من إجمال، فقول شيخ الإسلام ابن تيمية "وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة لمخاطبة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٢٣/١).

العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم فإنّ هذا جائزٌ حسن للحاجة وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه[1]. ويدلّ على ذلك أمران[2]:

الأول: قول النبي ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص - وكانت صغيرة فولدت بأرض الحبشة لأن أباها كان من المهاجرين إليها: (يا أم خالد هذا سنا). والسنا بلسان الحبشة الحسن لأنها كانت من أهل هذه اللغة.

الثاني: ترجمة القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ويترجمها بالعربية كما أمر النبي ﷺ زيدبن ثابت أن يتعلّم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك، حيث لم يأتمن اليهود عليه[2].

سابعاً: ردّ الباطل بالأدلة الشرعية وإظهار فساده، وذلك من جهتين:

الأول: بالدليل النقلي الصحيح من الكتاب والسنة.

الثاني: بالدليل العقلي المستند إلى دلالة الوحي المنزل من عند اللّه وبناء ذلك فإنّ الباطل قد يكون في الدّلائل وقد يكون في المسائل أسوة بالحق، والرّسول ﷺ قد بلغ ما أنزل إليه من ربه كله سواء في باب المسائل أو الدلائل و لم يترك من ذلك شيئاً تحتاج الأمة إليه لأن ذلك من

---

(١) المرجع السابق (١/٤٣،٤٤).

(٢) درء التعارض العقل والنقل (١/٤٣،٤٤).

ضرورة التبليغ وإكمال الدين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وذلك أن أصول الدِّين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها، ويجب أن تذك قولاً أو تعمل عملاً كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد أو دلائل المسائل، أما القسم الأول فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بيَّنه اللَّه ورسوله بيناً شافياً قاطعاً للعذر إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين وبينه للناس وهو أعظم ما أقام اللَّه الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بيَّنوه وبلّغوه، وكتاب الله الذي نقل الصحابة، ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه والحكمة الَّتي هي سنة الرسول ﷺ الَّتي نقلوها أيضاً عن الرسول ﷺ مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب، والقسم الثاني هو دلائل هذه المسائل الأصولية؛ فإنه وإن كان يظنّ طوائف من المتكلّمين أو المتفلسفة أن الشرع إنما يدلّ بطريق الخبر الصادق فدلالته موقوفة على العلم بصدق المخبر ويجعلون ما ينبى عليه صدق المخبر معقولات محضة فقد غلطوا في ذلك غلطاً عظيماً بل ضلُّوا ضلالاً مبيناً في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد بل الأمر ما عليه سلف الأمة أهل العلم والإيمان من أنّ الله سبحانه وتعالى بين الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه"[1].

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٧،٢٨).

وهم في ردهم للباطل يقابلون كل شبهة بما يناسبها فالشّبه النقلية يبينون بطلانها من النقل نفسه والشبه العقلية يبينون فسادها بالدليل العقلي الصحيح. ومن هذا المنطلق قرّر السلف ما في كلام المتكلمين والفلاسفة من الباطل سواء كان في باب المسائل أو في باب الدلائل ففي باب المسائل أثبتوا ما دلّ عليه كتاب الله وسنة رسوله من عقائد القلوب المتعلقة بالصفات والقدر والنبوة والمعاد. وقاعدتهم في ذلك ما أعرب عنه ابن تيمية بقوله: "يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أنّ معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض الكفاية فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث به رسوله وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهذا واجب على الكفاية منهم، وأما ما وجب على أعيانهم فهذا يتنوّع بتنوّع قدرهم وحاجاتهم ومعرفتهم وما أمر به أعيانهم فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدّث والمجادل ما لا يجب على من ليس كذلك"[(١)]. وردُّوا ما عداه وقرّروا أنه لا يجب اليقين

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٥١،٥٢).

وتحصيله إلا فيما طلب اللّه فيه اليقين وأما ما لم يطلب فيه اليقين وتحصيله فلا يكون ذلك واجباً على المكلف سواءً كان ذلك من باب التفصيل أو الإجمال، وهذا ما قرّره ابن تيمية بقوله: "وأما التفصيل فما أوجب اللّه فيه العلم واليقين وجب فيه ما أوجبه الله من ذلك، وكذلك يجب الإيمان بما أوجب اللّه الإيمان به، وقد تقرّر في الشريعة أنّ الوجوب معلّق باستطاعة العبد... فإذا كان كثير مما تنازعت فيه الأمة من هذه المسائل الدقيقة قد يكون عند كثير مشتبهاً لا يقدر فيه على دليل يفيد اليقين لا شرعي ولا غيره لم يجب على مثل هذا في ذلك ما لا يقدر عليه وليس عليه أن يترك ما يقدر عليه من اعتقاد قول غالب على ظنه لعجزه عن تمام اليقين بل ذلك هو الذي يقدر عليه، لاسيما إذا كان مطابقاً للحق فالاعتقاد المطابق للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه ويسقط الفرض إذا لم يقصد على أكثر منه"[١]. وإذا بذل العبد ما يستطيع من قدرة في طلب الحق فأخطأه فيكون عندئذٍ مخطئاً مغفوراً له، يقول ابن تيمية: "فمن كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلاً أو لتعديه حدود اللّه بسلوك السبيل التي نهى عنها أو لاتباع هواه بغير هدى من اللّه فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد بخلاف المجتهد في طاعة اللّه ورسوله باطناً وظاهراً الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره اللّه ورسوله فهذا مغفور

---

(١) المرجع السابق (١/٥٣،٥٤).

له خطؤه"[١].

وقد نقدوا مناهج المبتدعة في استدلالهم فنقدوا طريق الإعراض في إثبات الخالق سبحانه، حيث قال الأصفهاني: "أنكر السلف الكلام في الجواهر والأعراض وقالوا: لم يكن على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عن الصحابة ورحم التابعين، ولاتخلو أن يكونوا سكتوا عن ذلك وهم عالمون به فيسعنا أن لا نعلم ما لم يعملوه"[٢].

وقد قرر ابن تيمية بطلان هذا الطريق في الاستدلال فقال: "قد علم بالاضطرار من دين الرسول والنقل المتواتر أنه دعا الخلق إلى الإيمان بالله ورسوله و لم يدع الناس بهذه الطريقة التي قلتم أنكم أثبتم بها حدوث العالم ونفي كونه جسماً وآمن بالرسول من آمن به من المهاجرين والأنصار ودخل الناس في دين الله أفواجاً و لم يدع أحداً منهم بهذه الطريقة ولا ذكرها أحد منهم ولا ذكرت في القرآن ولا في الحديث ولا دعا بها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الذين هم خير هذه الأمة وأفضلها علماً وإيماناً وإنما ابتدعت هذه الطريق في الإسلام بعد المائة الأولى وانقراض عصر أكابر التابعين بل وأوساطهم فكيف يقال: إن تصديق الرسول موقوف عليها وأعْلَمُ الذين صدقوه وأفضلهم لم يدعوا بها

(١) المرجع السابق (٩٨،٩٧/١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٠٠،٩٩/١).

ولا ذكروها ولا ذكرت لهم ولا نقلها أحد منهم ولاتكلم بها أحد في عصرهم"[١]. وذلك لأن هذا الطريق وأمثاله داخل في قول النبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد"[٢]، وهو إحداث في الدين في باب الدلائل فيكون مردوداً ونظير هذا طرق كثيرة في باب النبوة والمعاد وإثبات وجود الخالق وحدوث المخلوقات يقول ابن تيمية: "وقد اعترف أكثر أئمة أهل الكلام والفلسفة من الأولين والآخرين بأن أكثر الطرائق التي سلكوها في أمور الربوبية بالأقيسة التي ضربوها لا تفضي بهم إلى العلم واليقين وفي الأمور مثل تكلمهم بالجنس والعرض في دلائلهم ومسائلهم، فأما الأول فقد ذكرنا في غير هذا الموضع مقالة الفلسفة من الأوائل أنهم قالوا: العلم الإلهي لا سبيل فيه اليقين وإنما يتكلم فيه بالأولى والأحرى والأخلق ولهذا اتفق كل من خير مقالة هؤلاء المتفلسفة في العلم الألهي أن غالبه ظنون كاذبة واهية فاسدة وأن الذي فيه من العلم الحق قليل وأما اعتراف المتكلمة من الإسلاميين فكثير قد جمع العلماء فيه شيئاً وذكروا رجوع أكابرهم عما كانوا يقولونه وتوبتهم إما عندالموت وإما قبل الموت وهذا من أسباب الرحمة إن شاء الله تعالى في هذه الأمة فإن الله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات وهذا أصح القولين في قبول

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩٧/١، ٩٨).

(٢) رواه أبو القاسم الاصفهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة (٩٩/١) رقم (١٥)، وأشار إلى أنه متفق عليه.

توبة الداعي ولكن بقاء كلامهم وكتبهم وآثارهم محنة عظيمة في الأمة وفتنة عظيمة لمن نظر فيها ولا حول ولاقوة إلا با لله"[١].

قد كان منهجهم يعتمد أُصولاً من أهمها:

الأول: ذكر الحجة على إبطال الباطل يقول ابن تيمية: "فإن الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد والإنسان لو أنه يناظر المشركين وأهل الكتاب لكان عليه أن يذكر من الحجة ما يبين به الحق الذي معه والباطل الذي معهم فقد قال ا لله عزوجل لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾"[٢][٣].

الثاني: ترك ما لافائدة فيه في الجواب بحيث لا يترتب عليه إقرار حق وإبطال الباطل يقول ابن تيمية: "لكان ينبغي أن يذكر الحجة ويعدل عما لا فائدة فيه"[٤].

الثالث: أن تكون الحجج العقلية واضحة الدلالة على المطلوب غير مشتملة على ألفاظ مجملة أو بدعية اصطلاحية يقول ابن تيمية: "ومن يرد على الناس بالعقول إن لم يبين حجة عقلية وإلا كان قد أحال الناس

---

(١) الاستقامة (١/٧٩،٨٠).

(٢) نقض المنطق، ص(١٥٢).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٤) نقض المنطق، ص(١٥٢).

على المجهولات"(١).

الرابع: "أن مجرد نفور النافرين ومحبة الموافقين لا يدل على صحة قول ولا فساده إلا إذا كان ذلك بهدي من الله بل الاستدلال بذلك استدلال باتباع الهوى بغير هدى من الله فإن اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾، وقال تعالى لداوود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾"(٢).

الخامس: "الاستدلال بلوازم الأقوال على إبطالها لأن لازم الباطل باطل وإن لم يلتزم به صاحبه"، يقول ابن تيمية: "فإن القول له لوازم فإذا كان باطلاً فقد يستلزم أموراً باطلة ظاهرة البطلان وصاحبه يريد إثبات تلك اللوازم فيظهر مخالفته للحس والعقل"(٣).

السادس: إنه لايستدل بمكابرة العقل مع عدم إقامة الدليل العقلي على إبطال كل باطل بل لابد من الدليل العقلي الصحيح أولاً ثم الوصف

---

(١) الاستقامة (١/٧٩،٨٠).

(٢) نقض المنطق، ص(١٥٤).

(٣) انظر: مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٢١٤).

بمكابرة العقول لوجود ما يدل عليها[١].

السابع: الاستدلال على أن القول باطل بيان المفاسد المترتبة عليه أو أنه مناقض لما جاء به الرسول ﷺ أو أن ما وجد من المصالح المدعاة مرجوحة لا تقاوم المفاسد المترتبة عليه[٢].

الثامن: إلزام أرباب الباطل بما يقتضيه مذهبه يقول ابن تيمية: "القول الثاني: قال طائفة من أصحاب أحمد هذا قاله إلزاماً للخصم على مذهبه لأنهم في يوم المحنة لما احتجوا عليه بقوله: "تأتي البقرة وآل عمران" أجابهم بأن معناه يأتي ثواب البقرة وآل عمران كقوله: "أن يأتيهم الله" أي أمره وقدرته على تأويلهم لا أنه يقول بذلك فإن مذهبه ترك التأويل"[٣].

التاسع: أنه لا يستدل على كون القول باطلاً بمجرد عدم ورود الدليل السمعي عليه "فلا يلزم إذا لم يخبر هو بالشيء أن يكون منتفياً في نفس الأمر"[٤]، بل مخالفته لما دل عليه السمع "لكن إذا لم يرد به الخبر و لم يعلم ثبوته يسكت عنه فلا يتكلم في الله بلا علمٍ"، "لأن جنس الدليل يجب فيه

---

(١) نقض المنطق، ص(١٥٣).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص(٢٩١).

(٣) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٢٩).

(٤) المرجع السابق، ص(٣٥٠،٣٥١).

الطرد لا العكس فيلزم من وجود الدليل وجود المدلول ولا ينعكس"، "فالأقسام ثلاثة: ما علم ثبوته أثبت، وما علم انتفاؤه نفي وما لم يعلم نفيه ولا إثباته سكت عنه هذا هو الواجب والسكوت عن الشيء غير الجزم بنفيه أو ثبوته، ومن لم يثبت ما أثبته إلا بالألفاظ التي أثبتها وإذا تكلم بغيرها استفسر واستفصل فإن وافق المعنى الذي اثبته الشرع أثبته باللفظ الشرعي فقد اعتصم بالشرع لفظاً ومعنى وهذه سبيل من اعتصم بالعروة الوثقى"[1].

العاشر: أنه لابد في الرد على الأدلة النقلية من معرفة طرق ثبوتها إسناداً ومتناً ومعرفة دلالتها يقول ابن تيمية: "لكن ينبغي أن يعرف الأدلة الشرعية إسناداً ومتناً فالقرآن معلوم ثبوت ألفاظه فينبغي أن يعرف وجوه دلالته والسنة ينبغي معرفة ما ثبت منها وما علم أنه كذب"[2].

حتى إذا نفى الباطل نفاه بالدليل الصحيح الخالي من الاحتمال أو الذي وافقت الأدلة الأخرى معناه وعضدت دلالته.

الحادي عشر: أن دلالة الدليل على كون القول الباطل كفراً لا يدل على كفر قائله يقول ابن تيمية: "وما أصاب فيه من السنة لا يجوز تكفير كل من خالف فيه فليس كل مخطئ كافراً لاسيما في المسائل الدقيقة التي

---

(١) المرجع السابق، ص(٣٥١،٣٥٣).

(٢) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ص(٣٥١-٣٥٣).

كثر نزاع الأمة".

الثاني عشر: الامتناع عن موافقة المبطل في التكلم بالألفاظ المجملة نفياً وإثباتاً إلا بعد أن يعرف المراد هل هو حق أو باطل يقول ابن تيمية: "وإما أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بهذه الألفاظ نفياً أو إثباتاً فإن امتنع عن التكلم بها معهم فقد ينسبونه إلى العجز والانقطاع وإن تكلم بها معهم نسبوه إلى أنه أطلق تلك الألفاظ حتى تحتمل حقاً وباطلاً وأوهموا الجهال باصطلاحهم أن إطلاق تلك الألفاظ يتناول المعاني الباطلة التي يتنزه الله عنها فحينئذ تختلف المصلحة فإن كانوا في مقام دعوة الناس إلى قولهم وإلزامهم به أمكن أن يقال له لا يجب على أحد أن يجيب داعياً إلا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه ولا له دعوة الناس إلى ذلك ولو قدر أن ذلك المعنى حق وهذه الطريقة تكون أصلح إذا لبس ملبس منهم على ولاة الأمور وأدخلوه في بدعتهم"[1].

الثالث عشر: بيان أن قول المبطل متناقض في نفسه إما لاستلزامه نفي النظير وإثبات الضد والنقيض يقول ابن تيمية: "فإن كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول من الصفات لا ينفي شيئاً فراراً مما هو محذور إلا وقد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٢٩/١).

ثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه"[١]، ومن ذلك أن المعتزلي ينفي الصفات ويثبت الأسماء مع أنهما من جنس واحد فيلزمه في الأسماء نظير ما يلزمه في الصفات ويلزمه في الصفات ما يلزمه في الأسماء والتفريق في الحكم بينهما تفريق بين المتماثلات وهكذا الحال إذا قيل لمن نفى الصفات أن نفيك للصفات يلزمك تشبيه الله بالمعدومات فإن قال أنا أنفي النفي والإثبات قيل له: وهذا أعظم حيث هربت من التشبيه بالمعدومات إلى التشبيه بالممتنعات، لأن ما تدعيه جمع بين النقيضين وهو ممتنع في حكم العقل"[٢].

الرابع عشر: أن السلف لا يلزمون القائل بالقول بالباطل موجب قوله لأن القاعدة عندهم أن لازم المذهب يدل على بطلان القول ولا يجب أن يكون مذهباً له بمجرد لزومه، "فلا يلزم إذا قال قائل ما يستلزم التعطيل أن يكون معتقداً له بل يكون معتقداً للإثبات لكن لا يعرف ذلك اللزوم وأيضاً فإذا كانت أصولهم التي بنوا عليها إثبات الصانع باطلة لم يلزم أن يكونوا هم غير مقرين بالصانع وإن كان هذا لازم قولهم"[٣].

الخامس عشر: نقد الطرق الباطلة في الاستدلال كمن استدل على

---

(١) النفائس، ص(١٩).

(٢) انظر: النفائس، ص(١٧،٢٧).

(٣) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٧٧).

نفي النقص والعيب عن الباري جل جلاله أو أثبت صفات الكمال له على أن ذلك يلزم منه التشبيه والتجسيم أو لا يلزم منه التشبيه والتجسيم أو استدل على إثبات الصانع بحدوث الأعراض دون الأعيان أو على نفي أو إثبات العلو على لزوم الجهة أو عدهما أو على إثبات الصفات أو نفيها بأنها أعراض أو غير أعراض أو أنها عين الذات أو غيرها ونحوها من الألفاظ التي لم يرد في الكتاب والسنة ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها نفيها أو إثباتها"[١].

السادس عشر: "أن المبطل إذا أراد أن ينفي ما أثبته القرآن أو يثبت ما نفاه القرآن لم يصادم لفظ القرآن إلا إذا أفرط في الجهل مثل من ينكر من الجهمية إطلاق القول بأن الله كلم موسى تكليماً أو أن ﴿الرَّحْمَن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾[٢] ونحو ذلك"[٣]. "وإذا كان ألفاظ النصوص لها حرمة لا يمكن المظهر للإسلام أن يعارضها فهم يعبرون عن المعاني التي تنافيها بعبارات أخرى ابتدعوها ويكون فيها اشتباه وإجمال كما قال الإمام أحمد: " فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم

---

(١) انظر: مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٠٦)، النفائس، ص(٤٨،٤٩)، درء تعارض العقل والنقل (٩٧/١،٣٠٩)، الصفدية (٣٣/٢).

(٢) سورة طه: الآية (٥).

(٣) بيان تلبيس إبليس (١١/٢،١٢).

يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم"[١].

السابع عشر: "أن الاستدلال بالقرآن إنما يكون على لغة العرب التي أنزل بها بل قد نزل بلغة قريش كما قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَومِهِ﴾**[٢]، وقال: **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِينٍ﴾**[٣]، فليس لأحد أن يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام واصطلاح خاص بل لا يحمله إلا على معاني عنوها بها -أما من المعنى اللغوي أو أعم أو مغايراً له لم يكن له أن يضع القرآن على وضعه هو بل يضع القرآن على مواضعه التي بينها الله لمن خاطبه بالقرآن بلغته ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفاً للكلام عن مواضعه ومن المعلوم أنه ما من طائفة إلا وقد تصطلح على ألفاظ يتخاطبون بها كما أن من المتكلمين من يقول: الأحد هو الذي لا ينقسم ولك جسم منقسم ويقول: الجسم هو مطلق التحيز القابل للقسمة حتى يدخل في ذلك الهواء وغيره لكن ليس له أن يحمل كلام الله وكلام رسوله إلا على اللغة التي كان النبي ﷺ يخاطب بها أمته وهي لغة العرب عموماً ولغة قريش خصوصاً"[١].

---

(١) بيان تلبيس إبليس (٢/٤٩٢،٤٩٣).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٤).

(٣) سورة الشعراء: الآية (١٩٥).

الثامن عشر: أن ما يستدل به المبطل من الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله على ما يدعيه هي في حقيقة الأمر لا تدل على مقصوده ومراده وإنما تدل على نقيض قوله الباطل وهكذا الحال بالنسبة للأدلة العقلية الصحيحة فإنها تدل على نقيض الباطل وهو الحق وهذا هو حال كل دليل صحيح نقلي أو عقلي"[١].

التاسع عشر: "أن الإنسان قد يعتقد صحة قضية من القضايا وهي فاسدة فيحتاج أن يعتقد لوازمها فتكثر اعتقاداته الفاسدة"، فلابد من بيان فساد القضية الأم لأن التطرق للفروع مع بقاء الأصل لا فائدة منه لذا فإن أهل الباطل: "من أسباب ظهور كلامهم وضلال كثير من الناس بهم أنهم يحتجون على طوائف أهل القبلة بما يشاركونهم فيه من المقدمات الضعيفة المبتدعة فلا يزالوان يلزمون صاحب ذلك القول بلوازم قوله حتى يخرجوه من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين فإن الحسنة تدعوا إلى الحسنة والسيئة تدعوا إلى السيئة كما قال ﷺ في المتفق عليه: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وأن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"، وقال بعض السلف:

---

(١) المرجع السابق (٦٢٣/١).

"إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وأن من عقوبة السيئة السيئة بعدها"[١].

العشرون: أن من الواجب على صاحب السنة أنه إذا نفى قولاً باطلاً أن لا ينكر الحق الذي ربما تضمنه القول الباطل بل يقر بالحق ويرد الباطل فقط يقول ابن تيمية: "لكن لا يمكن مع هذا أن نعتقد ما يناقض الإيمان من أقوالهم بل نوافقهم في الأقوال التي توافق أقوال الرسل أو في الأقوال التي لا تتعلق بالدين لا نفياً ولا إثباتاً من الأمور الطبيعية"[٢].

الحادي والعشرون: "أن الأدلة المذكورة نوعان حق وباطل والحق نوعان أحدهما فيه تطويل ولا يحتاج إليه كل أحد والباطل مذموم مطلقاً والتطويل الذي يذكر على سبيل الحجة إليه مع أنه يمكن الاستغناء عنه مذموم أيضاً، وأما التطويل الذي قد ينتفع به بعض الناس أو يحتاج إليه بعضهم فإذا ذكر على هذا الوجه فهو حسن وإن كان يستغني عنه بعض الناس.

النوع الثاني من الأدلة ما هو صحيح مذكور على أقرب الطرق فهذا حق لا عيب فيه"[٣].

الثامن: الالتزام بالطرق التي التزمها القرآن الكريم في إثبات العقائد

---

(١) الصفدية (١/٨٨).

(٢) الصفدية (٢/٢٤٧).

(٣) المرجع السابق، ص(٢٣١،٢٣٢).

ورد الطرق المبتدعة في ذلك حرياً على منهجهم العام في إثبات ما أثبته القرآن الكريم ونفي ما نفاه وقد جرى القرآن الكريم في إثبات العقائد الإيمانية على الطرق التالية:

أولاً: طرقه في إثبات الربوبية:

وقد استعمل القرآن الكريم العديد من الطرق الصحيحة الموصلة إلى المطلوب ودليل ذلك استقراء آيات الذكر الحكيم حيث وجدنا أن القرآن الكريم أثبت الربوبية بطرق شتى نذكر منها:

أولاً: دليل الخلق والإيجاد: ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ واخْتِلافِ الَّيْلِ وَالنَّهَار وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنْزَلَ ا للهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فِيها مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَومٍ يعْقِلُون**﴾[١].

ثانياً: دليل التأمل والنظر ومن أمثلته:

قوله جل شأنه: ﴿**قُلِ انْظُرُوا ماذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[٢]،

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٦٤).

(٢) سورة يونس: الآية (١٠١).

وقوله: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(١)، وقوله سبحانه: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون﴾(٢).

ثالثاً: دليل الإتقان ومن أمثلته:

قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَّذكَّر أَو أَرَادَ شُكُوراً﴾(٣)، وقوله جل شأنه: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تحسَبُها جَامِدة وَهِي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ ا للهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ إِنَّه خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُون﴾(٤).

رابعاً: دليل التحول والتغير ومن أمثلته:

قول جل ذكره: ﴿هَل أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدّهْرِ لَم يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً، إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بصيراً﴾(٥)، وقوله سبحانه: ﴿وَا للهُ خَلَقَكُم مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ

---

(١) سورة الغاشية: الآية (١٧-٢٠).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٢١).

(٣) سورة الفرقان: الآية (٦٠-٦٢).

(٤) سورة النمل: الآية (٨٨).

(٥) سورة الإنسان: الآية (١-٢).

جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى ولا تَضَع إلاّ بعِلْمِه﴾[١].

خامساً: دليل الإلزام العقلي: ومن أمثلته:

قوله جل جلاله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون﴾[٢].

ثانياً: طرقه في إثبات الألوهية ومنها:

أولاً: أن جميع الرسل جاؤوا بتقريره وإلزام الخلق بمضمونه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا ا للهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾[٣].

ثانياً: الاستدلال بدليل التمانع في الألوهية كما في قوله جل ذكره: ﴿لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ ا للهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحانَ ا للهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُون﴾[٤].

ثالثاً: الاحتجاج بإقرار المشركين بتوحيد الربوبية على لزوم الإيمان بالألوهية وهو من قبيل الاستدلال باللازم على الملزوم ومنه قوله جل شأنه: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمن فِيهَا إِن كُنْتُم تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكرُون﴾[٥].

---

(١) سورة فاطر: الآية (١١).

(٢) سورة الطور: الآية (٣٥).

(٣) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (٢٢).

(٥) سورة المومنون: الآية (٨٥،٩٢).

رابعاً: إبطال ألوهية المعبودات الباطلة وبيان ضعفها وعدم قدرتها وعجزها قال تعالى: ﴿قُل ادْعُوا الَّذِي زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فلا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرّ عَنْكُم وَلاَ تَحْوِيلاً﴾[1]، وقال: ﴿أَم لُهُم آلِهَة تَمْنَعُهُم مِن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُون نَصْر أَنْفُسِهِمْ وَلا هُم مِنَّا يُصْحَبُون﴾[2].

خامساً: نفي تعدد الآلهة وإثبات أن ا لله آلة واحد ومن أمثلته:

قوله سبحانه: ﴿قُل لَو كَان مَعَه آلِهَة كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرشِ سبيلاً﴾[3]، وقوله: ﴿ما اتَّخَذ ا للهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَان مَعَهُ مِن إلهِ إذاً لذَهَب كُلُّ إلهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعضُهُم عَلَى بعض﴾[4].

ثالثاً: طرقه في إثبات الأسماء والصفات ومنها:

أولاً: ما جاء من إثبات الحمد لله كما في قوله سبحانه: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبّ الْعَالمين﴾[5].

ثانياً: ما جاء من إثبات المثل الأعلى كما في قوله جل ذكره: ﴿وَلَه المَثَلَ الأَعْلَى﴾[6]، أي أعلى ما يكون الوصف وأجل ما يكون الكمال

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٦).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٤٣).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٤٢).

(٤) سورة المؤمنون: الآية (٩١).

(٥) سورة الفاتحة: الآية (٢).

(٦) سورة روم: الآية (٢٧).

بحيث لا يبقى منه شيء أبداً.

ثالثاً: ما جاء من إثبات الأسماء الحسنى كما قال سبحانه: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾[١]، وهو من الأسماء الجامعة لصفات الكمال والإجلال.

رابعاً: ما جاء في إثبات أفراد الكمال كما في قوله جل ذكره: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]، وقوله ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥] ونحوها.

رابعاً: طرقه في إثبات النبوة والرسالة فيها[٦].

أولاً: بيان أن الرسل وسائط بين الله وخلقه في التبليغ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ

---

(١) سورة الإخلاص: الآية (٢).

(٢) سورة الشورى: الآية (١١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).

(٤) سورة الحديد: الآية (٣).

(٥) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

(٦) انظر: الرد على المنطقين، ص(٥٤٠-٥٤٤).

(٧) سورة الأنعام: الآية (٤٨).

وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[١].

ثانيـاً: أن الرَّسـول شـاهد علـى الخلـق بـالتبليغ قـال تعـالى: ﴿لِيَكُـونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيكُـم وَتَكُونُـوا شُـهَدَاء عَلَـى النَّـاس﴾[٢]، وقـال جـل ذكره: ﴿فَكَيفَ إذا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّـةٍ بِشَـهِيدٍ وَجِئْنَـا بِـكَ عَلَـى هـؤُلاءِ شَهِيداً﴾[٣]، وقـال سـبحانه: ﴿وَكَذَلِـكَ جعلنـاكُم أُمَّـةً وَسَـطاً لِتَكُونـوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيداً﴾[٤].

ثالثاً: أن الرسل كلهم بعثوا بالتوحيد قال تعالى: ﴿وَلَقَد بَعَثْنَا فِي كُـلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّاغُوت﴾[٥]، وقـال جـل جلالـه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِـن قَبْلِـكَ مِـن رَّسُـولٍ إلاّ نُوحِـي إِلَيـه أنَّـهُ لا إِلَـهَ إلاّ أَنـا فاعْبُدون﴾[٦].

رابعاً: أن الرسول من جنس البشر وأنه لا يعلم الغيب كما قال تبـارك وتعالى: ﴿وَلا أقُول لَكُم عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَـمُ الْغَيـب وَلا أَقُـولُ إِنِّي مَلَكٌ ولا أَقولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُم لن يُؤْتِيَهُم اللهُ خيراً اللهُ أعلمُ

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٤٥،٤٦).

(٢) سورة الحج: الآية (٧٨).

(٣) سورة النساء: الآية (٤١).

(٤) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

(٥) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٦) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).

بما في أنفسِهِم إنّي إذاً لَمِنَ الظَّالِمين﴾[١]، وقال سبحانه لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُل لا أَقُولُ لَكُم عِنْدِي خَزَائِنُ ا للهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيبَ وَلا أَقُول لكُم إني ملَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحى إليَّ﴾[٢].

خامساً: أن النبوة اصطفاء واجتباء واختيار من ا لله لا تنال بكثرة العبادة، قال تبارك وتعالى: ﴿اللُه يَصْطَفي مِنَ الملائكةِ رُسُلاً ومِنَ النَّاسِ﴾[٣].

سادساً: امتنانه سبحانه على عباده بالرسول من البشر وأنهم لا يطيقون الأخذ عن الملك قال جل ذكره: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيه مَلَكٌ ولوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ، وَلَوْ جَعَلْنَاه مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رجلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيهِم مَا يَلْبِسُون﴾[٤].

سابعاً: أن الرسول منزه عن الكذب على ا لله قال جل ثناؤه: ﴿ما كانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ا للهُ الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يقول للناسِ كونوا عباداً لي من دون ا لله ولكن كونوا ربانيينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدرسُون ولا يأمُرَكُم أنْ تتخذوا الملائكة والنبيينَ أرباباً

---

(١) سورة هود: الآية (٣١).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٠).

(٣) سورة الحج: الآية (٧٥).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٨،٩).

أيأمُرُكُم بالكفر بعدَ إذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُون﴾[١].

ثامناً: بيان أنه لابد وأن ينصر رسله وأن الغلبة تكون لهم على من سواهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ رُسُلاً إلى قَومِهِم فَجَاءُوهُم بالبيناتِ فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿كتبَ الله لأَغْلِبَنَّ أَنَا ورُسُلِي إنَّ اللَّه لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

تاسعاً: أن الرسالات عمت جميع بني آدم[٤] قال تعالى: ﴿إنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وإنْ مِن أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فِيهَا نذير﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿إنَّا أَوْحَيْنا إلَيْك كَمَا أَوْحَيْنَا إلى نوحٍ والنبيينَ من بعدِه﴾[٦].

عاشراً: أن الرسل أرسلوا مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ المرْسِلِين إلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٧].

الحادي عشر: أن الإيمان بكل رسول ملازم للإيمان بغيره من الرسل

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧٩-٨٠).

(٢) سورة الروم: الآية (٤٧).

(٣) سورة المجادلة: الآية (٢١).

(٤) انظر: نقض المنطق، ص(١٧٤-١٧٦).

(٥) سورة فاطر: الآية (٢٤).

(٦) سورة النساء: الآية (١٦٣).

(٧) سورة الأنعام: الآية (٤٨).

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسولُ بِماَ أُنْزِلَ إليه مِنْ رَبِّه والمُؤمِنونَ كُلٌّ ءَامَنَ با لله وَمَلائِكَتِه وَكُتُبه وَرُسُلِه لا نفرِّقُ بين أَحدٍ من رُسُله﴾[1]، وأن من كفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَا لله وَرُسُله...﴾ إلى قوله ﴿أُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُون﴾[2].

الثاني عشر: إخباره عمن آمن بالرسل من الأولين والآخرين أنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاهُم يَحْزَنُون﴾[3].

الثالث عشر: وجوب اتباع ما جاءت به الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لمؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ا للهُ وَرَسُولُه أَمْراً أَن يكونَ لهُمُ الْخِيَرةُ مِنْ أمرهِم﴾[5]، وقال ﴿فَلا وَربكَ لا يُؤْمِنُون حَتَّى يحكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٢) سورة النساء: الآية (١٥٠-١٥١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٣٨).

(٤) سورة الحشر: الآية (٧).

(٥) سورة الأحزاب: الآية (٣).

(٦) سورة النساء: الآية (٦٥).

خامساً: طريقة القرآن في الإيمان بالملائكة: ومنها[١]:

أولاً: بيان أن كل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿**فالمدبرات أمراً**﴾[٢]، ﴿**فَالْمُقَسِّمَاتِ أمراً**﴾[٣].

ثانياً: إن الملائكة لا تعصي الله، قال تعالى: ﴿**لا يعصونَ الله ما أَمَرَهُم وَيَفْعَلُون مَا يُؤْمَرُون**﴾[٤].

ثالثاً: أنهم يخافون الله، قال تعالى: ﴿**يَخَافُون رَبَّهُم مِن فَوقِهِم وَيَفْعَلُون مَا يُؤْمَرُون**﴾[٥].

رابعاً: أنهم يعبدون الله ويسبحون، قال تعالى: ﴿**لا يَسْتَكْبِرُون عَن عِبَادَته ولا يَسْتَحْسِرُون، يُسَبِّحُون الليل والنهار لا يفترون**﴾[٦].

خامساً: ذكر أسماء بعض الملائكة، قال تعالى: ﴿**قُل مَن كَان عدواً**

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/١٢٥-١٣١).

(٢) سورة النازعات: الآية (٦٥).

(٣) سورة الذاريات: الآية (٤).

(٤) سورة التحريم: الآية (٦).

(٥) سورة النحل: الآية (٥٠).

(٦) سورة الأنبياء: الآية (٢٠).

لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَه عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ ا للهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَيْهِ وهدىً وبُشْرَى لِلمُؤْمِنين﴾[١]، وقال: ﴿مَن كَان عدواً لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ ا للهَ عدوٌ لِلْكَافِرِين﴾[٢]، وقال: ﴿وَنَادوا يَا مَالكُ لِيقضِ عَلَينا رَبّك﴾[٣].

سادساً: بيان أن أفضلهم من ينزل بالوحي، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مكين مُطاعٍ ثَمَّ أَمِين﴾[٤]، يعني جبريل عليه السلام.

سابعاً: بيان اختلافهم في الخلق من جهة الكبر والصغر والأجنحة، قال تعالى: ﴿أولي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يزيدُ فِي الخلقِ مَا يَشَاء﴾[٥].

ثامناً: إن منهم من هو موكل بحمل العرش، قال تعالى: ﴿وَيَحْمل عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم يَومئذٍ ثَمَانِية﴾[٦].

تاسعاً: إن نزولهم إلى الأرض ليلة القدر بأمره تعالى، كما قال جل ذكره: ﴿تنزَّلُ الملائكةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بإذْنِ رَبِّهِمْ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٩٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (٧٧).

(٣) سورة الزخرف: الآية (٢٧٧).

(٤) سورة التكوير: الآية (١٩-٢١)

(٥) سورة فاطر: الآية (١).

(٦) سورة الحاقة: الآية (١٧).

(٧) سورة القدر: الآية (٤).

عاشراً: إن من الملائكة موكـل بقبـض الأرواح، قـال تعـالى: ﴿**توفّتْهُ رَسُلُنا**﴾(١)، وقـال سبحانه: ﴿**يَتوفّاكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الذي وُكِّلَ بكُم**﴾(٢).

الحادي عشر: بيان أن بعض الملائكة موكل بعـذاب أهـل النـار، قـال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلا ملائكةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتهم إلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾(٣).

سادساً: طريقة القرآن في الإيمان بالكتب نذكر منها(٤):

أولاً: بيان وجوب الإيمان بالكتب، قال تعالى: ﴿**يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِا لله وَرَسُولِه وَالْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِه وَالْكِتَابِ الَّذِي أنزل من قبل**﴾(٥)، وقال جل شأنه: ﴿**قُولُوا آمَنَّا با لله وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنا وَمَآ أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاط وَمَا أُوتِي مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيون مِن رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم**﴾(٦).

ثانياً: ذكر بعض الكتب التي أنزلت علـى بعـض الرسـل، قـال تعـالى:

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٦١).

(٢) سورة السجدة: الآية (١١).

(٣) سورة المدثر: الآية (٣١).

(٤) انظر: إعلام السنة المشهور للشيخ الحكمي، ص(٣٤،٣٧).

(٥) سورة النساء: الآية (١٣٦).

(٦) سورة البقرة: الآية (١٣٦).

﴿ا لله لآ إله إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُوم نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِقاً لِمَا بَينَ يَديْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ﴾(١)، وقال جل ذكره: ﴿وَءَاتَينَا دَاوُد زَبُوراً﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿أم لم يُنَبَّأْ بما في صُحُفَ مُوسَى وَإِبْرَاهِيم الَّذِي وَفَى﴾(٣).

ثالثاً: بيان الحكمة من إنزال الرسل، قال جل شأنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بالقِسْطِ﴾(٤).

رابعاً: وجوب اتباع ما جاءت به الكتب من الحق المنزل من عند ا لله، قال جل ذكره: ﴿اتبعوا مآ أُنْزِلَ إليكم مِن رَبكُم وَلا تَتَّبِعوا مِن دُونِه أَوْلِيَاء﴾(٥).

خامساً: ترتيبه جل ذكره الثواب العظيم على التمسك بكتابه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِين يُمَسِّكُونَ بِالكتاب وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أجرَ الْمصلحين﴾(٦).

---

(١) سورة آل عمران: الآيه (٢-٣).

(٢) سورة النساء: الآية (١٦٣).

(٣) سورة النجم: الآية (٣٦-٣٧).

(٤) سورة الحديد: الآية (٢٥).

(٥) سورة الأعراف: الآية (٣).

(٦) سورة الأعراف: الآية (١٧٠).

سادساً: مدح من آمن من أهل الكتاب من اليهود والنصارى بـالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين**﴾(١).

سابعاً: بيانه لفضيلة القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة، قـال جـل جلاله: ﴿**وأنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿**وما كان هذا القرءَان أن يُفترى من دون الله ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ الكتابِ لا ريب فيه من رب العالمين**﴾(٣).

ثامناً: بيان أن القـرآن هـدى ورحمـة، قـال تعـالى: ﴿**ما كـان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلِّ شيءٍ وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون**﴾(٤).

سابعاً: طريقة القرآن في إثبات المعاد ومنها(٥):

أولاً: يخبر عمن أماتهم ثم أحياهم كما أخبر عـن قـوم موسى بقولـه:

---

(١) سورة القصص: الآية (٥٢).

(٢) سورة المائدة: الآية (٤٨).

(٣) سورة يونس: الآية (٣٧).

(٤) سورة يوسف: الآية (١١١).

(٥) الرد على المنطقين، ص(٣١٨-٣٢١)، انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٢/١، ٣٣).

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نُؤْمِنَ لَكَ حتى نرى ا لله جَهْرَةً فأخذتكُمُ الصاعقةُ وأنتم تنظرون ثم بعثناكُم من بعد موتِكُم لعلكم تشكرون﴾[١].

ونظير هذا إخباره عن المضروب بالبقرة وإخباره عن **﴿الذي مَرَّ على قريةٍ وهيَ خاويةٌ على عُرُوشِها﴾**[٢]، وعن سؤال إبراهيم: **﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيفَ تُحْي الموتى﴾**[٣]، وإخباره عن أصحاب الكهف.

ثانيا: استدلاله بالنشأة الأولى وأن الإعادة أهون عليه من الابتداء كما قال سبحانه: **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من عقلةٍ ثم من مضغةٍ مُخَلَّقَةٍ وغير مُخَلَّقَةٍ لنبين لكم﴾**[٤]، وقال جل ذكره: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسيَ خلْقه قال من يُحْي العظام وهي رميم قل يُحيها الذي أنشأهآ أول مرَّةٍ وهو بكل خلق عليم﴾**[٥].

ثالثاً: الاستدلال على إمكانه بخلق السموات والأرض وذلك أن خلقها أعظم من خلق الناس، قال جل شأنه: **﴿وقالوا أءِذَا كنا عظاماً ورفاتاً**

---

(١) سورة البقرة: الآية (٥٥،٥٦).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٩).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٦٠).

(٤) سورة الحج: الآية (٥).

(٥) سورة يس: الآية (٧٨-٧٩).

أَءِنّا لمبعوثون خلقاً جديدا أو لم يروْا أن الله الّذي خلق السموات والأرض قادرٌ على أن يخلقَ مثلهم وجعل لهمْ أجلاً لا ريب فيه﴾[١].

رابعاً: الاستدلال على إمكانه بخلق النبات كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وهو الذي يُرسِلُ الرياح بُشراً بينَ يَدَيْ رحمَتِه حتى إذا أَقَلَّتْ سحاباً ثقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدِ مَّيْتٍ فأنزلنا به المآء فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾[٢].

ثامناً: بيان أنه لابد من وقوعه وحصوله[٣]، قال تعالى: ﴿إنما تُوعدُونَ لصادقٌ وإنّ الدينَ لَوَاقِع﴾[٤]، وقال: ﴿وأَنَّ الساعة ءَاتيةٌ لا ريبَ فيها﴾[٥].

تاسعاً: بيان بعض أمارات الساعة كما في قوله سبحانه: ﴿هل ينظرون إلا أن تَأتيهُمْ الملائكة أو يَأتي ربك أو يأتي بعض ءايات ربك يوم يأتي بعض آياتِ ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنتْ من قبلُ أو كسبتْ في إيمانها خيراً﴾[٦].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٩٨،٩٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٥٧).

(٣) انظر: أعلام السنة المشهورة، ص(٤٣،٤٤).

(٤) سورة الذاريات: الآية (٥،٦).

(٥) سورة الحج: الآية (٧).

(٦) سورة الأنعام: الآية (١٥٨).

ثامناً: طريقة القرآن في إثبات القضاء والقدر ونذكر منها[١]:

أولاً: بيان أن الله خلق كل شيء بقدر كما في قوله سبحانه: ﴿**كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[٢]، وقال: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[٣].

ثانياً: الأخبار عنه تعالى أنه قدر كل شيء وهداه لما يليق به، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً**﴾[٥]، وقال: ﴿**لِيَقضيَ اللهُ أَمْراً كان مَفْعُولاً**﴾[٦].

ثالثاً: إخباره عن خلقه لأفعال العباد في قوله سبحانه: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[٧].

رابعاً: إخباره تعالى عن بيان طريق الخير وطريق الشر، قال تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[٨]، أي الخير والشر ويبينه قوله سبحانه: ﴿**إِنَّا**

---

(١) قارن مجموعة تفسير ابن تيمية، ص(٥٥-٦٦)، وانظر: أعلام السنة المشهورة، ص(٥٩-٦٧).

(٢) سورة القمر: الآية (٤٩).

(٣) سورة فاطر: الآية (٣).

(٤) سورة الأعلى: الآية (٣).

(٥) سورة الأحزاب: الآية (٣٨).

(٦) سورة الأنفال: الآية (٤٢).

(٧) سورة الصافات: الآية (٩٦).

(٨) سورة البلد: الآية (١٠).

هَدَيْنَاه السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كفوراً[١]، وقوله جل ذكره: **﴿فَأَمَّا ثمود فَهَدَيْناهُم﴾**[٢]، وقال سبحانه: **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾**[٣].

خامساً: الشمولية في علمه تعالى كما قال جل جلاله: **﴿وَأَنَّ ا للهَ قَد أَحَاط بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً﴾**[٤]، وقال: **﴿عَالِم الْغَيْبِ لايعزبُ عَنه مِثْقَال ذَرَّةٍ في السَّمَوات وَلا في الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذلك وَلا أكبر﴾**[٥]، وقال: **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيبِ لا يَعلَمُهَآ إلا هُو﴾**[٦].

سادساً: أخباره عن كتابة المقادير في اللوح المحفوظ، كما قال سبحانه: **﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ في إِمَامٍ مُّبِين﴾**[٧]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ ذَلكَ في كِتَاب﴾**[٨]، وقال جل ذكره: **﴿إلا في كِتَابٍ إِنَّ ذَلِك عَلَى ا للهِ يَسير﴾**[٩].

سابعاً: إخباره عن عموم مشيئته كما قال سبحانه: **﴿وَمَا تَشَاءُون إلاّ**

---

(١) سورة الإنسان: الآية (٣).

(٢) سورة فصلت: الآية (١٧).

(٣) سورة الشمس: الآية (٨).

(٤) سورة الطلاق: الآية (١٢).

(٥) سورة السبأ: الآية (٣).

(٦) سورة الأنعام: الآية (٥٩).

(٧) سورة يس: الآية (١٢).

(٨) سورة الحج: الآية (٧٠).

(٩) سورة فاطر: الآية (١١).

أَن يَّشَاءَ ا للهُ رَبُّ العَـالمين﴾[١]، وقـال: ﴿وَلاَ تَقُولَـنَّ لِشَـيءٍ إِنِّـي فَـاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إلاّ أَن يَّشَاءَ ا لله﴾[٢]، وقال جل ذكره: ﴿مَن يَّشاءِ ا للهُ يُضْلِلْه وَمَن يَّشَأْ يَجْعَلهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾[٣].

ثامناً: ربط الأسباب بمسبباتها، قال تعالى: ﴿وإذا تُلِيتْ عَلَيهِـم آياتُـهُ زادتهم إيماناً﴾[٤]، وقال جل ذكره: ﴿فلما زاغوا أزاغَ ا لله قلوبهم﴾[٥]، وقال: ﴿والذين اهتدوا زَادَهم هدى﴾[٦].

تاسعاً: إثبات القدرة والفعل على العبد، قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كَسَبتْ أَيْدِيكم ويعفوا عـن كثير﴾[٧]، وقـال: ﴿إن ا لله لا يظلمُ الناسَ شيئاً ولكنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُم يظلمون﴾[٨].

وبناء على منهجهم العـام في اتبـاع طريقـة الكتـاب والسـنة في إثبـات عقائد القلوب ردوا الطرق الباطلة، وذلك من عدة وجوه:

---

(١) سورة التكوير: الآية (٢٩).

(٢) سورة الكهف: الآية (٢٣،٢٤).

(٣) سوةر الأنعام: الآية (٣٩).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢).

(٥) سورة الصف: الآية (٥).

(٦) سورة محمد: الآية (١٧).

(٧) سورة الشورى: الآية (٣٠).

(٨) سورة يونس: الآية (٤٤).

أولاً: لعدم إيصالها للمطلوب لما فيها من الإطالة في الوصول إلى المطلوب أو لدلالتها على أمر مشترك يدل على الحق والباطل.

ثانياً: لما في هذه الطرق من استعمال الألفاظ البدعية التي لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولا أثر عن السلف الصالح.

ثالثاً: دعواهم أن ما ابتدعوه هو طريقة القرآن.

رابعاً: أن هذه الطرق لو فرضت صحتها فإنها لا توصل إلى المطلوب حيث أنها تدل على أمر مجمل ولا يتبين بها المطلوب.

خامساً: أن هذه الطريقة لم يأت بها القرآن الكريم و لم يسلكها في إثبات عقائد القلوب.

سادساً: لما يلزم هذه الطرق التي استعملوها من لوازم باطلة مخالفة للعقل والشرع.

ومما يبين ذلك استدلالهم بطريقة الأعراض التي مؤداها أنها تقوم على أربعة قواعد هي:

أولاً: حدوث الأجسام.

الثاني: إمكان الأجسام.

الثالث: إمكان الصفات.

الرابع: حدوث الصفات.

وهو مبني على ما يدل على بطلانه وهي كما يلي:

أولاً: أن طريق حدوث الأجسام مبني على امتناع دوام كون الرب فاعلاً وامتناع كونه لم يزل متكلماً بمشيئته بل حقيقتها مبنية على امتناع كونه لم يزل قادراً على هذا وهذا، وهو قول باطل.

ثانياً: وإمكان الأجسام مبني على أن الموصوف ممكن بناء على أن المركب ممكن وعلى نفي الصفات. وهو باطل.

ثالثاً: وطريق إمكان الصفات مبنية على تماثل الأجسام وأكثر العقلاء يخالفون في ذلك.

رابعاً: وحدوث الصفات مبني على نفي الصفات لله رب العالمين: "فإذا كانت هذه الطرق فاسدة عند جمهور العقلاء بل فاسدة في نفس الأمر امتنع أن يكون العلم بالصانع موقوفاً على طريقة فاسدة ولو قدر صحتها علم أن أكثر العقلاء عرفوا الله وصدقوا رسوله بغير هذه الطريقة فلم يبق العلم بالسمع موقوفاً على صحتها فلا يكون القدح فيها قدحاً في أصل السمع"(١).

ومثله استدلالهم على الربوبية بدليل التمانع في الربوبية وهو أنه إذا قدر خالقان، فأما أن يتكافأ فيعجز أحدهما الآخر، وأما أن يتغالبا وعندئذ فإما

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٩٧-٩٩).

أن يغلب أحدهما فيكون الإله، وإما أن يعجز أحدهما الآخر فيتساقطان.

وهو وإن كان دليلاً صحيحاً إلا أنه لم يأت به القرآن، لأن القرآن جاء بدليل التمانع في الألوهية مع أنه لايوصل إلى المطلوب وهو أن الله هو الخالق بل إلى أن للعالم خالقاً سواء كان هو الله أو غيره ففيه من الاشتراك والإجمال ما لايدل على المطلوب، وهذا الأمر نفسه يقال في طريق أهل البدع في إثبات المعاد والنبوة والوحي ونحوها من الطرق التي لم يأت بها القرآن الكريم، وظهر فيها أثر الابتداع وصحة بعضها، ولايجوز أن تنسب إلى القرآن الكريم[1]، وبذا يعلم ما في هذه الطرق من الباطل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإذا استدلوا بدليل صحيح فهو مطابق لما جاء الرسول وإن تنوعت العبارات، ولهذا قد يستدل بعضهم بدليل إما صحيح وإما غير صحيح، فيطعن فيه آخر ويزعم أنه يذكر ما هو خير منه ويكون الذي ذكره دون ما ذكره ذاك وهذا يصيبهم كثيراً في الحدود - يطعن هؤلاء في حد هؤلاء ويذكرون حداً مثله أو دونه وتكون الحدود كلها من جنس واحد وهي صحيحة إذا أريد بها التمييز بين المحدود وغيره. إذ المقصود هنا التنبيه على الفرق بين الطريق المفيد للعلم واليقين كالتي في القرآن وبين ما ليس كذلك من طرق أهل البدع الباطلة شرعاً وعقلاً"[2].

---

(١) انظر: مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٢١٢،٢١٣).

(٢) نفس المرجع السابق.

هذا ويعتبر إبطال هذه الطرق وبيان ما تحمله من الأقوال المخالفة للحق واللوازم الباطلة جزءاً من منهج السلف في إثبات الحق المنزل على نبينا محمد ﷺ لدخوله في مسمى الطاغوت التي أمر الله اجتنابه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَد بَعَثنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت**﴾[١]، وذلك لما يترتب على سلوك هذه الطرق من الإقرار بالباطل الذي تحمله وذلك حكم بغير ما أنزل الله، قال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُم شُركاءُ شَرَعُوا لهُم مِنَ الدِّينِ ما لَم يأذن به الله**﴾[٢] ولأن الله لم يجعل الباطل طريقاً لإثبات الحق لما يترتب على ذلك من تزكية الباطل وإباحة استعماله والله لم يجعل ما يبغضه طريقاً لما يحبه إذ هو سلوك ما لا يوصل إلى المطلوب وكيف يوصل إلى الحق ولازم الحق حق ولازم الباطل باطل، وهو سبحانه أحكم من أن يجعل الباطل طريقاً للحق، قال تعالى: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إلاَّ الْضَّلاَل**﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُون وَمَنْ أَحْسَنُ مِن الله حُكْماً لِقَوْم يُوْقِنُون**﴾[٤]، بل كيف يمكن الجمع بينهما وهو جمع بين النقيضين وهما مما يستحيل اجتماعه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٢) سورة الشورى: الآية (٢١).

(٣) سورة يونس: الآية (٣٢).

(٤) سورة المائدة: الآية (٥٠).

الجواب الثالث: أن نقول بل هذه الطرق المعارضة للشرع كلها باطلة في العقل وصحة الشرع مبنية على إبطالها لا على صحتها فهي باطلة بالعقل والشرع والقائل بها مخالف للعقل والشرع من جنس أهل النار الذين قالوا: ﴿لَو كُنَّا نَسْمَعُ أَو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[١]، وهكذا شأن جميع أهل البدع المخالفة لنصوص الأنبياء فإنها مخالفة للسمع والعقل فكيف ببدع الجهمية المعطلة التي هي الأصل في كلام المكذبين بالرسل وبالكلام على بطلان هذه الوجوه على التفصيل، وإن الشرع لا يتم إلا بإبطاله[٢].

---

(١) سورة الملك: الآية (١٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٣١٩، ٣٢٠).

الفصل الرابع

منهجهم في التأليف والتصنيف

رابعاً: منهجهم في التأليف والتصنيف:

ومن منهج السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها طرقهم في التأليف والتصنيف، ويمكن عن طريق الاستقراء حصره في عدة طرق:-

الطريق الأول: سرد العقائد السلفية سرداً فهرسياً يحدد معالمها ويبين أفرادها دون تعرض للأدلة من الكتاب والسنة والمعقول الصحيح ومن هذا النوع من التأليف رسالة الإمام أحمد بن حنبل حيث سرد العقائد مجردة عن أدلتها وجرى على طريقته أبو الحسن البربهاري في كتابه شرح السنة، وأبي جعفر الطحاوي في كتابه العقيدة الطحاوية والغرض من هذا النوع هو وضع الضابط العام للسلف الذي يميزهم عما سواهم من أرباب البدع بحيث تكاد هذه العقائد المسرودة هي مجموعة العقائد التي يفارق أهل السنة والجماعة أرباب البدع.

الطريق الثاني: تقسيم الكتاب إلى أبواب كل باب يمثل جزئية من الجزئيات العقدية يذكر تحته مجموعة من النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأقوال السلف الدالة على ثبوت هذه العقائد شرعاً ووجوب الإيمان بها ومن هذا النوع من التأليف كتاب التوحيد وإثبات الصفات لابن خزيمة فإنه جعل لكل صفة باباً تحته النصوص الدالة عليها ومثله كتاب السنة لابن أبي عاصم، وكتاب التوحيد للإمام البخاري من صحيحه، وكتاب الإيمان لابن منده، وكتاب السنة لعبد الله بن الإمام

أحمد بن حنبل، والغرض من هذا النوع هو إثبات الحق بالدليل الشرعي وتحقيق مذهب السلف بنقل أقوالهم واتفاقهم.

الطريق الثالث: كتب الرد على الطوائف المنحرفة وبيان فساد معتقدهم وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرد على فرقة معينة من أهل البدع فيما اعتقدوه مما يخالف ما عليه سلف الأمة وهذا مثل كتاب الإمام أحمد بن حنبل.

- الرد على الزنادقة والجهمية.

النوع الثاني: الرد على رجل تمثل بدعة معينة يدعوا إليها ومن هذا النوع رد ابن عثمان الدارمي رحمه الله على بشر المريسي والحيدة للإمام عبد العزيز الكناني رحمه الله في الرد على بشر كذلك.

النوع الثالث: الرد على عقائد أهل البدع بغض النظر عن مسمياتها ويمثل هذا النوع رد أبوالحسن الأشعري رحمه الله على بعض عقائد الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة، في كتابه الذي قرر فيه مذهب السلف الإبانة في أصول الديانة وكتاب خلق أفعال العباد للإمام أبو إسماعيل البخاري رحمه الله، والغرض من هذا النوع من التأليف هو رد الباطل في باب النفي أو الإثبات بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة والمعقول الصحيح وإثبات الحق بحصر دلالة الدليل عليه دون سواه.

الطريق الرابع: ذكر العقائد السلفية مقرونة بأدلتها المبينة لها من الكتاب والسنة وذلك بسردها مقرونة بأدلتها ويمثل هذا النوع من التأليف كتاب الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكتاب لمعة الاعتقاد للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي رحمه الله، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي إسماعيل الصابوني، والغرض من هذا النوع من التأليف إثبات الحق بدليله المثبت له من الكتاب والسنة النبوية والمعقول الصحيح.

الطريق الخامس: تحقيق النقل عن السلف المثبت لما يعتقدونه وما يدينون لله به ويمثل هذا النوع من التأليف كتاب الرسالة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على عز المعطلة والجهمية للحافظ الإمام شمس الدين محمد بن القيم الجوزية رحمه الله، والغرض من هذا النوع من التأليف أحد أمرين:

أحدهما: تحقيق مذهب السلف عن طريق النقل عنهم بالأسانيد الصحيحة كما هو الحال في اجتماع الجيوش الإسلامية.

الثاني: بيان أن للسلف مذهب نهجوه وطريقاً سلكوه في الاعتقاد عن علم وبصيرة ومعرفة وتحقيق كما هو الحال في الرسالة الحموية.

الطريق السادس: التأليف في بعض المسائل المهمة في باب العقيدة مما عظم الخلاف فيها بين السلف وغيرهم من أهل البدع وإقامة الأدلة من الكتاب والسنة والنبوية والنقل عن السلف والعقل الصحيح الدالة على

إثباتها ونفي ما يضادها، والغرض من هذا النوع من التأليف هو بيان صحة مذهب السلف فيما اعتقدوه في هذه المسألة، وبيان أنه الحق الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة ومن أمثلة هذا النوع كتاب النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكتاب العلو للإمام الذهبي رحمه الله والإيمان لابن أبي شيبة رحمه الله، وكتاب التوحيد لابن منده، وكتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري رحمه الله.

الطريق السابع: نقد بعض كتب أهل البدع وبيان ما فيها من مخالفة الحق، وذلك ككتاب منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية، وكتاب شرح العقيدة الأصفهانية، وكتاب بيان تلبيس الجهمية، وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح كلها لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب هداية الحياري في الرد على اليهود والنصارى لابن القيم الجوزية، والغرض من هذا النوع من التأليف: نصرة الحق بيان ما في الباطل من زيف وشبهات باطلة لا تثبت عند التحقيق والتمحيص.

الطريق الثامن: نظم العقائد السلفية شعراً حتى يسهل حفظها واستحضارها من ذلك نظم أبي داود ونظم أبي الخطاب ونظم أبو زيد القيرواني ونظم السفاريني وغيرهم، والغرض من هذا النوع من التأليف: هو تسهيل العقائد واختصارها بحيث يسهل حصرها وعدها عند طلب الحصر أو الاستحضار، وذلك لما في النظم من جمال وسهولة الحفظ.

الطريق التاسع: شرح بعض الكتب السلفية في العقيدة الإسلامية

منظومة ومنثورة ومن أمثلة هذا النوع من التأليف شرح السفاريني على منظومته العقيدة السفارينية وشرح أبي العز الحنفي للعقيدة الطحاوية، والغرض من هذا النوع من التأليف هو الكشف عن معاني هذه المتون وإظهار ما خفي من معانيها والاستدلال لها بما يدل على ثبوتها من الأدلة الشرعية.

الطريق العاشر: الجواب عن ما تشابه على بعض أهل البدع من الأدلة النقلية والعقلية ببيان وجه الحق فيها ورد المعنى الباطل وذلك مثل كتاب الإمام أحمد الرد على الزنادقة والجهمية وكتاب مشكل الآثار للإمام الطحاوي وكتاب مختلف الحديث لابن قتيبة، والغرض من هذا النوع من التأليف هو: بيان سلامة النصوص من الدلالة على الباطل وبيان يقين دلالتها على الحق لفظاً ومعنى.

الحادي عشر: وضع القواعد العامة والأصول الكلية للعقائد السلفية حتى يضبط الذهن عن الخطأ في العقائد فتكون تلك القوانين محضة له عن الخلط والغلط وذلك مثل كتاب الرسالة التدمرية، لابن تيمية رحمه الله، وكتاب بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية، وكتاب القاعدة المراكشية لابن تيمية وغيرها، والغرض من هذا التأليف: هو تحصين الذهن من الغلط والخطأ في العقائد.

الثاني عشر: ذكر فرق الضلال وتتبع تاريخها وبيان خروجها عن أهل السنة وذكر جملة من عقائدهم الدالة على مخالفتهم لما عليه سلف الأمة

وأئمتها وذلك مثل: التنبيه على الأهواء والبدع لابن المطلي أو كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي، والغرض من هذا النوع من التأليف هو التحذير من البدع والمبتدعين وبيان ما عندهم من انحراف عن الحق.

الثالث عشر: اختصار بعض كتب العقيدة المهمة رجاء تقريبها للطالبين وتسهيلها للراغبين وجمعها على وجه يمكن من حصرها ومن أمثلة هذا النوع من التأليف كاختصار الإمام أحمد الموصلي كتاب الصواعق المرسلة واختصار الذهبي، كتاب منهاج السنة في كتابه منهاج الاعتدال، والغرض من هذا النوع من التأليف تقريب الكتاب لمن يطلب الانتفاع به لتسهيل عبارته وشرح بعض ما غمض من مقاصده والاستدراك عليه سواء في الاستدلال أو بعض العبارات إن جانبت الصواب.

الرابع عشر: جمع الأحاديث المتعلقة بالفتن في آخر الزمان وما في يوم القيامة من الأحداث العظام وما بين يديه من علامات الساعة وأماراتها، وذلك مثل كتاب الفتن والملاحم للإمام عماد الدين ابن كثير، والغرض من هذا النوع من التأليف هو الترغيب والترهيب مع التحذير من هذه الوقائع من أن يفتن المسلم عن دينه لعظمها وشدتها على العباد حتى يأخذوا لها العدة لو نزلت وهم أحياء مع بيان أن الإيمان بها واجب وأنها من أسس الاعتقاد التي قام الدليل اليقيني عليها حيث تواترت النصوص بوقوعها وحصولها.

الخامس عشر: التعليق على بعض كتب العقيدة سواء كانت من الشروح أو المتون، وذلك مثل تعليق الشيخ سليمان بن سحمان على كتاب لوامع الأنوار البهية شرح المنظومة السفارينية وسماه تنبيه ذوي الألباب السليمة وتعليق الشيخ عبد الله بابطين عليه ونظير ذلك ما علقه شيخ الإسلام ابن تيمية على كتب الرازي والارميني والقشيري، والغرض من هذا النوع من التأليف بيان ما وقع فيه هؤلاء من أخطاء وبيان ما جانبهم فيه الصواب من الألفاظ والمعاني.

السادس عشر: التأليف لبيان ما في بعض العلوم من الباطل ونقض أصولها وبيان زيف ما بنيت عليه من قوانين تخالف ما جاء به الرسول ﷺ ومن أمثلة ذلك كتاب الرد على المنطقين، وكتاب نقض المنطق كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية.

السابع عشر: الفتاوى العقدية وذلك بالجواب على ما يسألون عنه مما له تعلق بالعقيدة ومثال ذلك الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية جواباً لمن سأله عن جملة من الأمور العقدية من تدمر ومثله الواسطية جواب لسؤال من واسط والقاعدة المراكشية جواب سؤال من مراكش، والغرض من هذا النوع من التأليف رفع الإشكال الذي يتضمنه السؤال سواء كان بيان لاعتقاد السلف أو جواباً عن آية أو حديث اشتبه مثل كتاب شرح حديث النزول لابن تيمية.

دراسة مختصرة

عن بعض الكتب العقدية السلفية

"دراسة مختصرة عن بعض الكتب العقدية السلفية"

وبناء على ما تقدم فإنا نرى أنه من اللازم علينا أن نقوم بدراسة عدد من كتب السلف والتعريف بها حتى ينكشف لنا ما قررناه نظرياً واقعاً عملياً، ونرى أن هناك عدة كتب مهمة بالنسبة لما مرت به العقيدة الإسلامية من أساليب التأليف فيها حسب العصور المختلفة وهي تعطي صورة واضحة عن منهج السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها وهي كما يلي:

أولاً: كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه.

ثانياً: كتاب الإبانة في أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري.

ثالثاً: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب.

رابعاً: كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

خامساً: أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل.

سادساً: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد.

سابعاً: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة.

ثامناً: كتاب الرسالة التدمرية لابن تيمية.

تاسعاً: كتاب التوحيد من صحيح البخاري للإمام البخاري.

عاشراً: عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام أبي إسماعيل الصابوني.

الحادي عشر: خلق أفعال العباد للإمام البخاري.

"دراسة عن بعض كتب العقيدة"

أولاً: كتاب السنة لأبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل:

منهج الكتاب:

هو كتاب جامعه هو عبد الله ابن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل يعالج عدداً من قضايا العقيدة الهامة تقريراً واستدلالا وهو كتاب أثري يعتمد في إثبات قضاياه العقدية على النقل المحض أعني على كتاب الله وسنة ورسوله ﷺ وما قرره علماء السلف وهو صورة صادقة يبين منهج السلف في تقرير العقيدة السلفية وطريقهم المسلوك في إثبات العقائد الدينية أعني أصول الاستدلال العقدي أو مصادر التلقي للعقائد ويظهر ويبرز طريقة من طرق الدفاع عن العقيدة وهو الجواب على ما اشتبه على غيرهم من آيات الله وأحاديث رسوله.

مما يدل على أن السلف قد بنو مذهبهم العقدي على علم وبصيرة بأصول الاستدلال العقدي ومعاني كلام الله ورسوله ﷺ ومراميه مما يدل على بطلان الدعوى التي يقررها كثير من الخلف من أن الخلف أعلم بالنصوص ومعانيها من السلف، وإن حظ السلف من الكتاب والسنة قراءة الألفاظ وتفويض المعاني وذلك لجهلهم بها مع أن السلف هم أولى بالعلم بالله ورسوله ﷺ ودينه.

التعريف بمؤلف الكتاب:

هو عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الرحمن الشيباني البغدادي ولد في جمادي الآخرة سنة ٢١٣ حدث عن أبيه، وعن عدد من العلماء، منهم يحيى بن معين وأبي بكر وعثمان بن أبي شيبة وسفيان بن وكيع وغيرهم كثير.

روى عنه عدد من أهل العلم منهم أبو بكر الخلال وأبو القاسم البغوي وخلائق كان ثقة ثبتا وممن وثقه الخطيب.

حفظ وسمع المسند عن أبيه وهو ثلاثون ألفاً والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفاً سمع منها ثمانين ألفاً والباقي وجادة وسمع الناسخ والمنسوخ والتاريخ وحديث شعبة، والمقدم والمؤخر في كتاب الله تعالى وجوابات القرآن والمناسك الكبير والصغير وغير ذلك من التصانيف.

كان عالماً بالرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى مواظباً على طلب الحديث وكان لا يكتب عن أحد إلا بأمر أبيه توفي رحمه الله في يوم الأحد ودفن في آخر النهار لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٩٠هـ[١].

أهمية الكتاب:

أهمها مايلي:

---

(١) انظر: المنهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد (١/٢٠٦-٢٠٩)، مطبعة المدني، خلاصة تهذيب تذهيب الكمال، ص(١٩٠)، مكتب المطبوعات الإسلامية.

١- هو تأليف أثري مسوق على طريقة المحدثين فهو من حيث الصحة أو عدمها خاضع لمقاييس النقد عند أهل العلم بالأثر.

٢- أنه ثاني كتاب ألف في العقيدة على طريقة الفهرسة العامة.

٣- أن المؤلف لا يقبل فيه إلا ما صح سنده.

٤- أنه كان مرجعاً هاماً في العقيدة لما ألف بعده من الكتب مثل كتاب الآجري الشريعة وكتاب السنة لأبي بكر الخلال وكتاب الإبانة الكبرى لابن بطة، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية.

مميزاته:

١- إنه ألف على الطريقة الأثرية.

٢- اهتمامه بتعدد طرق الأحاديث والآثار.

٣- العناية بالكلام على رجال الحديث والأثر.

٤- يسند بعض الروايات إلى أماكنها من كتب العلماء.

٥- ينقد الروايات نقداً علمياً دقيقاً.

٦- يميز بين صحيح الحديث والأثر وضعيفه.

٧- إنه إذا كان وافق شيخه في الرواية عن شيخ شيخه يروي النص عن شيخه.

٨- ذكر زمن الرواية وهذا مفيد في علم الرجال حيث يمكن العلم بزمن اختلاط الرواية أن حصل هل هو قبل الرواية أو بعدها.

٩- يعبر عن الشك أو النسيان بما يدل عليه إذا حصل ذلك.

١٠- إنه لا يروي فيه إلا عن ثقة أخذاً بوصية والده له بذلك.

١١- الأمانة في النقل حيث ربما لقي شيخاً ولكنه مع ذلك يرويه عنه بواسطة غيره مع أن المحدث يطلب علو السند وذلك بتقليل الوسائط

طريقة الكتاب(١):

١- له عناوين موضوعة.

٢- ذكر ما يدل على الباب من أحاديث وآثار.

٣- لا يخلى الباب من أحاديث صحيحة.

٤- يروي بالسند فلا يحذف أوائل الإسناد.

٥- الاهتمام بالأمور المتعلقة بالرجال والسند والمتن والعلل.

٦- ذكر العقائد السلفية مسنده عن من ذكرها.

مباحث الكتاب:

وهي كما يلي:

١- إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق وكفر من قال خلافه.

٢- نقد الإمام أبي حنيفة في الاعتقاد.

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق كتاب السنة للدكتور محمد بن سعيد القطحاني بتصرف.

وأهم النقاط التي تعرض لها:-

أ - الخروج على أئمة الجور.

ب- الغلو في القياس.

جـ- وصف أبي حنيفة بأنه كالجرب.

د - تكفير أبي حنيفة بما نسب له من القول بخلق القرآن والتحقيق إن هذه النسبة غير صحيحة.

هـ- وصفه بنقض عرى الإسلام عروة وعروة واستباحه لعنه.

٣- مسألة الرؤية.

٤- الكرسي.

٥- الإيمان والرد على المرجئة.

٦- القدرية وحكم الصلاة خلف القدري الداعية والقول بتحريم الصلاة خلفه.

٧- الدجال وصفته.

٨- الرد على الجهمية

٩- إثبات صفة الوجه.

١٠- إيضاح آراء العلماء حول رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج وبيان إنه لم يره وإنه القول الراجح.

١١- ذكر الآيات التي اشتبهت على الجهمية وهي (٢١٥) آية.

١٢- الرد على الجهمية في إنكارهم للكلام والرؤية واليد والخلق وغير ذلك.

١٣- مسألة الخلافة وما يتعلق بها.

١٤- بيان بطلان ما تدعيه الرافضة من وصيته ﷺ بالخلافة لعلي رضي الله عنه وآل بيته.

١٥- بيان أن الخلافة ثلاثون سنة وتمامها بخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

١٦- الكلام على عذاب القبر وفتنته ومنكر ونكير وما يتعلق بذلك.

١٧- الكلام على الخوارج وأهم ضلالاتهم ومنها:

أ - استحلالهم دماء الصحابة.

ب- تكفير للصحابة.

جـ- خروجهم على سلاطين المسلمين.

د - تكفيرهم من لم يعتنق آراءهم.

هـ- تكفير أهل القبلة بالذنوب الصغائر.

تحقيق الكتاب:

طبع كتاب السنة في مجلدين ضخمين من القطع الكبير بتحقيق الدكتور/ محمد بن سعيد القحطاني، وأصل الكتاب بحث أعده محققه لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة وقد قدمه بدراسة مختصرة عن الكتاب وقام بتخريج أحاديثه وآثاره والترجمة لرجاله ونقل أقوال المعدلين والمجروحين فيها ثم وضع له فهارس علمية تخدمه هذا وقد ذكر المحقق أن الكتاب اشتهر باسم (الرد على الجهمية والزنادقة).

ملاحظات على كتاب السنة:

ويؤخذ على هذا الكتاب عدة أمور:

١- إسرافه في ذم الإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن ذلك تكفيره واستحلال لعنه مما هو ظاهر التحريم، ويجب أن تتنزه عنه مثل هذه الكتب الأثرية.

٢- إن نسبة القول بخلق القرآن لأبي حنيفة غير صحيحة بل هي مكذوبة عليه رحمه الله.

٣- إن الإرجاء الذي نسب لأبي حنيفة ليس هو عين الإرجاء المنسوب للفرقة المبتدعة المرجئة، ولكن لما كان كل منهما يؤخر العمل عن الإيمان فيجمعهما اسم الإرجاء ظن أن أبا حنيفة يقول ما تقوله المرجئة.

فإن أبا حنيفة يقول إن العمل لابد منه ولا يصح الإيمان إلا به فهو شرطه ولازمه وإن لم يقل بأنه ركن له، وأما المرجئة فيرون العمل ليس شرطاً ولا لازماً ولا ركناً وبذلك يتبين أن القولين مختلفان وإن كنا نقول إن قول أبي حنيفة مرجوح لمخالفة الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهو يفتح الباب لأهل البدعة المرجئة.

ثانياً: كتاب الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري:

منهج الكتاب:-

وهو كتاب متوسط الحجم اشتمل على كثير من عقائد أهل السنة والجماعة وأقرب ما يوصف به بأنه كتاب مناظرات عقدية يذكر كلام المعترض أو المناظر ثم يرد عليها بما يدل على بطلانها من المنقول والمعقول قدمه المؤلف بمقدمة متوسطة تكلم فيها -بعد الحمد لله والمدح له بما هو أهله، والصلاة على نبيه محمد ﷺ والثناء عليه وعلى أزواجه- على وجوب الاتباع لما جاء به ﷺ إجمالاً وتفصيلاً وذكر انحراف كثير من الناس عن سبيله في الدين ووصفهم بأنهم ممن غلبت عليهم شقوتهم واستحوذ عليهم الشيطان، ثم أنه عرج على التحذير من الدنيا والاغترار بها والتحريض على طلب الآخرة والحرص على ما ينفع فيها.

سبب تأليف الكتاب:-

أشار المؤلف إلى سبب تأليفه له ومضمونه إنه قصد إلى الرد على المعتزلة وأهل القدر فيما تأولوه من كتاب الله بما لم يقم عليه دليل وبرهان من نقل عن رسول الله ﷺ وعن المتقدمين من السلف الصالح، ويدل عليه قوله رحمه الله: "أما بعد، فإن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ولا

أوضح به برهاناً ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين"[١].

موضوع كتاب الإبانة:

هو تقرير ما أنكرته المعتزلة والقدرية من العقائد الإسلامية مثل رؤية الله بالأبصار في الآخرة والشفاعة وعذاب القبر وإن الكفار في القبور يعذبون وكون القرآن كلام الله وأنه منزل غير مخلوق وإنكارهم للقدر ودعوى أن الله خلق الخير والشيطان خالق الشر وإنكار المشيئة الإلهية وتعلقها بأفعال العباد وإنكار أن الله خالق أفعال العباد.

ورد قولهم بأن العصاة من المؤمنين في النار مخلدين لا يخرجون منها وإنكارهم لأحاديث النزول وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ والرد على سائر أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية.

التعريف بالفرق الواردة في الإبانة:

١- المعتزلة:

سموا لاعتزالهم المسلمين بعد موت الحسن بن أبي الحسن البصري، وكان شيخهم واصل بن عطاء الغزال يحضر حلقته للتعلم، فلما أظهر آراءه وخالفه الحسن البصري فيها اعتزل بنفسه ومن اتبعه فسموا المعتزلة.

---

(١) الإبانة في أصول الديانة، ص(٦)، مطبعة الجامعة الإسلامية.

وأصولهم خمسة:

١- التوحيد: وهو نفي الصفات.

٢- العدل: ويراد به إنكار القدر.

٣- المنزلة بين المنزلين: وهو أن عصاة الموحدين المرتكبين للكبائر ليسوا بكفار ولا مؤمنين ولكنهم بين المنزلتين في الدنيا.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو الخروج على الأئمة وشق عصا الطاعة عليهم.

٥- انفاذ الوعيد: وهو أن من مات من أهل الكبائر على كبيرته فهو في النار خالداً مخلداً.

وأشهر عقائدهم القول بخلق القرآن الكريم وإنكار القدر والقول بتخليد الموحدين أصحاب الكبائر في النار، وإنكار الصفات وأن أسماء الله أعلام محضة لا تدل على كمال يتصف به الباري جلا وعلا.

٢- القدرية.

وهما طائفتان:

أ - المنكرون للقدر وهم المعروفون بالقدرية القائلين بأن الله لم يخلق أفعال العباد وأن العباد هم الخالقون لأفعالهم وينكرون علم الله ومشيئته.

ب- الغالون في إثبات القدر وهم المعروفون بالجبرية، ويقل إطلاق اسم القدرية عليهم إلا في اسم عام يجمعها والقدرية النفاة للقدر.

وهؤلاء ينفون مسؤلية العباد عن أفعالهم ويعتبرونهم كالريشة في مهب الريح ويجعلون الفاعل الحقيقي هو الله.

وأول من نفى القدر هو معبد الجهني، وهو إمام القدرية النفاة ويدخل في مسمى القدرية كل من نفى القدر كالمعتزلة والرافضة والأشعرية.

٣- الجهمية:

نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي وهم ينكرون الأسماء والصفات والقدر، والإيمان عندهم هو القول فقط دون التصديق بالقلب والعمل بالجوارح، ومنهم من يجعله المعرفة بالقلب فقط.

٤- المرجئة:

نسبة للإرجاء وهو التأخير لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان وهم قسمان:

أ - مرجئة الفقهاء وهم الأحناف يقولون بأن العمل شرط أو لازم للإيمان.

ب- مرجئة مبتدعة وهم الذين يقولون إن الإيمان معرفة القلب فقط، وقد تقدم أن قول مرجئة الفقهاء هو قول مرجوح لمخالفته للكتاب والسنة والنقل عن السلف ولما فيه من فتح الباب للمرجئة

المحضة (البدعية)، وأما قول المرجئة المبتدعة فهو قول مبتدع لاحظ له من النظر.

٥- الحرورية:

نبسة لحار وراء بلدة في العراق قريبة من البصرة وهم الخوارج، وأهم معتقداتهم:

أ - الخروج على الأئمة ويطلقون عليه اسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- تكفير من خرج عن معسكرهم.

جـ- نفي الصفات.

د - القول بخلق القرآن.

هـ- أصحاب الكبائر من الموحدين كفار في الدينا مخلدون في النار في الآخرة.

و - استحلال معسكر السلطان، وذلك بأخذ الأموال وسبي النساء.

ز - تكفير علي ﷺ وأصحابه ومعاوية ﷺ وأصحابه وبعضهم كالأباضية يكتفون بالتخطئة.

التعريف بمؤلف الإبانة[1]:

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن هلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (الصحابي المشهور) إمام المتكلمين وصاحب الكتب والتصانيف، كان شافعي المذهب في الفروع بصري سكن بغداد إلى أن توفي ولد سنة (٢٦٠هـ) وهو إمام في الكلام أمام في الفقه، والحديث، أخذ الاعتزال على زوج أمه أبو علي الجبائي وتبحر فيه حتى بلغ فيه الغاية ثم رجع عنه بعد أن قضى أربعين سنة عليه، وسبب رجوعه أنه "كان يورد الأسئلة على أساتذته في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك فحكى عنه أنه قال وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد فقمت وصليت ركعتين سألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم ونمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فشكوت إليه بعض مابي من الأمر، فقال رسول الله ﷺ عليك بسنتي فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً"، وقد جلس في خلوة مع نفسه خمسة عشر يوماً ثم صعد بعد ذلك المنبر فقال: "معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة و لم يترجح حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله

---

(١) تبين كذب المفترى، ص(٣٤،٣٨،٣٩،١٤٦ وما بعدها).

تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس".

ومن ذلك اليوم وهو من ألد أعداء المعتزلة يؤلف الكتب في الرد عليه وإيضاح ضلالاتهم.

توفي رحمه الله سنة ٣٢٤هـ، وقيل غير ذلك.

عقيدة الأشعري[(١)]:

مر الأشعري في اعتقاده بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال وهو اعتناقه لمذهب المعتزلة.

المرحلة الثانية: رجوعه عن الاعتزال واتخاذ طريقة عبد الله بن سعيد ابن كلاب والذي تنسب له الكلابية وهذه هي عقيدة الأشاعرة الآن.

المرحلة الثالثة: رجوعه عن مذهب الكلابية إلى مذهب السلف الصالح.

عقيدة الأشاعرة بعد الأشعري[(٢)]:

وأصحاب الأشعري بعده على طائفتين:-

الطائفة الأولى: أكابر أصحابه كأبي بكر الباقلاني فهؤلاء على إثبات للباري جلا وعلا سواء كانت صفات ذات أو صفات فعل وألف كتاباً

---

(١) انظر: مقدمة كتاب القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، ص(٢١ وما بعدها).

(٢) رجوعه إلى عقيدة السلف الصالح.

اسمه الإنصاف ذكر فيه عقيدة السلف.

الطائفة الثانية: وهم متأخرو أصحابه وهم على قسمين:

القسم الأول: من بقي على عقيدته المتوسطة، وهي عقيدة الكلابية وهم يؤمنون ببعض الصفات الذاتية وينكرون صفات الفعل جملة وتفصيلاً.

القسم الثاني: من خلط بين العقيدة المتوسطة عقيدة الكلابية والاعتزال، وهم طبقة أبو المعالي الجويني، المشهور بإمام الحرمين هو أول من أدخل الاعتزال على الأشاعرة وأشعرية اليوم هم على عقيدة أبي المعالي.

عقيدة الأشاعرة بعد أبي المعالي الجويني:-

وعقيدتهم[1] تتضمن إثبات سبع صفات تسمى صفات المعاني، وهي الحياة والسمع والبصر والإرادة، والقدرة والكلام والعلم مع التحفظ في بعض هذه الصفات، ونفي جميع الصفات الواردة في الأخبار كالوجه واليدين والعينين ونحوها من صفات الذات، والنزول والاستواء ونحوها من صفات الفعل والصفات عندهم عشرون صفة، وهي السبع السابقة وصفة الوحدانية، والبقاء، والقدم، ومخالفته للحوادث والقيام بالنفس وتسمى الصفات السلبية وسبع تسمى الصفات المعنوية وهي حي وسميع وبصير

(١) انظر تفصيل العقيدة الأشعرية: كتاب منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (٤٤٨/٢)، القواعد الكلية للأسماء والصفات، ص(٢١ وما بعدها).

ومريد وقدير متكلم وعالم، وصفة الوجود وتسمى الصفة النفسية هذا وإن مما ينبغي التنبيه عليه إن رجوع الأشعري إلى عقيدة السلف وموته عليها لا يجعل الانتساب إليه جائزاً بناء على ذلك فيقول الرجل هو أشعري وذلك لما توهمه هذه النسبة من أن الرجل على عقيدة متأخري الأشاعرة فالنسبة إلى الأشعري على أنه سلفي العقيدة بدعة محرمة لما يفضي إليه من مدح عقيدة المتأخرين من الأشاعرة، وهي المخلوطة بالاعتزال.

مميزات كتاب الإبانة:-

وأهم مميزات هذا الكتاب هي:

١- جمعه في الاستدلال بين المنقول والمعقول.

٢- صياغته على سبيل المناظرات الكلامية.

٣- العناية بذكر شبهات أهل الباطل وردها بالمنطق العقلي.

٤- الردود التي تضمنتها الإبانة سهلة الأسلوب عذبة العبارة.

٥- بعده عن الأساليب الكلامية والألفاظ المنطقية.

٦- إنها رد على أهم أصول الفرق: الجهمية، المعتزلة القدرية، الحرورية، الرافضة.

٧- تقرير الحق مجرداً عن الخلاف العقدي مقروناً بأدلته من الكتاب والسنة، وأقوال السلف.

٨- إن الأشعري قد صرح فيه باتباعه لمذهب السلف بل صرح أنه على ما يقوله أبو عبد الله أحمد بن حنبل، انظر لذلك ص(٨).

٩- كثرت الاستدلال على العقائد وهذا مما يؤكدها فإن كثرتها يقوم مقام التواتر في إفادة اليقين.

١٠- الشمولية لأكثر بحوث العقيدة.

١١- هذا الكتاب أدانة لمن تابع الأشعري على عقيدته المتوسطة مما يدل على بطلانها إذ الذي حكم ببطلانها هو مبتدع النحلة نفسه.

أهمية الكتاب:

١- تأتي أهمية هذا الكتاب من جهة كونه يمثل فترة معينة تعبر عن عقيدة الإمام الأشعري التي مات عليها والتي تعبر عن رجوعه عن أي عقيدة سواها مما يدل على بطلان ما انتهجه أصحابه من بعده لاسيما من خلط عقيدته المتوسطة بالاعتزال.

٢- وهو من جهة أخرى شهادة من إمام المتكلمين على صحة مذهب السلف والحق ما شهد به المخالفون وإن كنا نقول إن كون ما قاله السلف حقاً ليس متوقفاً على شهادة الأشعري، لأن إجماع القرون المفضلة وإثبات ما قالوه بالكتاب والسنة مع دلالة العقل الصحيح عليه كافية في إثبات كونه حقاً.

٣- وهو يمثل نوعاً معيناً من التأليف العقدي هو المناظرات الكلامية

العقدية وهذا الكتاب هو أساس في ذلك، لأن الأشعري إمام المتكلمين فهو سنة جديدة في باب معالجة الموضوعات العقدية.

مباحث الكتاب:

وقد سار الأشعري في كتابه الإبانة على خطة البحث الآتية وهي كما يلي:

١- خطبة تضمنت بيان موضوع الكتاب وأسباب تأليفه.

٢- بيان مضمون العقائد الباطلة التي يراد ردها.

٣- سرد مقرون بالأدلة لعقيدة أهل الحق.

٤- باب في الكلام على إثبات الرؤية بالأبصار ورد الشبه حول هذا الموضوع.

٥- باب في الكلام على إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ورد الشبه حول هذا الموضوع وذكر كلام السلف في إثبات ذلك والرد على من قال أنه مخلوق أو توقف في ذلك.

٦- الكلام على إثبات استواء الله على العرش وما يتبع ذلك من إثبات علوه تعالى على عرشه والرد على الشبه حول هذا الموضوع.

٧- تقرير الكلام على عدد من الصفات وهي الوجه والعينان والبصر واليدان وبيان مذهب السلف في ذلك والاستدلال عليه والرد على نفاتها.

٨- الرد على الجهمية في نفيهم للعلم والقدرة وجميع الصفات وإيراد بعض الشبه والاعتراضات وردها.

٩- مبحث خاص بالإرادة والرد على عقيدة المعتزلة فيها وإيراد الشبه والاعتراضات حول صفة الإرادة وردها.

١٠- الكلام على مباحث القدر كأفعال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير وفرض الشبه والرد عليها.

١١- الكلام على عدد من القضايا تتعلق بالقدر وهي التكليف، وإيلام الأطفال، والختم والآجال والأرزاق، والهدى والضلال، والتعليق على المشيئة (الاستثناء) وذكر ما ورد عن السلف حول القدر وإثباته بالدليل.

١٢- الكلام على بعض ما يتعلق بالموت وعذاب القبر وبعض ما يتعلق باليوم الآخر كالشفاعة، وأهل الكبائر وتقرير مذهب أهل السنة في ذلك وذكر الحوض وأدلته.

١٣- الكلام على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وأدلة ذلك من الكتاب والسنة وذلك عن طريق الكلام على فضل الصحابة ومدح الله وتزكيته لهم ثم إجماعهم على خلافة أبي بكر ﷺ.

ما يؤخذ على كتاب الإبانة:

ويؤخذ على كتاب الإبانة عدة أمور هي:

١- نسبة القول بخلق القرآن لأبي حنيفة، وهو بريء منه، فقد صرح في كتابه الفقه الأكبر بأن القرآن غير مخلوق والظاهر أن ما روى عنه

ظاهره القول بخلق القرآن قصد به أن ألفاظنا وحركاتنا باللسان وحروفنا هي المخلوقة، وأما المتلو المقروء فهو كلام الله كما ثبتت روايات صحيحة عنه رحمه الله بخلاف ما ذكره صاحب الإبانة وعذر صاحب الإبانة إنه جرى على ما عليه أهل الحديث من أنهم يذكرون كل ما يرد في الباب.

٢- كثرت عرض الشبه وهو ما أنكره السلف ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ولعل ذلك بقية من آثار مذهبه الكلامي القديم ومع ذلك فلا تخلو ردوده على هذه الشبهات من فوائد جمة وهو مما يذكي العقل ويحرك الذهن إلا أن السلف نهوا عنه لما قد يترتب عليه من ضعف الرد وحسن عرض الشبه مما يخشى منه التأثر بالشبهات.

ثالثاً: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد.

هذا الكتاب هو أهم كتب شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وأكثر كتبه حضاً من عناية العلماء شرحاً وتدريساً وتعليقاً وتحشية ومن هنا كان لابد لمن أراد أن يدرس العقيدة السلفية الصحيحة الإطلاع على صورة موجزة عنه إذا قصرت همته عن دراسته والعناية به.

مؤلف الكتاب:

هو شيخ الإسلام وإمام أهل السنة والجماعة ورائد النهضة العقدية في العصر الحديث محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن

أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف التميمي النجدي ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم واتقن حفظه وهو صغير تتلمذ أول أمره على والده الشيخ عبدا لوهاب فلما شب وذاق حلاوة العلم رحل في طلبه إلى الحجاز والشام والبصرة فقرأ في المدينة المنورة على الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي ثم المدني، والعلامة الشيخ محمد حياة السندي المدني وفي البصرة لازم الشيخ محمد المجموعي البصري وفي الأحساء على الشيخ محمد العفالق وابن فيروز وغيرهم وكان رحمه الله يرى من خلال أسفاره ويطلع على ما أصاب حياة المسلمين العقدية من انحرافات عن منهج الحق من أمور تعارض التوحيد بل هي من الشرك المخرج من ملة الإسلام فرأى إنه من الواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن هذا المنكر فأخذ يدعو إلى التوحيد وترك مظاهر الشرك والوثنية وكان أول ما جهر بذلك سنة ١١٤٣هـ، وقد لاقى رحمه الله في سبيل ذلك كثيراً من المشاق لكثرة انتشار الشرك ومظاهره وتعود الناس على ذلك وتعلق قلوبهم به حتى كاد رحمه الله أن يقتل تارة وأن يموت عطشاً تارة أخرى حتى يسر الله له من نصر دعوته وهو الإمام محمد بن سعود رحمه الله حتى عم خبر هذه الدعوة المباركة.

بلاد نجد كلها وما جاورها بل وتأثر بها كثير من قادة الإصلاح الديني في البلاد الإسلامية كالشيخ الإمام محمد عبده مفتي مصر وجمال الدين الأفغاني والسيد محمد رضا والألوسي الكبير وصديق حسن خان والأمير

محمد الصنعاني وتلميذه محمد بن علي الشوكاني وغيرهم كثير.

وكان من فضائلها وبركتها أن مكن الله لأحفاد الإمام محمد بن سعود مما كان سبباً بعد ذلك في وجود المملكة العربية السعودية دولة التوحيد وناصرته والتي كان من كرامات الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن بشر به الإمام محمد بن سعود عندما بايعه على نصرة الدين ونشر التوحيد والجهاد من أجل ذلك هذا وتوفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ، بعد أن نفع الله به كثيراً ممن قرأ عليه وتتلمذ على يديه ومنهم أبناؤه الأربعة وحفيده حمد بن ناصر والشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين والشيخ عبد الرحمن بن نامي الشيخ عبد الرحمن بن خميس الفرضي، والشيخ عبد العزيز أبو حسن الوهبي التميمي، والشيخ حسن بن عبدان وغيرهم كثير هذا وقد نفع الله بطلابه هؤلاء حتى وصلتنا بركة علمه ودعوته رحمه الله رحمة واسعة[١].

اسم الكتاب:

(كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد).

موضوع الكتاب:

هو توحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية فكان هذا التوحيد أعظم حظاً من حظ ما سواه من أنواع التوحيد والسبب في ذلك أن هذا

---

(١) انظر: النعت الأكمل، ص(٣٣٥ وما بعدها).

التوحيد يتضمن أنواع التوحيد كلها فلا يتصور أله حق ليس هو خالق رزاق محي مميت ليس متصفاً بصفات الجمال والكمال ومسمى بأفضل الأسماء وأحسنها كما أن الكتاب قد عالج إبطال الشرك ومظاهره الذي هو ضد توحيد الألوهية والعبادة وهو بذلك يقتدي بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدوا ا للهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[(١)]، فاشتملت الآية على الدعوة للتوحيد ونبذ الشرك الذي هو ضده وقد تعرض رحمه ا لله لتوحيد الصفات في باب سماه "با من جحد شيئاً من الأسماء والصفات"، وباب "احترام أسماء ا لله وتغيير الاسم لأجل ذلك"، وباب قول ا لله تعالى: ﴿**وَ للهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بهَا**﴾[(٢)]، ولايكاد يتعرض لتوحيد الربوبية إلا في إطار تقرير توحيد الألوهية، لأن الربوبية داخلة في الألوهية دخولاً أولياً كما في باب قول ا لله تعالى: ﴿**ولَئن أَذَقْنَاه رَحْمَةً مِّنَّا مِن بعد ضرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي**﴾[(٣)].

(منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد)

ويمكن حصره فيما يلي:

١- إنه كتاب أثري يعتمد على الآية والحديث والأثر وأقوال السلف.

---

(١) سورة النحل آية (٣٥)

(٢) سورة الأعراف آية (١٨٠)

(٣) سورة فصلت آية (٥٠).

٢- كل باب فيه ابتدئ بآية أو آيات أو حديث أو أثر.

٣- ذيل كل باب بمسائل هي في الحقيقة أحكام الباب أو ما يستفاد من هذه النصوص والآثار.

٤- أخذ في معالجة الموضوعات المختلفة حول توحيد الألوهية طريقة التفصيل بعد الإجمال.

٥- ترتيبه للأبواب اعتبرت فيه أولويات الموضوعات بحسب أهميتها وقربها من توحيد الألوهية.

٦- اختص الكتاب بعلاج ما يتعلق بتوحيد الألوهية دون سواه وإن لم يخل من إشارات خاطفة لغيره من أنواع التوحيد.

٧- رتبت المسائل التي هي استنباطات حسب ترتيب نصوص الباب.

٨- ينقل بعض الإفادات عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم.

٩- الكتاب فريد في بابه من جهة الجمع أو طريقة العرض أو ترتيب الأبواب ودقة المستنبطات.

طريقة الكتاب:

ويمكن إيجازها فيما يلي:

١- تقسيم الكتاب إلى أبواب.

٢- وضع عنوان للباب يعبر عما سيعالج فيه من معاني عقدية.

٣- ابتداؤه بآية أو عدة آيات تدل على موضوعه ثم بعد ذلك سياق الأحاديث والآثار.

٤- تذييله بمسائل هي مستنبطات من تلك النصوص والآثار.

٥- يلاحظ أن الكتاب ليس للمؤلف فيه أي جهد غير الجمع والترتيب والتبويب واستنباط الأحكام ويبدو أن المؤلف رحمه الله أراد بذلك بيان أن دعوته أصولها التي تبنى عليها هي الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.

٦- ما جمع من الآي والحديث والأثر في أبواب الكتاب هي نصوص في بابها لا تحتمل غير ما عنونت به أبوابها والذي يظهر أن الشيخ رحمه الله أراد الإلزام التام لمن قرأ الكتاب بما فيه لوضوح دلالته وعدم احتمالها، ولأن الدليل إذا كان نصاً واضح الدلالة لا معارض له كان ألزم في الحجة وأظهر في تقرير مدلوله وسهولة الوصول للمراد منه، ولأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية صحيحة المعنى ولا مدخل للاجتهاد فيها من جهة، ولأنها من الوضوح بحيث يكون أي كلام غيرها ليس بأصرح منها في معانيها من جهة اللغة العربية التي هي لغة الوحي.

ليبطل دعوى أنه جاء بذلك من قبل نفسه اجتهاداً وفهماً فيكون ذلك معبراً عن رأي صاحبه غير ملزم لسواه ممن يخالفه في الاجتهاد والفهم.

٧- مسائله مختصرة الألفاظ واضحة المعاني صيغت بلغة سهلة ميسورة الفهم.

٨- يعتبر الكتاب بالنسبة لما ألف مختصراً مفيداً سهل الحفظ جامعاً مانعاً في بابه.

٩- بعض الأبواب يجعل الآية عنواناً لها إشارة إلى أن الباب يعالج مدلول هذه الآية ومعناها ومقصودها.

١٠- الإجمال في بعض المسائل كقوله تفسير آية البقرة.

١١- الأحاديث الضعيفة قليلة وأكثرها صحيحة والضعيف فيها ليس متفقاًعلى ضعفه، وأما الأحاديث الموضوعة فهو منزه عنها فلا توجد فيه.

١٢- أحاديثه وآثاره مجردة عن أسانيدها وآياته غير منسوبة لسورها ولا مرقمة الآي.

١٣- ينسب الأحاديث والآثار إلى كتب السنة دون تحديد الموضع وكثيراً ما يترك الحكم على الحديث.

١٤- أكثر أحاديثه في البخاري ومسلم أو أحدهما أو بقية الكتب الستة كمسند الإمام أحمد ويقل أن يأتي بشيء من غيرها كمصنف عبد الرزاق، وهو مرجع عظيم في الآثار وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني ونحوها.

١٥- ينقل الآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ولا يكاد ينقل عن سواهم شيئاً إلا نادراً جداً كنقله لبعض الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم.

١٦- عدد أبواب الكتاب (٥٩) باباً استغرقت جميع مباحث الكتاب.

مباحث الكتاب:-

ويمكن معرفة مباحث الكتاب بسرد فهرس الأبواب التي اشتمل عليها الكتاب وهو كما يلي:-

١- كتاب التوحيد وهو معقود لبيان معناه وما يدخل في نطاق مفهومه وأهميته.

٢- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

٣- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

٤- باب الخوف من الشرك.

٥- باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

٧- باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء أو دفعه.

٨- باب ما جاء في الرقى والتمائم.

٩- باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

١٠- باب ما جاء في الذبح لغير الله.

١١- باب لايذبح لله بمكان يذبح فيه لغيره.

١٢- باب من الشرك النذر لغير الله.

١٣- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله.

١٤- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

١٥- باب ضعف الشركاء والمدعوين من دون الله.

١٦- باب قول الله تعالى: ﴿حتى إِذَا فُزِّعَ عن قلوبهم﴾[1] الآيات.

١٧- باب الشفاعة.

١٨- باب قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ﴾[2].

١٩- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين.

٢٠- باب ما جاء من النهي عن عبادة الله تعالى عند القبور.

٢١- باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً.

٢٢- باب ما جاء في حماية الرسول ﷺ جناب التوحيد.

٢٣- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

٢٤- باب ما جاء في السحر.

٢٥- باب أنواع السحر.

٢٦- باب ما جاء في الكهان ونحوهم.

٢٧- باب ما جاء في النشرة.

٢٨- باب ما جاء في التطير.

٢٩- باب ما جاء في التنجيم.

٣٠- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

٣١- باب حب غير الله من أنداد وأبناء.

---

(١) سورة سبأ آية (٢٣).

(٢) سورة القصص آية (٥٦).

٣٢- باب إرضاء الله لسخط الناس والعكس.

٣٣- باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتوكَّلوآ إن كُنتُم مُؤْمنين﴾[١].

٣٤- باب القنوط من رحمة الله ولأَمْنِ مِنْ مَكْر الله.

٣٥- باب الصبر من الإيمان.

٣٦- باب ما جاء في الرياء.

٣٧- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله في الدنيا.

٣٨- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً.

٣٩- باب قول الله تعالى: ﴿ألَم تَر إلَى الَّذينَ يَزعُمُونَ أنَّهُم ءامَنوا بِمَآ أُنزِلَ إلَيك﴾[٢] الآية.

٤٠- باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

٤١- باب قول الله تعالى: ﴿يَعرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونها﴾[٣].

٤٢- باب قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أنداداً وَأَنْتُم تَعْلَمُون﴾[٤].

٤٣- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

٤٤- باب قول ما شاء الله وشئت.

---

(١) سورة المائدة آية (٢٣).

(٢) سورة النساء آية (٦٠).

(٣) سورة النحل آية (٨٣).

(٤) سورة البقرة آية (٢٢).

٤٥- باب من سب الدهر فقد آذى الله.

٤٦- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

٤٧- باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.

٤٨- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

٤٩- باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنّا مِن بَعدِ ضَرَّاء مسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذا لِي﴾(١).

٥٠- باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءاتَاهُما صَالِحاً جَعَلا لَه شُرَكَاءَ فِيما ءاتَاهُمَا﴾(٢).

٥١- باب قول الله تعالى: ﴿وَ للهِ الأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعوهُ بِها﴾(٣).

٥٢- باب لا يقال السلام على الله.

٥٣- باب قول اللهم اغفر لي إن شئت.

٥٤- باب لا يقول عبدي وأمَتِي.

٥٥- باب لا يرد من سأل الله.

٥٦- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

٥٧- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَو كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ

---

(١) سورة فصلت آية (٥٠).

(٢) سورة الأعراف آية (١٩).

(٣) سورة الأعراف آية (١٨٠).

شَيءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنا﴾[١].

٥٨- باب النهي عن سب الريح.

٥٩- باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَة﴾[٢].

أهمية الكتاب:

تأتي أهمية كتاب التوحيد من جهة تقريره لأعظم أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية، والكلام على إفراده، وضده الذي هو الشرك وأعظم ذنب عصي الله به، ومن جهة كونه كتاب أثري قد استوعب في طياته عدداً من النصوص والآثار الدالة على صحة ما عقد له الكتاب.

وهو أيضاً كتاب فريد في تأليفه وترتيبه مبتكر في فكرته وطريقة عرضه، ولا يعرف كتاب يشابه في ذلك أو يقاربه.

وتزداد أهميته إذا علمنا أنه لم يؤلف بعد إلى الآن كتاب على منواله ولا أعلم أيضاً كتاباً مثل طريقته ووضع على شاكلته ولهذا كله فقد اعتنى علماء الدعوة السلفية وخاصة في نجد بشرحه والتعليق عليه ووضع الحواشي المفيدة له وتأليف الكتب لاستنباط ما يدل عليه من أحكام عقدية.

و لم يزل محلا لعناية العماء السلفيين وخاصة في المملكة العربية السعودة ولا يكاد أن يوجد طالب علم فيها إلا وقرأه ودرسه مع بعض شروحه.

---

(١) سورة آل عمران آية (١٥٤).

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٤).

شروح كتاب التوحيد:

وأهم شروحه:

١- تيسير العزيز الحميد، لحفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد الوهاب، وقد شرحه إلى أن بلغ باب ما جاء في منكري القدر.

٢- فتح المجيد، وهو للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

٣- قرة عيون الموحدين، وهو شرح مختصر لمؤلف فتح المجيد.

٤- إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ سعد بن عتيق.

٥- القول السديد، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

٦- حاشية، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٧- تعليق مفيد جداً، للشيخ محمد منير آغا الدمشقي.

٨- الدر النضيد، للشيخ سعد الجنيدل.

٩- التعليق المختصر المفيد للدكتور الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

١٠- الجديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد العزيز القرعاوي.

رابعاً: كتاب السنة، للإمام أحمد بن حنبل.

ويعتبر كتاب السنة أحد الأصول الرئيسية لأهل السنة والجماعة "السلف الصالح" فهو يشتمل على عقيدتهم بأوجز عبارة وأوضحها

صورة بدأه الإمام أحمد رحمه الله مبيناً منهجه بقوله: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها، والمعروفين بها فالمقتدي بهم فيها، من أصحاب النبي إلى يومنا هذا، أدركت من أدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها.

"فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو ظن فيها أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق"(١).

مؤلف هذا الكتاب:

هو إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني البغدادي صاحب المذهب المعروف، ولد سنة ١٦٤هـ، ببغداد، وجيء به إليها من مرو حملاً كان من أوعية السنة وحفاظها قال عنه أبو زرعة مخاطباً ابن الإمام أحمد كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث، وقال عنه قتيبة بن سعيد: "أحمد إمام الدنيا". وقال عنه إسحاق: "أحمد حجة بين الله وخلقه"، رحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، وأخذ العلم عن عدد ليس بالقليل من العلماء الأئمة منهم هشيم بن بشير وسفيان بن عيينة ويحيى القطان، وإسماعيل بن عليه، أبو يوسف القاضي وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الرزاق بن

---

(١) شذرات البلاتين رسالة السنة، ص(٤٤).

الهمام، والشافعي وغيرهم كثير وقد روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبناه صالح وعبد الله هذا وكان رحمه الله زاهداً في الدنيا مترفعاً من متاعها ورعا حتى سارت بأخبار زهده الركبان وجلد في زمن المأمون على قوله القرآن منزل غير مخلوق وجادله أحمد بن أبي داود بالقول بخلق القرآن فأبى[١]. وتمسك بقول السلف وتحمل الأذى في سبيله فسجن وجلد فصبر واحتسب حتى نصره الله وأظهر الحق على يده حدَّثَ وألَّفَ.

وأعظم مصنفاته كتابه المشهور بمسند الإمام أحمد بن حنبل، قال عنه هو: "إن هذا الكتاب يعني مسنده -قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفاً فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه فإن كان فيه وإلا فليس بحجة"، عدة أحاديثه ثلاثون ألفاً.

ومن مؤلفاته: التفسير وهو مائة ألف وعشرون حديثاً سمع منها ثلاثين ألفاً والباقي وجادة.

ومنها أيضاً الرد على الزنادقة والجهمية وهو جاوب عن بعض ما أورده الجهمية من الشبهات حول بعض آي القرآن الكريم لاسيما ما يتعلق بالاعتقاد ومنها كتاب السنة الذي نحن بصدد دراسته.

توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ، لأثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول[٢].

---

(١) انظر: النعت الأكمل، ص(٣٨ وما بعدها).

(٢) انظر: النعت الأكمل، ص(٣١،٣٧) ملخصاً.

موضوع كتاب السنة:

هو اعتقاد السلف الصالح أهل السنة والجماعة ممن عرفوا بالإمامة في الدين والسلامة من كل بدعة علمية من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وقد قرر اعتقادهم مجرداً عن الأدلة من الكتاب والسنة فهو سرد ميسر خال من التعقيد اللفظي والمعنوي سهل الأسلوب فهو أشبه ما يكون بفهرسة تفصيلية لما يتضمنه اعتقاد السلف الصالح.

وصف الكتاب:

ويمكن لنا أن نوجزها فيما يلي:

١- سهولة الأسلوب مع نصاعته وحسن عبارته.

٢- خلوه من الأدلة الشرعية والعقلية إلا بعض آيات قليلة جداً لا تزيد على خمس آيات وليس فيه شيء من الأحاديث النبوية والآثار.

٣- جمعه لأصول العقيدة السلفية.

٤- اختصاره مع إفادته.

٥- خلوه عن الألفاظ الكلامية والمصطلحات المنطقية والفلسفية.

٦- لم يبتدئه بالحمد لله والصلاة على النبي ﷺ وابتدأه بالبسملة "بسم الله الرحمن الرحيم"؛ وهو أمر لم يختص به أحمد بل فعل ذلك البخاري في الجامع الصحيح، ومالك في الموطأ اكتفاء بالبسملة عن ذلك كله إذ

اشتملت هي على متطلبات الحمد والثناء على الله بما هو أهله.

٧- ذكر بعض الأمور ليست من العقائد لكن لما تواترت بها النصوص أشبهت العقيدة في أفادتها لليقين وعدم قبولها النقيض مما حمله على ذكرها في رسالته هذه.

مباحث الكتاب:

يمكن إيجاز مباحث كتاب السنة في الموضوعات التالية:

١- الإيمان وما يتعلق به من مباحث وآراء الناس فيه مرجئة وجهمية.

٢- القدر وما يتعلق به وقد توسع بعض الشيء في بيان بعض أطرافه ومهمات مسائله.

٣- علم الله الشامل ومشيئته النافذة وعلاقتهما بما يجري في الكون وإن الإيمان بالقدر والمشيئة لازم العلم.

٤- أفعال العباد وأنها واقعة بعلمه ومشيئته تعالى وإن الله خالقها.

٥- وموقف السلف من أهل القبلة وأنهم لا يشهدون لأحد بأنه في النار لذنب عمله كبيراً كان أم صغيراً.

٦- موقف السلف من أحاديث الوعيد وهو عدم التعرض لها بتأويل بل تمر كما جاءت.

٧- تقرير أن الخلافة في قريش وأنهم لا ينازعون فيها ولا تخرج عنهم ولا تقر لغيرهم إلى قيام الساعة.

٨- حكم الجهاد خلف الأئمة أبراراً وفجاراً وأنه ماض إلى يوم القيامة لا يبطل بجورهم ولا عدلهم.

٩- وأن الجمعة والحج ماض مع الأئمة وإن كانوا ليسوا عدولاً.

١٠- دفع الصدقات والأعشار والخراج والفيء والغنائم للأئمة سواء عدلوا فيها أو جاروا.

١١- وجوب طاعة الأئمة في المعروف وحرمة الخروج عليهم.

١٢- الكف عن أهل القبلة وعدم تكفيرهم بالذنوب وأن لا يحكم بخروجهم عن الإسلام إلا بعمل دل الدليل على أنه مخرج من الملة.

١٣- ألا يصلي خلف أهل البدع ولا يصلي على موتاهم.

١٤- تقرير كفر الدجال وأنه أكذب الكذابين.

١٥- الإيمان بالبرزخ والقبر وفتنته وما يتعلق به من عذاب ونعيم ونحو ذلك.

١٦- الإيمان بالقيامة والبعث وما يتعلق بهما من الحوض والصراط والميزان والصور والجنة والنار والشفاعة وأنواعها وذبح الموت وما يتعلق بالجنة والنار من أنهما باقيتان لا تفنيان، وأن الله قد جعل لكل منهما أهلاً.

١٧- وأجاب عن احتجاج بعض المبتدعة بقوله: "كل شيء هالك إلا

وجهه" على فنائهما وحاصل جوابه أن معنى الآية كل شيء كتب الله عليه الفناء يفني والجنة والنار لم يكتب عليهما الفناء بل خلقتا للبقاء.

١٨- اعتقاد أن الله خلق جميع الخلق بما فيهما السموات والأرض وما فيهما وإن عدتها سبعاً وأن السموات بعضها فوق بعض والأرض بعضها أسفل بعض وبين كل سماء والأخرى خمسمائة عام وإن الماء فوق ذلك وإن الله فوق العرش والإيمان بالحجب نار ونور وظلمة وماء وأن علم حقيقتها عنده تعالى والإيمان بالعرض والحساب وإنه هو الذي يحاسب العباد.

١٩- وأجاب عن بعض الآيات التي استدل بها بعض المبتدعة على إنكار علوه وفوقيته تعالى لقوله سبحانه: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيد**﴾[(١)]، وقوله: ﴿**وَهُو مَعَكُم أَينَما كُنتُم**﴾[(٢)]، ﴿**مَا يكون مِن نَجْوى ثلاثَة إِلاّ هو رَابِعهُم**﴾[(٣)]، بما حاصله أن المراد بقربه ومعيته هو العلم فهو معناه بعلمه لا بذاته بل هو بائن من خلقه عال على عرضه ليس من ذاته شيء في مخلوقاته ولا من مخلوقاته شيء في ذاته.

٢٠- الإيمان بحمله العرش والعرش وإن علمه لا تخفى عليه خافية.

---

(١) سورة ق: الآية (١٦).

(٢) سورة الحديد: الآية (٤).

(٣) سورة المجادلة: الآية (٧).

٢١- الإيمان بجمع صفاته من سمعه وبصره وضحكه، وحبه وفرحه ونحو ذلك، وأنه سبحانه ليس له مثيل في صفاته وأسمائه، وأنه يراه يوم القيامة عباده المؤمنون.

٢٢- بيان عقيدة السلف في القرآن وجملتها أنه كلام الله منزل غير مخلوق، وأن ألفاظنا التي نؤدي القرآن بها مخلوقة وأن المقروء الذي هو القرآن كلام الله، وإن من خالف هذا المعتقد فهو جهمي، وأن القول خلاف ذلك كفر وأن من لم يكفر من قال خلاف ذلك فهو كافر.

٢٣- وإثبات صفة الكلام له تعالى وأنه لم يزل متكلماً وأنه كلم موسى وأن موسى سمع من الله.

٢٤- بيان اعتقاد السلف وموقفهم من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم.

٢٥- فضل العرب على سواهم وسابقتهم باتباع الرسول ﷺ لغيرهم وإن ذلك موجب لحبهم لأن الرسول ﷺ منهم وأورد حديث: "سب العرب نفاق وبغضهم نفاق".

٢٦- وإن الأصل في المكاسب والتجارة الحل والحرص على الكسب الحلال وأن الأصول محفوظة لأصحابها مادام طريقها مما أحله الله.

٢٧- الرد على المرجئة فيما خالفوا فيه السلف من قضايا الإيمان ومباحثه.

٢٨- ذكر بعض فرق المبتدعة وهي اثنى عشر فرقة أو بعض اعتقاداتهم

وحكم على هذه الاعتقادات بالفساد وبيان أن بعضها أشد من بعض وهي لا تخرج عن خمس فرق رئيسية: القدرية، المعتزلة، الجهمية، الرافضة، الخوارج، واعتقاداتهم لا تخرج عن خمس عقائد وهي:

١- إنكار القدر أو الغلو في إثباته.

٢- إنكار الصفات والأسماء.

٣- سبهم للصحابة ﷺ أو بعضهم وتبرؤهم منهم أو بعضهم.

٤- استحلال دماء المسلمين وتكفيرهم واستباحتهم الخروج على الأئمة.

٥- القول بأن القرآن ليس كلام الله أو أن المقروء ليس كلامه بل كلام الخلق وأن القرآن مخلوق.

أهمية هذا الكتاب:

تبرز أهمية هذا الكتاب في عدة أمور:

١- أنه أبرز العقيدة السلفية في شمولها وتكاملها مع صفائها ونقائها.

٢- لأنه من تأليف أمام أهل السنة والجماعة والتي تعتبر النسبة إليه في الاعتقاد تزكية.

٣- لتضمنه الأصول العقدية الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

٤- أن هذه الرسالة مما أجمعت الأمة على صحة مضمونها ووجوب الإيمان به في الجملة.

٥- أنها كتبت في عهد كان فيه علماء الأمة الثقات كثيرون والقرائح لم تفسد ومع ذلك لم يثبت من عارضها بل من عارض مضمونها على مدى العصور رمي بالبدعة والانحراف عن الصراط المستقيم في الاعتقاد.

٦- أثبتت هذه الرسالة بطلان الدعوى القائلة بأن السلف لا منهج لهم في الاعتقاد يمكن اتباعه وإن المتكلمين الخالفين هم الذين أصلوا العقائد وضبطوها.

٧- أنه ألف في فترة زمنية قد زكاها الرسول ﷺ بقوله: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)، وهو عصر تابع التابعين، أي أنه قريب من عهد الرسول ﷺ وأصحابه والعقيدة في هذا العهد كانت أقرب لعهد الصحابة والنقل عنهم كان على أشده من جهة العناية به دراية ورواية والاقتداء بأفضل العصور كان هو همهم مما يدل على أنهم أوثق في النقل ممن جاء بعدهم وعلى هذا فكتاب الرسالة نقل موثوق به لجلالة الناقل وسعة علمه بالرواية والدراية، وقد اجمعت الأمة على جلالة قدره في العلم والزهد والقدوة مع قرب العهد وصحة النقل وقيام الداعي الشرعي عليه.

٨- هذا الكتاب يبطل قول من ينسب الجهل بالاعتقاد للسلف الصالح، وذلك أن هذا الكتاب يسطر الاعتقاد الذي أجمعت عليه أمة محمد ﷺ مما يدل على أن السلف لهم منهج نهجوه ومسلكاً طرقوه واعتقاداً تمسكوا به.

٩- أوضح الأصول التي اعتمدها السلف وهي الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ومدى اعتماد السلف على هذه الأصول.

خامساً: دراسة مختصرة حول كتاب أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

عنوان الكتاب:

هو أصول السنة، وهو مركب إضافي مكون من كلمتين: أصول والسنة، ولا يتوصل إلى معرفة معنى المركب إلا بمعرفة معنى مفرديه، وبناء على ذلك يمكن أن نقوم بتعريف كل مفردة منهما، ثم تعريف المركب وهو كما يأتي:

أولاً: تعريف كلمة أصول:

الأصول لغة:-

هي ما يبنى عليه غيره سواء كان حسياً كأساس البنيان، أو معنوياً كأساس المسائل العلمية.

الأصول اصطلاحاً عاماً:-

هو ما له فرع سواء كان حسياً كالجذع بالنسبة للأغصان أو معنوياً: كالفقه وأصوله فروع للشريعة.

الأصول عند علماء أصول الفقه:-

يطلق الأصل على أربعةِ معانٍ، هي:

الأول: القاعدة العامة كقولهم الأصل في الأشياء الإباحة.

الثاني: الراجح من الأمرين كقولهم الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز، و"الأصل براءة الذمة" "الأصل بقاء ما كان على ما كان".

الثالث: الأصل المقيس عليه كقولهم: "الخمر أصل" و"البر أصل" أي: يقاس عليه غيره من الفروع كسائر العصيرات المسكرة والمكيلات كالأرز والذرة ونحوها.

الرابع: الدليل وهو أشهر هذه الإطلاقات عند الأصولين، وذلك كقولهم: "الأصل في المسألة الكتاب والسنة أي دليلها"[1].

الأصول عند علماء الحديث:-

تطلق ويراد بها أمهات كتب الحديث المشهورة، وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجة، ومن هذا الإطلاق تسمية كتاب ابن الأثير جامع الأصول.

---

(١) شرح الكوكب المنير (١/٣٨-٤٠).

الأصول عند علماء العقيدة:-

يطلق لفظ أصل عند علماء العقيدة ويراد به أحد معنيين:

الأول: الدليل من الكتاب والسنة والعقل الصحيح والفطرة والحس الصحيح.

الثاني: القاعدة العامة، وهي المرادة في الاستعمال عند الإطلاق فأصول السنة قواعدها وضوابطها العامة التي اتفق عليها بين أئمة السنة.

تعريف السنة لغة:-

السنة: وهي لغة الطريقة حسنة أو سيئة، وفي الحديث: (لتتبعن سنن من كان قبلكم). وتطلق السنة يراد بها عدة معاني، وذلك بناء على تعدد الاستعمالات الاصطلاحية.

فالسنة عند علماء الحديث:-

هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف.

والسنة عند علماء أصول الفقه:-

هي ما أمر به الشارع لا على سبيل الإلزام به.

والسنة عند علماء الفقه:-

هي قرينة الواجب فإذا كان الواجب هو ما اقتضى الثواب على فعله والعقاب على تركه فإن السنة هي ما اقتضى الثواب على الفعل و لم يقتض

العقاب على الترك.

والسنة عند علماء الوعظ والإرشاد:-

هي ضد البدعة فإذا كانت البدعة هي الإتيان بما يخالف الشرع من عبادة أو معاملة أو عادة فإن السنة مقتضية للإتيان بما هو مشروع.

والسنة عند علماء الاعتقاد:-

تطلق ويراد بها أحد معنيين:-

الأول: الإسلام بمعناه العام، لأن الإسلام يراد به دين خاتم الأنبياء محمد ﷺ كما في قوله: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنه**﴾[(١)]، ويراد به الإسلام العام الذي هو دين الرسل كلهم وهو التوحيد أو العقيدة الصحيحة كما قال سبحانه: ﴿**فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[(٢)]، وقال: ﴿**وَأُمِرتُ لأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[(٣)].

الثاني: الاتباع لما جاء به الرسول ﷺ فمن الإطلاق على المعنى الأول كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل وكتاب السنة للبربهاري، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي وغيرها كثير.

---

(١) سورة آل عمران آية (٨٥).

(٢) سورة الذاريات آية (٣٦).

(٣) سورة الزمر آية (١٢).

ومن الإطلاق على المعنى الثاني شرح السنة للبغوي ومصابيح السنة له كذلك وأخذ اسم هذا الكتاب من كلام الإمام أحمد في أوله حيث بَدَأَهُ بقوله: "أصول السنة عندنا"، ولم أَرَ من أشار إلى تسمية الإمام أحمد له ذلك.

موضوع الكتاب:

هو بيان الأصول السلفية التي تميز أهل السنة عن سواهم من الفرق المنسوبة للأمة المحمدية، وذلك لئلا يختلط حق أهل السنة والجماعة "السلف الصالح" بباطل سواهم من المبتدعة، وإنما اعتنى السلف بيان هذه الأصول مع اشتهارها ومعرفتها لما رأوا جهل الكثير من الناس بالحق الذي جاء به الرسول ﷺ وتمسك به أصحابه ﷺ وتابعوهم وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين، وإنما خص السلف دون سواهم لأن الله سبحانه وتعالى وصفهم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَار وَالَّذِين اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُم وَرَضُوا عَنْه وَأعدَّ لَهُم جَنَّات تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَه جَاهدُوا بِأَمْوالِهِم وَأَنْفُسِهِم وَأُوْلَئِكَ لَهُم الْخَيراتُ وَأُوْلئكَ هُمُ الْمُفْلِحُون أَعَدّ الله لَهُم جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوزُ الْعَظِيم﴾[2]، ولنصه ﷺ على نجاة من تمسك بما جاء به فإنه لما

(١) سورة التوبة آية (١٠٠).

(٢) سورة التوبة: الآية (٨٨،٨٩).

سُئِلَ عن الفرقة الناجية قال: (هي الجماعة وفي رواية قال ما كنت عليه أنا وأصحابي).

ولأن أقوالهم سهلت النقل والإحصاء لعدم تفرقهم وظهور البدع بينهم فكانوا أولى بالاتباع ممن بعدهم ممن تفرق علماؤهم وكثرت البدع في بلادهم حتى خفي الحق إلا على من اتبع السلف الصالح وتمسك بما هم عليه.

أهمية الكتاب:

ترجع أهمية الكتاب لعدة أمور أهمها:

الأول: إلى كونه للإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة فهذا الكتاب ألفه علم من أعلام الأفذاذ الذين هم بقية السلف الصالح.

الثاني: تقريره لضوابط العامة والقواعد الأساسية التي تضبط مذهب السلف من خلال عقائده الأساسية التي يفارقون فيها أهل البدع.

الثالث: كونه يحرر أصول عقيدة الفرقة ا لناجية أهل السنة والجماعة والتي كان عليها رسول ا لله ﷺ وأصحابه.

منهج المؤلف في كتاب أصول السنة:

أولاً: بساطة اللغة التي كتب بها وهو راجع إلى أمرين:

أول: عدم اشتماله على ألفاظ لغوية بعيدة المعاني أو معقدة الألفاظ.

الثاني: بعده عن الألفاظ الكلامية والمصطلحات المنطقية.

ثانياً: جرد العقائد عن الأدلة الشرعية المثبتة لها.

ثالثاً: اختصر عباراته ومقاصده بحيث كان كتاباً جامعاً مانعاً.

رابعاً: ذكر فيه الأصول الأساسية التي يخالف أهل السنة والجماعة فيه المبتدعة.

خامساً: بين فيه الأساس الذي اعتمده في منهجه هو الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

سادساً: خلوه من الألفاظ البدعية والعقائد الفاسدة.

سابعاً: تقريره لوجوب التسليم لله ورسوله ﷺ وعدم معارضة قولهما بقول أحد البتة كائناً من كان كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى االلهُ وَرَسُولُه أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِمْ**﴾[1].

ثامناً: تعميمه لأحكام الابتداع بحيث لم ينسبه إلى طائفة بعينها حتى تكون أحكام المخالفة شاملة لجميع المبتدعة بأنواعها، وفي أي باب من أبواب الاعتقاد وهذا يظهر لنا المعنى الشمولي في إطلاق الابتداع عموماً على الفرق الضالة سواء ابتدعت في أمور متعددة أو أمر واحد.

تاسعاً: مجانبته للحكم بالابتداع على الأشخاص والطوائف على سبيل التعيين.

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٦).

عاشراً: شمولية مباحثه لأكثر أصول الاعتقاد وذلك فيما يظهر من أجل ضبط مذهب أهل السنة والجماعة في كل باب لئلا يظن أن المبتدعة لم يخالفوا أهل السنة والجماعة إلا في بعض الأبواب دون البعض الآخر.

الحادي عشر: جملة ما ذكره من العقائد هي متفق عليها بين أهل السنة والجماعة و لم يتعرض لشيء من العقائد الخلافية بينهم.

الثاني عشر: رفض المنهج البدعي في الاستدلال والتقرير للعقائد.

مباحث الكتاب:

ويمكن حصرها فيما يلي:

أولاً: بيان الأصول التي يعتمد عليها في استنباط العقائد وبعض الأحكام المتعلقة بها.

ثانياً: بيان المنهج المتبع في هذه الرسالة.

ثالثاً: رفض الابتداع في الدين والحكم بالعقول والأهواء ومجانبة الكتاب والسنة.

رابعاً: الكلام على القدر وما يتعلق به.

خامساً: رفض الجدل في أمور العقائد.

سادساً: تقرير مذهب السلف في القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق.

سابعاً: تقرير مذهب السلف في رؤية الله يوم القيامة.

ثامناً: الكلام على بعض حقائق اليوم الآخر كالميزان، والحوض،

وعذاب القبر، وفتنته، والشفاعة، ونهر الكوثر، والجنة، والنار.

تاسعاً: ذكره بعض علامات الساعة كخروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام.

عاشراً: إثبات صفة الكلام وإثبات كلامه تعالى لعباده يوم القيامة.

الحادي عشر: تقرير مذهب أهل السنة والجماعة (السلف) في حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

الثاني عشر: تقرر مذهب السلف في أصحاب رسول الله.

الثالث عشر: وجوب نصب الأئمة وبيان الواجب نحو أئمة المسلمين.

الرابع عشر: حرمة الخروج على الأئمة بالمعاصي وما يتبع ذلك من وجوب قتال الخارجين عليهم.

الخامس عشر: تقرير مذهب السلف في أهل القبلة وبيان حكم مُرْتَكبي الكبائر من أمة محمد ﷺ في الدنيا والآخرة.

السادس عشر: بيان حكم بعض الأمور المتواترة ووجوب القطع بموجب النصوص الواردة بها علماً وعملاً.

السابع عشر: بيان موقف السلف من أحاديث الوعد والوعيد.

الثامن عشر: حكم الصلاة والاستغفار على الميت من أهل القبلة سواء كان من أصحاب صغائر الذنوب أو كبائرها وتقرير مذهب السلف في ذلك، وبه ختم المؤلف رحمه الله هذه الرسالة المباركة.

مسائل مهمة أشار إليها المؤلف:

وقد استرعى نظري عدة مسائل هي حديث هذه الساعة فهي قديمة جديدة طالما تتجدد أصولها وهي:-

أولاً: إنه نتيجة لغلبة المادة ووسائلها على عقول بعض المتقدمين والمتأخرين برزت المعقولية على التسليم للشرع و مقابلة النصوص الشرعية بالمعارضة والنقص ولا شك أن ذلك انحراف عن مصادر الحق الذي يجب تلقيها بالقبول والتسليم وإلغاء أحكام العقل دونها.

ثانياً: وجوب التجمع حول ما كان عليه رسول الله وأصحابه ونبذ جميع المسميات الأخرى التي لم يشرع الله ولا رسوله ﷺ ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم التجمع حولها.

ثالثاً: وجوب السمع والطاعة وعدم الخروج على الأئمة بالذنوب والدعاء لهم وعدم الدعاء عليهم والصبر عليهم وإن جاروا واستأثروا بالأشياء ولازم هذا التجمع حولهم والنصرة لهم وبذل المعروف لهم والنصح لهم والبعد عن التشهير بهم.

رابعاً: ترك القول على الله بغير علم ولا هدى من الله ورسوله ﷺ والحرص على تعلقي العلم من الكتاب والسنة ومعقولهما على أهل العلم العارفين به.

خامساً: إن مقابلة ما ورد في الوعد والوعيد بالتسليم لا يعني أن

السلف لم يكونوا يفهموا معانيها ولا مقاصدها بدليل أن الإمام أحمد ذكر أن ذلك لايستلزم الحكم بالجنة أو النار لأحد ممن صدق عليه الوعد والوعيد ولو كان المراد بمجرد التسليم بلا فهم لنص عليه ولكن المراد به المقترن بالفهم الصحيح ولكان الحكم بالنار أوالجنة قاطعاً بناء على لفظ الحديث لكنه فهم أن ظاهر الكتاب والسنة هو الدلالة على عظم الذنب أو عظم ثواب الطاعة وليس المراد ترتب الوعد والوعيد يقيناً على كل من فعله لأن العبد قد يقوم به من الاعتقاد والعمل أو رحمة أرحم الراحمين أو نقمته ما يمنع عقوبته أو يوجبها.

سادساً: أن المؤمن مهما كان صلاحه وتقاه فينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء إذ الموجب لدخول الجنة هو رحمة أرحم الراحمين والأعمال الصالحات سبب لها فلا يجوز التساهل بالمعاصي الدال على الأمن من مكر الله ولا ترك الطاعات الدال على اليأس من رحمة الله بل نجد في الطاعات ونترك المحرمات ونرجوا رحمة الله ونخاف عقابه ونعلم أننا مهما بذلنا من الطاعات في سبيل مرضاة ربنا فإن ذلك قليل في حقه تعالى وأنّا لن نبلغ أن نعبده حق عبادته أو نطيعه حق طاعته، لأن حقه علينا عظيم جداً لا يكفي حياتنا لو كانت كلها طاعات لقضائه فما بالنا ونحن كثير العصيان فنسأل الله أن يرحم ضعفنا وأن يغفر ذنبنا إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

توثيق هذا المعتقد:

وأصول السنة مقطوع بأنه للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وذلك للأمور التالية:

أولاً: ورود نسبته إلى الإمام أحمد بن حنبل في عدد من كتب العلماء وعلى رأسها كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي حيث ساق هذا الاعتقاد بسنده فقال: "أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله السكري، قال: حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله بن بريد الدقيقي، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن عبد الوهاب أبو العنبر قراءة من كتابه في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائتين، قال: حدثنا: أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري -بتنيس، قال: حدثني عبدوس بن مالك العطار، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: "وذكر الاعتقاد بتمامه وقد استغرق من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من صفحة (١٥٦) إلى صفحة (١٦٤)"[(١)].

ثانياً: ذكر محقق شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وهو الدكتور/ أحمد سعد حمدان أن عين هذا الاعتقاد قد ذكر في طبقات الحنابلة لأبي يعلي (١/٢٤١) إلى (٢٤٦)"[(١)].

ثالثاً: وقد ذكر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: "فرغت من نسخها

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٥٦ وما بعدها).

عن نسخة خطية في ظاهرية دمشق (مجموع ٦٨ ق١٠-١٥) قبيل ظهر الأربعاء ٦ شعبان سنة ١٣٧٤هـ[١]، وذكر في مقدمة الرسالة سند الرواية وهي: "حدثنا الشيخ... إلخ ١٣/١٤"[٢].

سادساً: دراسة عن كتاب (الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد).

اسم الكتاب:

(الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكوا من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله).

مؤلفه وتحقيق نسبته إليه:

الكتاب منسوب إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله المتوفي عام (٢٤١هـ - ٨٥٥م)، وقد نص على نسبته للإمام أحمد رحمه الله عدد من العلماء نذكر منهم[٣]:

١- رواه أبو بكر الخلال من طريق عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل وقد كتبه من خط عبد الله وعبد الله كتبه من خط أبيه.

---

(١) انظر: أصول السنة للإمام أحمد، ط دار المنار، ص(٦٣).

(٢) المرجع السابق، ص(١٣/١٤).

(٣) انظر: عقائد السلف المقدمة، ص(١٣-١٧).

٢- احتج القاضي أبو يعلى في كتابه المشهور: (بابطال التأويل ببعض النقول) منه ونسبها للإمام أحمد بن حنبل.

٣- نقل ابن عقيل الحنبلي بعض الكلام منه ونسبه للإمام أحمد بن حنبل.

٤- أن القاضي أبا الحسين بن القاضي أبي يعلى قال أبي: "قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن حنبل، قال قرأت على أبي صالح بن أحمد هذا الكتاب فقال هذا كتاب عمله أبي في مجلسه رداً على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره رسول الله ﷺ وما يلزم اتباعه".

٥- حكاية ابن القيم إن أصحاب أحمد المتقدمين والمتأخرين مجمِعُون على أنه للإمام أحمد قال ابن القيم: "ولم يسمع عن أحد من متقدمي أصحابه ولا متأخريهم طعن فيه" أي: في نسبته للإمام أحمد بن حنبل.

٦- ذكر عبد الله بن الإمام أحمد جملة كبيرة منه في كتاب السنة.

٧- وقد صحح نسبته شيخ الإسلام ابن تيمية ونقل قطعاً منه في كتابه "نقض التأسيس"، وكتابه (تعارض العقل والنقل).

٨- ذكره في مؤلفات الإمام أحمد العليمي في كتابه المنهج الأحمد في تراجم أصحاب أحمد.

٩- ذكر الشيخ أحمد بن محمد السفاريني خلاصة كلام ابن القيم حول كتاب الرد على الزنادقة والجهمية وأثبت الكتاب في مؤلفات الإمام أحمد.

١٠- ذكر نسبته للإمام أحمد ابن النديم في الفهرس.

١١- ذكر نسبته للإمام أحمد ابن حجر في فتح الباري.

وقد حاول محمد زاهد الكوثري أن يشكك في نسبة الكتاب للإمام أحمد ومحصل شبهته أنه مروي عن طريق مجهول فقد ورد في سنده الخضر بن المثنى وهو مجهول وبناء على ذلك فلا يمكن أن تنسب إليه والذي يظهر أن الكوثري عندما أحس أن هذه الرسالة قاصمة الظهر بالنسبه له حيث كان يدافع عن مذاهب أهل البدع المتضمنة نفي صفات الله سلك هذا الطريق وقد أجاب عن هذه الشبهة ابن القيم رحمه الله تعالى بما محصله[1]:-

١- أن الخلال قال أنه كتبه عن خط عبد الله بن أحمد وكتبه عبد الله من خط أبيه.

٢- أن الخلال عرف الخضر بن المثنى وجهالة غيره به لا تضر إذ غايتها أنه أبان عن جهله والخلال أبان عن علمه.

ومن العجيب أن الدكتور سامي النشار قد أثبت صحة نسبة هذا الكتاب للإمام أحمد ودلل على ذلك في مقدمة عقائد السلف لكنه في كتابه نشأ الفكر الفلسفي في الإسلام وافق الكوثري في دعواه مع أن هذا

(١) عقائد السلف، ص(١٥).

الكتاب الأخير ألف بعد نشره لكتاب عقائد السلف الذي أثبت فيه صحة النسبة و لم يذكر مما فيه شيء ولا ناقشه مناقشة علمية تظهر زيفه إن كان غير صحيح ولكنه ساق إنكار النسبة وحاول أن يبرر ذلك ببعض الأمور التي لا تقف عند التحقيق وهي كما يلي[1]:

أولاً: ما سماه النقد الظاهري وقد ذكر فيه شبهة الكوثري وقد تقدم الرد عليها من ابن القيم الجوزية فليرجع إليه.

ثانياً: أن ابن الجوزي لم يذكرها في مؤلفات الإمام أحمد بن حنبل وترد من ثلاث وجوه:

١- إن عدم ذكر ابن الجوزي ليس حجة لكونه مقابل بمن ذكرها وهم أكثر وبأحمد وأصحابه الصق.

٢- إن ابن الجوزي قد انحرف به المسار عن مذهب السلف في كثير من المسائل فلعله لم يذكرها لكونها حجة عليه مع أنه حنبلي المذهب في الفروع.

٣- إن ابن الجوزي لم يقصد استيعاب كل مؤلفات الإمام أحمد فلا عجب إذا لم يذكرها وهذا ما قرره النشار نفسه بقوله: (لكن ابن الجوزي لم يذكر هذا الكتاب وإن كان نص على أنه لم يحص جميع

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١/٢٤٧،٢٤٩).

مؤلفات ابن حنبل، فقال: وأشياء أخر"[١].

ثالثاً: قوله: "إننا لا نجد لها ذكراً لدى أقرب الناس إلى الإمام أحمد بن حنبل ممن عاصروه وجالسوه أو أتوا بعده مباشرة وكتبوا في نفس الموضوع"، وذكر ابن قتيبة والدارمي وأبا الحسن الأشعري والبخاري وهذا مردود بما تقدم من حكاية من ذكر نسبته للإمام أحمد من الأمة بدءا بابنه عبد الله وغيره وكون أولئك لم ينقلوا منه لايدل على أنه ليس كتابه ويكفي إن مثل الأشعري صرح بمتابعة الإمام أحمد في اعتقاده ولو قارنت بين كلامه وكلام الامام أحمد لرأيت أن الكل يغترف من عين واحدة بل أنهم ليتفقون في بعض الردود وهكذا الأمر بالنسبة للدارمي والبخاري وغيرهم وليس واجباً على من ألف كتاباً أن ينقل عن غيره لاسيما وأن كتاب الدارمي والأشعري سيقت سياق المناظرات العلمية مما يجعل قضية النقل عنه لا مجال لها مع إننا قَدَمنَا بعض من نقل عن الإمام أحمد بن حنبل وفي ذلك ما يكفي ويشفي.

رابعاً: استبعاد أن يكون هذا المنهج النقدي لآراء الجهمية والمعتزلة هو منهج الإمام أحمد ولا أدري ما وجه هذا الاستبعاد مع جريان الكتاب في الاستدلال على منهج السلف فلا يستدل إلا بقرآن أو سنة ولا يورد فيه لفظاً محدثاً وقد حاول أن يؤيد هذا الاستبعاد بإنكار الإمام أحمد على

---

(١) عقائد السلف، ص(١٧).

المحاسبي ذكره للشبه والرد عليها وهذا الأمر مردود بأن هناك فرقاً بين الأمرين فإن المحاسبي كان يذكر ذلك في المجالس العامة مما قد يكون من أسباب التلبيس عليهم لكن الإمام أحمد ذكر هذا الشبه تأليفاً ورداً على الباطل وهذه هي طريقة القرآن الكريم فكم من شبهة رد عليها وأظهر زيفها و لم يزل علماء السلف قبل أحمد على ذلك كرد ابن عباس على شبهة الخوارج وغيرها.

خامساً: استعمال مصطلح أهل العقل والاستدلال بالعقل وهذا أمر لا غرابة فيه فإنه القرآن الكريم تحدث عن العقل وأمتن الله به على الخلق وذكر جملة من الموازين العقلية وأحمد بن حنبل متابع في ذلك للقرآن الكريم مع أن ما ذكر من أدلة العقل ليس جارياً على موازين المناطقة وصور أقيستهم بل هو استدلال سهل ميسور الفهم فهو من ضرب الأمثال المبثوثة في القرآن، أما مقاربته ومشابهته للأشعري في مقالات الإسلاميين والإبانة فإن ذلك الأن الأشعري نص على متابعته لأحمد مما يدل على إعجابه به مما يدعوه على تقليده في نمط الاستدلال بعد أن عاد إلى السلفية وكتابا الأشعري المتقدمان ألفهما في هذه الفترة من حياته فكان الأشعري يبتعد عن الأساليب الكلامية المغلقة وعن الاصطلاحات المجلمة الفاسدة.

موضوع الكتاب:

الكتاب في جملته يعالج موضوعين:-

الموضوع الأول: الجواب عن بعض الآيات القرآنية التي اشتبه معناها على أهل البدع حيث فسروها بغير تفسيرها فأجروها على ما يوافق أَهْواءَهَم وبدعهم الفاسدة المخالفة لدلالة الكتاب والسنة.

الموضوع الثاني: نقد وتقويم ومناقشة لآراء الجهم بن صفوان، ومن سلك مسلكه من المعتزلة وغيرهم وبيان بطلان آرائِهِمْ حول الرب وصفاته وبالدليل والبرهان من الكتاب والسنة والعقل الصحيح.

منهج الكتاب:-

وبالنظر في الكتاب ظهر لنا أن منهجه على النحو التالي:

أولاً: الرد على الجهمية فيما اشتبه عليها وقد سلك فيه الإمام أحمد النحو التالي:

١- مقارنة الآيات بنظائرها من كتاب الله وتفسيرها بناء على ذلك.

٢- مسلك الجمع بين الآيات بوجه من الوجوه التي يجتمع النَّصان في الدلالة عليه بحيث يزول التناقض المظنون أو تحمل كل آية على معنى يرتفع به التناقض المدعى وذلك بإرجاع كل آية لما يناسبها من الآيات في كتاب الله أو حملها على حالين بحيث تجري الآية على

حال غير حال الآية الأخرى.

ثانياً: الرد على الجهمية في آرائهم العقدية البدعية وهو على النحو التالي:

١- الاستدلال باللغة العربية ويجب هنا أن نشير إلى أن مراد الإمام أحمد من قوله مجاز اللغة أي في تفسيرها.

٢- الاستدلال بواقع الأشخاص الفاسد وبيئتهم المنحرفة، وهو استدلال بالواقع التاريخي على الأثر الذي يعقبه في الأشخاص.

٣- الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المروية عن الثقات في بيان بطلان أقوال أهل البدع.

٤- الاستدلال بالأمثال المضروبة أسوة بكتاب الله وسنة رسوله وهي استدلال بموازين العقل الصحيح على إثبات الحق ودحر الباطل وهي أمثلة سهلة العبارة مباشرة الدلالة على المراد خالية من الألفاظ الاصطلاحية البدعية.

٥- الاستدلال بأقوال الصحابة وغيرهم من سلف الأمة، يقول رحمه الله: "فرحم الله من عقل عن الله ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة، وقال بقول العلماء وهو قول المهاجرين والأنصار"(١).

٦- بيان أهم الصفات التي يفارق أهل البدع فيها أهل السنة والجماعة

---

(١) عقائد السلف، ص(١٠٣).

حيث قال في المقدمة: "الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب بقول على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعوذ الله من فتن المضلين"[١].

٧- مدح أهل السنة والجماعة والإغراء بمتابعتهم حيث قال: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس أحيوه وكم ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[٢]، وأرى أنه لابد وأن يشار في هذا المقام لمعنى التأويل والمتشابه عند الإمام أحمد لتأصيل هذا الكتاب على معرفة مدلولهما وهو:-

أن المتشابه يطلق ويراد به معنيان:-

أولهما: المتشابه العام وهو أن القرآن يشبه بعضه بعضاً في الاتقان

---

(١) عقائد السلف، ص(٥٢).

(٢) نفس المرجع السابق.

والأحكام لفظاً ومعنى ولذا وصف القرآن كله بذلك في قوله تعالى: ﴿ا للهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾[١]، وبمعنى هذا النوع من التشابه الإحكام العام فمعناه أن القرآن كله متقن في لفظه ومعناه وأسلوبه بليغ وفصيح في ذلك كله ومن هنا وصف ا لله القرآن كله بالإحكام في قوله سبحانه: ﴿الر، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُـه﴾[٢]، أي: اتقنت من جهة النظم والفصاحة والبلاغة.

ثانيهما: المتشابه الخاص وهو أن بعض آيات القرآن قد أغلق معناه واشبهت آياته بعضها بعضاً لفظاً أو معنى أو أسلوباً بحث ظن أن دلالة هذه الآية من جنس الآية الأخرى والأمر ليس كذلك وهو على ضربين:-

أ - مالا يعلمه إلا ا لله من المعاني وهذا لا سبيل إلى الكشف عنه ومن خاض فيه فقد قال على ا لله بغير علم، قال ﷺ: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار).

ب- ما كان معناه واضحاً لأهل العلم لكنه قد يشتبه معناه على غيرهم ممن قصر علمه وضعف حضه من الفهم وقد وصف ا لله بعض آيات كتابه بالمتشابه وبعضها بالإحكام كما في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٣]، فجعل الآيات

---

(١) سورة الزمر آية (٢٣).

(٢) سورة هود آية (١).

(٣) سورة آل عمران آية (٧).

المحكمات هي الأصل الـذي يرجـع إليـه ويتمسـك بـه بـل هـو أكـثر القرآن والأصل فيه وهذا المعنى الأخير من المتشابه الخـاص هـو المـراد بالمتشابه عند الإمام أحمد بن حنبل بدليل أنه فسر الآيات المتشـابهات كما أنه نسب تشابهها إلى الجهمية والزنادقة دون غيرهم مما يـدل أن التشابه اختص بهم وتفسيره لها لإزالة التشابه دليل على علمه بمعناهـا ودلالتها اللغوية وعليه فـإذا أطلـق التشـابه الـذي لا يعلمـه إلا الله لم يكن المراد به معناها اللغوي ولا دلالتها اللفظية الوضعية لأنها معلومة من حيث تكلم العرب بلغتهـم بـل المـراد المتشـابه حينئـذ الكيفيـات وحقائق المعنى الواقعية فأسماء الله وصفاته وما ذكـره مـن نعيـم الجنـة وعذاب النار معنـاه اللغـوي معـروف وبنـاء علـى فهمنـا لهـذا المعنـى نتجاوب وجدانياً وعملياً مع الآيات خوفاً ومحبة ورغبة ورهبة وإقداماً وإحجاماً قال ﷺ عما في الجنة: (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، ومثل هذا لا يمكن تصور حقيقته وماهيته، وقـال ﷺ: (لـو تعلمـون مـا أعلـم لبكيتـم كثـيراً ولضحكتـم قليـلاً ولخرجتم في الصعدات تجأرون).

ومعلوم أن ما ذكره الرسول ﷺ لم يحصل لنا لأننا لا نعلم من حقيقتـه شيء والإخبارات اللفظية عنه لا تفيدنا أكثر من قدر مشترك بينه وبين مـا نشاهد وبمقارنتـه بالمشـاهد تحصـل الجوانـب الوجدانيـة وتتبعهـا الجوانـب العملية.

وأما التأويل فيراد به في القرآن والسنة ولغة العرب أحد معنيين:

أحدهما: أن التأويل بمعنى التفسير ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِتأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ**﴾[١]، أي: تفسيرها.

ثانيهما: ما يقع في الحقيقة من مدلول اللفظ ومنه قوله سبحانه: ﴿**يَومَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**﴾[٢]، أي: يقع ما يدل عليه اللفظ في الحقيقة والواقع بحيث يكون مشهوداً مرئياً.

وبناء على ما تقدم من معنى المتشابه والتأويل فسر قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُون مَا تَشَابه مِنْه ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيله وَمَا يَعْلَم تَأْوِيلَهُ إلاّ ا للهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِه كُلّ مِن عِنْد رَبِّنا**﴾[٣]، فمن قال إن المتشابه مما لا يعلمه إلا ا لله وقف على لفظ الجلالة وعندئذ يكون تأويله حقيقته وكيفيته الخارجية وهي غير معلومة لنا، ومن وقف على ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلمِ**﴾[٤].١٥,٠٦,٩٦

كان معنى المتشابه ما يعلم معناه العلماء وإن جهله غيرهم، أو ما يعلم معناه مطلقاً فيكون معنى التأويل هو ما يدل عليه اللفظ في لغة العرب أو لغة الشرع وعليه فلا يوجد في القرآن الكريم ما لا معنى له وما تجهل

(١) سورة يوسف آية (٤٤).

(٢) سورة الأعراف آية (٥٣).

(٣) سورة آل عمران آية (٧).

(٤) سورة آل عمران آية (٧).

الأمة كلها معناه اللغوي بل قد يوجد ما يعلمه بعضهم ويجهله بعضهم وعليه فحق الكيفية الإيمان بها والتسليم وتفويض العلم إلى الله وحق بالمعنى اللفظي أن يفهم معناه ويعمل بمدلوله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤمِنة إِذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُوله أَمْراً أَن يكون لَهُم الْخِيَرةُ من أَمْرِهِمْ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَلا وَرَبِّك لا يُؤْمِنونَ حَتَّى يُحَكِّمُوك فِيمَا شَجَر بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمّاَ قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2].

مباحث الكتاب:-

قد تنوعت مباحث الكتاب مما جعله ثرياً بالمعلومات النافعة المفيدة لطالب العلم ونحن نعرضها على النحو التالي:

أولاً: مقدمة أشار فيها إلى فضل أهل السنة والجماعة وأهم ما اتصف به أهل البدع.

ثانياً: الجواب عن بعض الآيات التي ادعى بعض أهل البدع التناقض في دلالتها كقوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُم جُلُوداً غَيْرَهَا﴾[3]، حيث ادعوا أن التبديل يوجب تعذيب أجساد لم تذنب

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٦).

(٢) سورة النساء آية (٦٥).

(٣) سورة النساء آية (٥٦).

فأجاب رحمه الله عن ذلك أن التبديل هنا ليس هو خلق جلد جديد غير الأول وإنما المراد بالتبديل تجديد نفس الجلد فالعذاب واقع عليه نفسه لا غيره[1]، وقد أخذ من الكتاب من ص (٥٣-٦٥) من عقائد السلف.

ثالثاً: الكلام على الجهم ومصادر آرائه التي خرج بها على إجماع الأمة وبيان بطلانها بالقرآن والسنة والعقل الصحيح وإجماع السلف وأخذ من عقائد السلف من ص(٦٥ إلى آخر الكتاب)، وقد اشتمل على مناقشة الأمور التالية:

أ - مناظرة الجهم للسمنية وما انتهى إليه أمره من القول بأن الله هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق أي أنه لا يقيد بشيء وعليه فلا يوصف بصفة ولا يسمى باسم.

ب- الكلام على بشر المريسي وآرائه ومن تبعه من أصحاب أبي حنيفة كعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء كإنكاره لأن يكون الله شيئاً وقوله: أنه تحت الأراضين السبع كما هو على العرش وإنكاره لأفعال الله وأن صفاته كل منها عين الأخرى وإنكاره للعلو.

جـ- القول بخلق القرآن والرد على شبهاتهم النقلية حوله والاستدلال على أن القرآن كلام الله ليس مخلوقاً بعدة أمور أهمها:

١- تفريقه سبحانه بين قوله وخلقه.

---

(١) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية عقائد السلف، ص(٥٣،٥٤).

٢- نصه على أن القرآن وحيه.

٣- الفرق بين قوله للشيء وبين قوله الذي هو كلامه.

٤- إن القرآن لا يدخل في عموم قوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[(١)].

٥- تسميته كلامه و لم يسمه خلقه.

د - الكلام على روية الله يوم القيامة عياناً والجواب عن شبهات الجهمية والمعتزلة حولها.

هـ- إثبات كلام الله لموسى والرد على الجهمية والمعتزلة في إنكارهما ذلك، والجواب عن شبهاتهم حول ذلك.

و - الرد عليهم في إنكارهم الصفات والجواب عن بعض شبهاتهم في ذلك.

حـ- الرد على الجهمية والمعتزلة في إنكارهم للمعية العامة والخاصة والعلو والجواب على شبهاتهم في ذلك.

ط- ذكر بعض الأحاديث التي ادعت الجهمية والمعتزلة دلالتها على خلق القرآن والجواب عنها بما يزيل الشبهة ويبطلها.

ي- إثبات دوام الجنة ونعيمها والنار وعذابها والرد على الجهمية والمعتزلة في إنكار ذلك والجواب عن شبهاتهم في ذلك.

---

(١) سورة الزمر آية (٦٢).

ك- الإرشاد والنصح بالتمسك بالكتاب والسنة وما عليه المهاجرون والأنصار واتباعهم بإحسان وترك كل ما خالف ذلك.

تحقيق الكتاب ونشره:

حقق الكتاب عدة مرات لـمحققين مختلفين وهي:

الأولى: طبعة بتحقيق الشيخ محمد أحمد حامد الفقي في مطبعة السنة المحمدية.

الثانية: طبعة بتحقيق الشيخ محمد فهر شقفة منشورات مكتبة ابن الهيثم حماة.

الثالثة: طبعة بتحقيق الدكتور على سامي النشار والدكتور عمار جمعي الطالبي وهي آخر الطبعات فيما أعلم وهي أجودها فيما يظهر وقد طبع الكتاب ضمن كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل من روايته كجزء من كتاب السنة بتحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني وهي رسالته لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة.

أهمية الكتاب:-

تأتي أهمية كتاب الرد على الزنادقة والجهمية من عدة وجوه:

الوجه الأول: أنه من المصادر الرئيسية في عقيدة السلف الصالح التي تمثل الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ.

الوجه الثاني: إنه يمثل نوعاً من التأليف الخاص وهو التأليف على شكل المناظرات العلمية ويعتبر الكتاب من الفئة الأولى لهذا النوع من التأليف عند السلف والذي كان سبب بروزه على الساحة الإسلامية حاجة الأمة للدفاع عن دينها وعن الحق الذي جاء به رسولها ﷺ علماً بأن السلف لم يكونوا يَلْجَأوا لهذا النوع من التأليف إلا في حالة الضرورة القصوى خوفاً من خفاء الحق والتباسه بالباطل على الناس ولا وجه لمن شكك في نسبة الكتاب للإمام أحمد بن حنبل لأنه لم ينفرد به دون غيره من العلماء كالدارمي وعبد العزيز الكناني وغيرهما.

الوجه الثالث: ظهور نوع من التأليف وهو الجواب عما أشكل من آيات القرآن الكريم أو الجواب عما اشتبه على بعض الناس منه وقد دعت إلى التأليف في هذا النوع ضرورة سلامة النص القرآني من التناقض، قال تعالى: ﴿**وَلَو كَانَ مِن عِنْد غَيرِ ا للهِ لَوَجَدُوا فِيه اختِلافاً كَثِيراً**﴾[1]، وهو يعيد للمسلين ثقتهم بكتاب ربهم ويرجع بسهام أعداء الإسلام إلى نحورهم ويمنع من وقوع الفتنة بين المسلمين لاسيما أن فرض التناقض في دلالة القرآن أو محاولة ضرب آياته بعضها ببعض يقدح في دلالة القرآن الكريم على الحق وهو إبطال للشريعة من أصلها لأن سلامة مصادر الشريعة هي سلامة لها فيكون ذلك من حيازتها وصيانتها والدفاع عنها.

(١) سورة النساء آية (٨٢).

الوجه الرابع: تقريره للحق في القرآن الكريم، وذلك ببيان أنه كلام الله منزل غير مخلوق مما يعطيه المكانة الصحيحة له كمصدر إلهي صحيح، وهذه المسألة من أعظم المسائل التي قد جرت المعارك الكبرى فيها بين أرباب البدع والسلف الصالح فتحرير الحق فيها يعتبر من أهم المهمات وأعظم العقائد التي تميز مذهب أهل السنة والجماعة عما سواه من مذاهب المبتدعة.

الوجه الخامس: تقريره للعقائد الأساسية التي يخالف فيها أهل السنة والجماعة (السلف الصالح) أهل البدع المخالفة للحق.

الوجه السادس: أنه يظهر مدى أثر المناظرات مع أهل الباطل وأنها طريق لنشر الباطل لاسيما إذا كان ممن لم ترسخ قدمه في العلم الشرعي كما هو الحال في الجهم ومن ماثله، ولذا فإن السلف كانوا ينهون عنها لاسيما في الأماكن العامة كالمساجد والمدارس والمنتديات، ولأن في ذلك إعطاء للباطل أرضية ومكانة ضد الحق لاسيما إذا كانت الشبهة قوية والردود عليها ضعيفة أو غير واضحة المعنى للمستمع.

الوجه السابع: بيانه خطر البدعة على الأمة ومدى أثرها على عقائد المسلمين مما يدعوا للتحذير منها وإبراز آثارها على العلم والعمل.

الوجه الثامن: بيانه لأثر العلماء الراسخين في العلم المتابعين للحق المدافعين عنه في الحفاظ على دين الأمة وعقائدها الأمر الذي يوجب على

طلاب العلم اختيار العالم الراسخ في حال طلبه للعلم ولأن ذلك أوثق لعلمه وأقوى لملكته في إدراك الحق والتمسك به.

سابعاً: كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة.

اسم الكتاب:

الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة والمراد باللفظ هو اختلاف المنتسبين لأهل السنة في اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أم لا بعد إتفاقهم أن القرآن منزل غير مخلوق.

مؤلف الكتاب:

لا يوجد اختلاف بين أهل العلم في أن هذا الكتاب هو من تأليف الإمام المحدث اللغوي الدراكة عبد الله بن مسلم بن قتيبة ولد سنة ٢١٣هـ بمرو ونشأ في بغداد أخذ عن عدد من جهابذة العلماء منهم إسحاق بن راهوية وأبو إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان وأبو حاتم السجستاني، وهو من المنتسبين إلى مذهب أحمد بن حنبل كان معظماً عند أهل المغرب ويتهمون من وقع فيه بالزندقة وهو خطيب أهل السنة وكاتبهم الأعظم توفي سنة ٢٧٦[١].

---

(١) عقائد السلف، ص(٣٧،٣٨) بتصرف يسير.

وقد أكثر رحمه الله من التأليف وأهم مؤلفاته:

١- تأويل مختلف الحديث، ٢- أدب الكاتب، ٣- غريب القرآن، ٤- غريب الحديث، ٥- مشكل القرآن وغيرها كثير.

سبب تأليف الكتاب:

هو ما رآه بين المنتسبين للحديث والسنة من الاختلاف في مسألة اللفظ بالقرآن من تكفير بعضهم بعضاً مع اتفاقهم على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ووقوف من عنده علم بالمسألة عن بيان الحق فيها معتزلاً لذلك المعترك مما أطال النزاع وانتشر بسببه القول الباطل[1].

أهمية الكتاب:

ويظهر من عدة وجوه:-

الأول: تعرض الكتاب لمسألة من أهم مسائل الاعتقاد وهي مسألة اللفظ بالقرآن وبيانه للحق فيها.

الثاني: رده للطاغوت الأكبر التأويل الذي يعتبر عمدة المتكلمين فيما اعتقدوه في الله وصفاته وذلك بيان أن كل ما تأولوه لا سند له صحيحاً في لغة العرب بل أن اللغة لتأيد المؤمن بمدلولات النصوص وهذا إبطال

---

(١) عقائد السلف، ص(٢٢٤).

لمذهب المؤولة والمعطلة إذ هم يعتمدون على مجازات اللغة واستعاراتها في رد الحق.

الثالث: ما أظهره من خلال بحثه من أن مذهب السلف معتمد على العلم لا على الجهل وهذا رد على مقالة بعض المتكلمين: "أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم".

الرابع: ما قرره من تمسكه بمذهب السلف حيث قال: "وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي من غير أن نقول في ذلك بكيفية أو بحد أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت فنرجوا أن يكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً إن شاء الله تعالى(١)".

الخامس: عنايته بالرد باللغة العربية وهو من الطرق النادرة في الاستدلال لأن الغالب هو الاستدلال بلفظ النص أو بمعقوله ولعل من أسباب ذلك عدم العمق من عدد ممن اشتغلوا بالردود في اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها مما يوجب العناية بهذا الجانب المهم وذلك لأن القرآن والسنة عربيان.

السادس: أنه يمثل نوعاً من التأليف في الرد على أهل البدع وهو طريق المناظرة وهو كغيره من كتب هذا الشأن من البعد عن الألفاظ

---

(١) عقائد السلف، ص(٢٣٤).

الكلامية والألفاظ البدعية مع سهولة اللفظ ووفاء المعنى مع رصانة الأسلوب وقوة العبارة وسلاسة اللفظ وهو بعيد عن المناقشات اللفظية والمماحكات الكلامية التي لا فائدة فيها للعالم والمتعلم.

السابع: ما أظهره من أن للكتاب والسنة دلالة لغوية واضحة المدلول مما يوجب التزامها ويبطل من نسب مذهب السلف إلى الجهل وعدم العلم.

مباحث الكتاب:

وهي على النحو التالي:

١- المقدمة وقد بين من خلالها حال كثير من العلماء سواء في تلقي العلم أو في مناظراتهم التي خالفوا فيها ما عليه السلف.

٢- بيان سبب تأليف للكتاب.

٣- تقسيمه للناس بالنسبة لقبول الحق إلا ثلاثة أقسام:

أ - المقلد. ب- المنكر. جـ- المسترشد الطالب للحق.

٤- جوابه عن بعض ما اشتبه على أهل البدع من منظور لغوي في آياته مختلفة متعددة العقائد.

٥- تعرضه لجملة من آراء القدرية والجهمية والمعتزلة والرافضة وردها مثل نفي الصفات والقول بخلق القرآن.

٦- تعرض لبعض شبه الرافضة الحديثية وردها بما يدل على بطلانها.

٧- تحرير الحق من مسألة اللفظ بالقرآن وإن الحق أن القرآن كلام الله، وأما التلفظ الذي هو فعل العبد فهو مخلوق وفرع على ذلك القول في القراءة والتلاوة ونحوها وبين أن المسموع كلام الله، وأما الأداء فهو فعل العبد.

٨- تحرير القول في أن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق وما في ذلك من تفاصيل.

٩- الرد على من ادعى كون الروح غير مخلوقة.

١٠- الكلام على حروف القرآن هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة.

١١- وتعرض ابن قتيبة لما نقل عن الإمام أحمد من قوله: "من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي والجهمي كافر ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلالة"[١]. وادعى عدم صحة ذلك عنه حيث قال: "فكيف بقولهم على أبي عبد الله مثل هذا القول وأنت تعلم أن الحق لا يخلو من أن يكون في أحد الأمرين، وإذا لم يخلو من ذلك صار الحق في كفرٍ وضلال"[٢]، وهذا الذي ذكره فيه نظر ظاهر لأن الإمام أحمد قد ثبت عنه ذلك.

ومقصوده منه واضح وهو أن كلا القولين مجملان لا يدلان على حق

---

(١) عقائد السلف، ص(٢٤٦).

(٢) انظر: تحريره عقائد السلف، ص(٢٤٨).

صرف، ولذا وجب التفصيل بيان حكم المقروء الذي هو القرآن وحكم فعل العبد الذي هو الأداء حيث تطلق القراءة ويراد بها المقروء وتطلق ويراد بها فعل القارئ وهذا هو الذي صنعه البخاري رحمه الله عندما فصل القول في ذلك وابن قتيبة نفسه يقول به وإذا تبين ذلك فلا وجه لاعتراضه على هذا النقل عن أحمد بن حنبل إلا من جهة السند وقد نقل ذلك عن الإمام أحمد بأسانيد صحيحة فبان بذلك أن النقل صحيح من جهة النقل وصحيح من جهة المعنى والله أعلم[٢].

١٢- رد على الواقفة في كون القراءة مخلوقة أم لا وبين أن ذلك خلاف الحق بل الواجب تحرير الحق في ذلك، والقول به إذ ليس عند الواقفة إلا إقراره بجهلها وهذا ليس بعلم، قال رحمه الله: "أما قولهم هذه بدعة لم تتكلم الناس فيها فلا يتكلفوها فإنما يفزع الناس إلى العالم في البدعة لا فيما جرت به السنة وتكلم فيه الأوائل ولو كان هذا مما تكلم الناس فيها لاستغنى عنهم الكلام لا يعارض بالسكوت والشك لا يداوي بالوقوف والبدعة لا تدفع إلا بالسنة، وإنما بقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه وإن كان الوقوف في اللفظ بالقرآن حتى لا يقال فيه مخلوق أو غير مخلوق جعلناهم شكاكاً وجعلناهم ضلالاً وكفرهم بعض أهل السنة وكفر من شك في كفرهم هل الأمر في ذلك وفي هذا إلا واحد"[١].

---

(١) عقائد السلف، ص(٢٤٧).

١٣- أشار إلى ما عليه كثير من أهل البدع من تكفيرهم من خالفهم لمجرد المخالفة حيث قال: "وقد بلى بالفرقين المستبصر المسترشد وبأعفائهم ومحنتهم وأغلاظهم لمن خالفهم وأكفاره أكفار من شك في كفره فإنه ربما ورد الشيخ المصر فقعد للحديث وهو عن الأدب غفل ومن التميز ليس له من معاني العلم إلا تقادم سنة"[1]. وهو في ذلك يدعو إلى التريث في الحكم على الأشخاص والأقوال فلا حكم إلا بعلم.

ثامناً: كتاب التدمرية.

اسم الكتاب:

الرسالة التدمرية نسبة إلى تدمر بالشام، فهي جواب لسؤال ورد من تدمر، وبذلك سمي هذا الكتاب.

مؤلفــه:

هو الإمام النحرير بقية السلف الصالح سيف السنة تقي الدين ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني نزيل دمشق النميري نسباً ولد بحران سنة ٦٦١هـ، سمي بابن تيمية، لأن جده محمد بن خضر حج على درب تيما فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً فقال

(١) عقائد السلف، ص(٢٤٧،٢٤٨).

يا تيمية فلقب بذلك، وقيل: لأن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها[١]، وكان من أسرة مشهورة بالعلم والصلاح تصدرت الإمامة والخطابة والتدريس ببلاد الشام زمناً طويلاً وعرفت بالتقوى وحسن السيرة والاستقامة حنبلية المذهب حفظ الجمع بين الصحيحين للحميدي واستظهر البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه، ولم يجاوز عمره بضع عشرة سنة، وسمع مسند الإمام أحمد مرات عديدة ومعجم الطبراني أكثر من التلقي عن العلماء حتى كان عدة شيوخه أكثر من مائتي شيخ، قال عنه ابن كثير: "فيقال أنه كان أعرف الناس بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره"[٢]، وقال الزملكاني: "ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان عن علوم الشرع أو غيرها فاق أهله والمنتسبين إليه"[٣]، وكان مولعاً بمطالعة الكتب وقراءتها وتحقيق المسائل والغوص عن دقائقها حتى حصل له من ذلك علم كثير لاسيما في الحديث والفقه وعلوم العقيدة والملل والنحل[٤].

أخذ العلم عنه كثير من العلماء ومن أبرزهم ابن القيم الجوزية وابن رجب الحنبلي وابن عبد الهادي والذهبي وغيرهم كثير، توفي سنة (٧٢٨).

---

(١) ابن تيمية لأبي زهرة (٢٢) حياة ابن تيمية، ص(٢٠).

(٢) البداية والنهاية (١٣٧/١٤).

(٣) العقود الدرية، ص(٣).

(٤) نفسه.

موضوع الكتاب:

الكلام في التوحيد والصفات والشرع والقدر فالمراد بالتوحيد هو توحيد الربوبية وبالصفات توحيد الأسماء والصفات وبالشرع والقدر توحيد الألوهية، قال رحمه الله: "أما بعد، فقد سألني من تعينت أجابتهم أن أكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات والشرع والقدر".

أسباب التأليف:

وقد أبان رحمه الله في مقدمة كتاب التدمرية عن أسباب تأليفه فقال: "لمسيس الحاجة إلى تحقيق هذين الأصلين وكثرة الاضطراب فيهما فإنهما مع حاجة كل أحد إليهما مع أن أهل النظر والعلم والإرادة والعبادة لابد أن يخطر لهم في ذلك من الخواطر والأقوال ما يحتاجون معه إلى بيان الهدى من الضلال لاسيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق تارة وبالباطل تارات، وما يعتري القلوب في ذلك من الشبه التي توقعها في أنواع الضلالات"، وخلاصة ما ذكره من الأسباب هي:

أولاً: مسيس الحاجة إلى معرفة ما يتعلق بالتوحيد والصفات والشرع والقدر وإنما جعلهم أصلين وهم ثلاثة لأنه جعل التوحيد والصفات شيئاً واحد وذلك لأن مفهومهما نظري علمي اعتقادي لا يستدعي عملاً وجعل الشرع والقدر قسماً آخر لأن مفهومه علمي اعتقادي عملي

يستدعي عمل الجوارح بموجبه لتضمنه امتثال المأمور واجتناب المحظور وإن ذلك واقع من العبد بقدر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾،

ثانياً: أكثر الاختلاف بين المنسوبين للأمة المحمدية فيهما مما يجعل الحق ملتبساً غير ظاهر مما يدعو إلى تعيينه وإظهاره حتى يعرف ويتمسك به.

ثالثاً: ما يخطر في قلوب العباد وتتلفظ به ألسنتهم مما يحتاج إلى التحذير منه وبيان الحق فيه.

رابعاً: كثرة من خاض في هذين الأصلين بالحق مرة والباطل مرات وكرات بحيث أنك تجد هذا الأمر من بعض العلماء الأذكياء مما يدل على أن الحق التبس عليه وإن كان مثلهم إذا التبس عليه الحق فغيرهم من باب أولى.

رابعاً: كثرة الشبه التي يلقيها أهل البدع فيهما مما يعرض القلوب للتأثر بها والميل إليها مما يدعوا إلى تقييد هذه الشبه والجواب عنها مما يزيل الأشكال ويظهر الحق جلياً.

أهمية الكتاب:

يعتبر كتاب التدمرية من الكتب المهمة جداً في العقيدة الإسلامية السلفية وترجع أهمية هذا الكتاب للأمور التالية:-

أولاً: تحقيقه لما تقدم بيانه من أسباب التأليف فقد جلّى هذين الأصلين

على وجه بان فيه الحق وظهر في المجالات المختلفة بحيث أبان التصور الإسلامي الصحيح نحو هذين الأصلين وأزال الإشكالات الخاصة بسبب الاختلاف والاضطراب والشبه بأسلوب علمي متميز مفيد.

ثانياً: أظهر البناء العقلي لمذهب السلف على وجه من الدقة في المبنى والمعنى وبين الاستعمالات الصحيحة والمجالات الممكنة للعقل من خلال تلك المناظرات المفترضة.

رابعاً: حل من خلال مَبَاحِثِه عدداً من المعضلات العقدية ورفع الإشكال عنها وأجاب عن حولها من تساؤلات.

خامساً: دافع من خلاله عن الدلالة الوضعية للنصوص القرآنية وأوضح أن القرآن والسنة واضح المدلول على ما أراده الله ورسوله.

سادساً: أظهر ما في مذاهب المبتدعة من عوار واضطراب في العقيدة وأصول الاستدلال عندهم.

سابعاً: أقام الأدلة على إبطال أصل الأصول عند المتكلمين وهو التأويل الكلامي وبين ما يترتب على ذلك من أنواع الضلالات.

ثامناً: علاج قضية خطيرة كثيراً ما كانت سبباً في الخلط بين التوحيد والشرع والقدر، وذلك عن بيان الفرق بينهما وتحديد مجال كل واحد منهما فحل بذلك إشكالية بل معضلة.

مباحث الكتاب:

١- المقدمة بين فيها موضوع الكتاب وسبب تأليفه والفرق بين التوحيد والشرع والقدر.

٢- تكلم عن قاعدة السلف في النفي والإثبات متوجاً ذلك بالأمثلة والأدلة من القرآن الكريم مبيناً مذهب السلف في ذلك كله.

٣- الكلام على فرق الضلال في النفي والإثبات وبيان مذاهبهم بأسلوب ينبئ عن بطلانها ورد عليها بدلالة المعقول المعتمد على المنقول.

٤- تحدث عن اتفاق المسميات بين الخالق والمخلوق وبين أن ذلك اتفاق في المعنى العام ولا يلزم منه الاتفاق في الخصائص ونص على أن هذا الاتفاق من قبيل الاتفاق لفظين المعنوي لا اللفظي، وأظهر ما يترتب على القول بأن الاتفاق لفظي وبين أن الإضافة إلى الرب أو العبد مانعة من اشتراك كل واحد منهما في خصائص الأخر وإن المعاني المختصة لا تقوم ولا يمكن إثباتها إلا بعد إثبات الاتفاق في المعنى العام، لأنه أصل المعنى ونفيه تعطيل للمعنى كله العام والخاص وأطال الاستشهاد لذلك من القرآن الكريم.

٥- عقد فصلاً أصل فيه أصلين في مناظرة أهل البدع هما:

أ - القول في الصفات كالقول في بعض الصفات.

ب- القول في الصفات كالقول في الذات.

وضرب لكل من الأصلين بالأمثلة الموضحة له.

٦- ذكر مثلين أراد أن يبين من خلالهما أن الإتفاق المعنوي بين صفات الخالف والمخلوق لا يستلزم التماثل في الخصائص وهما:-

أ - ضرب المثل بالعلاقة اللغوية بين ما في الدنيا وما في الآخرة والذي بفهمنا لهذه العلاقة المشتركة بينهما يحصل في نفوسنا الرغبة والرهبة كما في الآخرة وفرع على ذلك الخلاف بين أهل السنة والجماعة وأهل البدع في إثبات حقائق اليوم الآخر وكيف إن إنكار هذا النوع من المعاني أدى بهم إلى إنكار بعض حقائق اليوم الآخر.

ب- ضرب المثل بالروح وذلك لأن كل واحد منا روح موصوفة من الشرع بصفات ثبوتية وسلبية ومع ذلك لم يلزم من اشتراكها في هذه الصفات كون كل روح هي الأخرى بل لكل واحد منا روح ولروحه من الصفات الخاصة المتناسبة وخلقه ما يخصها ويميزها عن غيرها.

ذكر خاتمة في الصفات اشتملت على عدة قواعد هي:-

أن الله موصوف بالإثبات والنفي.

إن ما أخبر به الرسول عن ربه فإنه يجب الإيمان به عرفناه أو لم نعرفه.

جـ- القول الفصل في كون ظاهر النصوص القرآنية والنبوية مراد أو

غير مراد وبيان مذاهب الناس في ذلك وإيضاح معاني الظاهر إذا أطلق وما فيه من الإجمال والاشتراك الذي تحتاج إلى تفصيل ومثل كذلك بأمثلة توضيحية من السنة النبوية ومن القرآن الكريم وبين وجه الحق فيها.

د - قاعدة في إبطال التمثيل في صفات ا لله وما يترتب على اعتقاد دلالة القرآن والسنة على التمثيل من المحاذير وذكر أنها أربعة:

١- ظنه أن ذلك مدلول النص.

٢- تعطيل معناها الحق وما يترتب عليه من سوء الظن با لله ورسوله.

٣- نفي ما يدل عليه النص من الصفات بغير علم.

٤- وصف الرب نقيض الصفة التي دل عليه النص وضرب لذلك المثل التوضيحي بنفي دلالة النص القرآني والنبوي على وصف العلو والفوقية.

هـ- أنا نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه فنعلم معنى الصفات اللغوي ونجهل حقيقة ما هي عليه وبين معنى التأويل في القرآن والسنة وعند السلف واللغة وبناء عليه بين معنى المتشابه في القرآن وأوضح خطأ المتكلمين في معنى التأويل وما جنوه عندما حملوا مدلول التأويل في الكتاب والسنة عليه وما ترتب على ذلك من مفاسد وبين أن الشبه تأتي من القياس الفاسد وأن منشأ

التأويل الفاسد إنما هو في المعاني المتشابهة وبيان ما ترتب على ذلك من نشأة بعض الأقوال العقدية.

و - في بيان خطأ من اعتمد في النفي والإثبات على نفي التشبيه والتجسيم وما نشأ عن ذلك من أقوال عقدية وبين ما في لفظ التشبيه من الإجمال والاشتراك المانع من صحة هذا الاستعمال وبين أن التشابه له معنيان:-

١- في الخصائص وهو التشبيه المذموم وهو التمثيل.

٢- في المعنى العام ونفيه خطأ يؤدي إلى التعطيل.

ز - بيان الأصل الثاني وهو التوحيد في العبادات المتضمنة للإيمان بالشرع والقدر جميعاً وذكر تضمنه لتوحيد الربوبية، وإن الواجب عبادة الله وحده وما تتضمنه العبادة من كمال الذل والخضوع لله وإن ذلك هو دين الإسلام وإن الأنبياء جميعاً جاؤوا به وأنه العلة التي خلق الإنس والجن من أجلها وبين ما تتضمنه ذلك من الاستسلام لله في الأمر كله وإن الناس في ذلك مشرك ومستكبر ومسلم وإن هذا التوحيد أعظم أنواع التوحيد وأجلها وإن توحيد الربوبية مما أقرت به الأمم حتى أن من قال بوجود صانعين لم يجعلهما متكافئين بل أحدهما أكمل من الآخر بل خالق له فرجع الأمر إلى مدبر واحد.

ح- ذكر تقسيم المتكلمين للتوحيد وهو توحيد الأفعال وهو توحيد الربوبية وتوحيد الصفات، وقد علمت فيما تقدم ما فيه من باطل وتوحيد الذات وفيه من الألفاظ البدعية والمجملة والعقائد الفاسدة من نفي العلو والمباينة للخلق ما يدل على عدم صحته، وقد بين ابن تيمية فساد هذا التقسيم وما فيه من باطل، وذكر تصور الصوفية والمعتزلة والقدرية والجهمية والفلاسفة وغيرهم حول التوحيد.

ط- أوضح بطلان ما يدعيه المشركون من إثبات الوسائط بين الله وخلقه في العبادة وحكم من صرف نوعاً منها لغير الله واستدل على ذلك بما يزيل الشبهة ويحق الحق.

ك- وبين أن صحة توحيد الربوبية وقبوله مترتب على الإيمان بالألوهية والرسالة حيث قال: "فإقرار المرء بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لاينجيه من عذاب الله إذا لم يقترن به إقراره بأن لا إله إلا الله لا يستحق العبادة أحد إلا هو وأن محمداً رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر وسمى كل واحد منهما أصلاً.

ل- بين انقسام الناس في القدر والأمر فذكر المجوسية والمشركية والإبليسية وكلهم يعقد المعارضة بين الأمر والقدر وبين ما يتضمنه الإيمان بالخلق والأمر من الإيمان بالأسباب والمسببات أنه لابد من الإيمان بالقدر.

م- بين آراء الناس في العقل والنقل وبطلان القول بتعارضهما وما ترتب على ذلك من إنكار وصف الله بالمحبة والرضا وغيرها من صفات الفعل ثم تحدث على الصوفية وما وقعوا فيه من ضلالات بسبب عدم تفريقهم بين ما يحب الله ويكره وبين طاعته ومعصيته ونحو ذلك وذكر قولهم في الفناء في الذات الإلهية وما فيه من الباطل، ثم أوضح أن لفظ الفناء لفظ مجمل وأنه على ثلاثة أنواع هي:-

أولاً: الفناء الديني الشرعي وهو الفناء بعبادته عن عبادة غير ه فلا يشهد لله من يماثله في عبادته وطاعته بل هو المنفرد بذلك له.

الثاني: الفناء عن شهود ما سوى الله وهو الفناء في توحيد الربوبية، وبين أن هذا ليس من لوازم الطريق إلى الله وإن السابقين الأولين لم يكونوا يعرفونه بل إن المشركين أنفسهم كانوا مقرين به.

الثالث: الفناء عن وجود السوي بحيث يرى: أن وجود المخلوق عين وجود الخالق، وهو قول أهل الاتحاد والحلول من الصوفية، وبين ما في قول هؤلاء الأخيرين من الباطل.

ن- بين العلاقة بين العبادة والاستعانة وإن إعانة العبد غير واجبة على الله بل هي محض التفضل منه وذكر أقسام الناس في ذلك وما يترتب على هذه الأقسام من قول للحق أو قول للباطل ثم بين

الواجب في العبادة والاستعانة، وبين أن محاجة آدم لموسى إنما كانت في المصائب و لم تكن محاجة على المعصية، لأنه تاب منها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

إنه لابد في العبادة والاستعانة من الإخلاص والمتابعة للشرع وختم رسالته ببيان أن الحق كله فيما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين وإن الواجب اتباع ما هم عليه لأن ذلك هو صراط الله المستقيم وما عداه فهو من السبل المخالفة له.

منهج المؤلف في الكتاب:

اتخذ ابن تيمية منهجاً متميزاً في كتابه هذا وأهم عناصر هذا المنهج ما يلي:-

أولاً: الاستدلال بالمنقول والمعقول.

ثانياً: بيان الفروق العقدية بين الألفاظ المختلفة.

ثالثاً: ذكر الأقوال العقدية وما يترتب عليها من أعمال.

رابعاً: وصل الاعتقاد بالواقع العلمي.

خامساً: حكاية الأقاويل على وجه يعرف بطلانها منه.

سادساً: التأصيل ووضع الضابط العام العاصم من الوقوع في الأخطاء العقدية.

سابعاً: النقد الموضوعي لجميع ما ذكره من الآراء.

ثامناً: تقريره الصحيح من الاعتقاد بالدليل والبرهان.

تاسعاً: ذكره لوازم الأقوال سواء كانت حقاً أو باطلاً لأن ذلك من دلائل الحق والباطل إذ لازم الحق حق ولازم الباطل باطل.

عاشراً: وصله القاعدة بأمثلتها وتطبيقاتها مما يظهر معناها وطريق استعمالها والاستفادة منها.

الحادي عشر: العدالة في الحكم على الأقوال والفرق وذلك ظاهر من قوله: (وغلاتهم) وقوله مثلاً (وغلت طائفة منهم) ونحو ذلك.

الثاني عشر: استعماله لبعض الألفاظ المنطقية عند الكلام على بعض الآراء والرد عليها من خلال مفاهيمهم لهذه المدلولات اللفظية الاصطلاحية.

الثالث عشر: تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول التوحيد والإتفاق بين صفة الخالق والمخلوق.

ما ينتقد على الكتاب:

وقد انتقد على الكتاب عدة أمور كلها لا تثبت أمام التحقيق العلمي:

أولاً: صعوبة ألفاظ الكتاب لاشتماله على مجموعة من المصطلحات المستعملة عند المناطقة والمتكلمين ولعل عذره في ذلك أنه يرد على أصحاب هذه المصطلحات بما يفهمونه من لغتهم الخاصة والتي يعتبرونها

لغة العلم بحيث صاروا لا يفهمون إلا بها بل ينتقدون من يكلمهم بغيرها ويرمونه بالجهل فأراد رحمه الله أن يبين لهم أنه على علم بألفاظهم واصطلاحاتهم وما فيها مما يناقض الحق علاوة على أن الكتاب كتب لطبقة معينة من الناس لهم علم بما ذكره من مصطلحات وهؤلاء لا يجدون صعوبة في فهم ألفاظه ولا ما يقرره.

ثانياً: لا يوجد في الكتاب عناوين تفصل الموضوعات بعضها عن بعض وهذا أمر طبيعي لأن الكتاب في الأصل جواب لرسالة وردت من تدمر وشأن الرسائل عدم العنونة ولكن يكفي في ذلك الرد الموضوعي مع التسلسل الذهني لموضوعاتها.

تحقيق الكتاب:

قد طبع الكتاب عدة طبعات ومن أحسنها ثلاث طبعات:

١- طبعة بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش - المكتب الإسلامي.

٢- طبعة بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

٣- طبعة بتحقيق الدكتور محمد السعوي، وهو موضوع الرسالة التي نال درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة.

شروح الكتاب:

يوجد للكتاب شروح مختصرة وفي نظري أنه لم يوجد إلى الآن الشرح الذي يتناسب وقيمة الكتاب ومن أهمها:

أولاً: التحفة المهدي للشيخ مهدي الدوسري، وقد ألفه كمذكرة لطلابه في كلية الشريعة بالرياض -يوم أن كانت تابعة لرئاسة الكليات والمعاهد العلمية- وقد قام تلميذه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن المحمود بإعادة طباعته مع بعض التعليقات الخفيفة وهو شرح مجمل قد سد الفراغ مدة طويلة من الزمن.

ثانياً: مذكرة للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وهي عبارة عن تفريغ لأشرطة دروس الشيخ حول الكتاب، وهي لم تخرج كشرح معتمد.

ثالثاً: تقريب التدمرية للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وهو تلخيص لمعاني التدمرية مع بعض الإيضاحات لمعانيها، وهو مطبوع، والناشر دار الوطن -بريدة- القصيم.

رابعاً: لكاتب هذه السطور كتاب قديم واسمه الكواكب الدرية بحل ألفاظ التدمرية -أسأل الله تيسير خروجه- وهو كما يدل عليه عنوانه فك لمصطلح التدمرية ببيان معانيه وما يترتب على ذلك.

هذا والرسالة التدمرية من الكتب المهمة في العقيدة، بل من المراجع الهامة فيها، وهو جدير بعناية طلاب العلم دراسةً وتحقيقاً، فهي من أوائل الكتب التي أصلت منهج السلف الصالح وأبرزت العقلية السلفية المؤصلة.

عاشراً: كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث

اسم الكتاب:

عقيدة السلف أصحاب الحديث، وقد تسمى كتاب الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة.

مؤلفها:

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عائد أبو عثمان الصابوني، ولد سنة (٣٧٢)، كان أبوه أبو نصر من كبار الواعظين بنيسابور، فقتل لأجل التعصب والمذهب، فتولى تربيته وتنشأته الإمام أبو الطيب سهل بن حمد بن سليمان الصعلوكي، تولى الوعظ بعد والده وعمره عشر سنوات، وكان يحضر مجلس وعظه كبار العلماء، كأمثال أبي إسحاق الأسفرائيني وأبي بكر بن فورك، ويتعجبون من وفرة ذكائه وقوة بيانه وحفظه للأحاديث، ولم يزل يزداد علماً حتى علا صيته وبزغ نجمه وعظم جاهه، مع ذلك كان كثير العبادة مشتغلاً في جميع وقته بالطاعات وكان عفاً صايناً نفسه عن الدنايا، عرف بحسن صلاته وطول قنوته واستشعار هيبة موقفه أمام الله.

قد أخذ عن شيوخ عصره حتى برع في العلم وتفنن فيه، ومن شيوخه أبوعبيد أحمد بن محمد الهروي وأبو المعالي الجويني وأبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المشهور بالحاكم وغيرهم كثير، وقد انتفع به طلاب

العلم فتتلمذ عليه كثير ممن اشتهر بعد ذلك بغزارة العلم ووفرته، ومنهم أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي وأبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي وأبو الفتح سهل بن أحمد الأرغياني وأبو بكر عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني وغيرهم كثير، قال عنه البيهقي: شيخ الإسلام صدقاً وإمام المسلمين حقاً، وقال ابن كثير: الحافظ الواعظ المفسر وقال الذهبي: الواعظ المفسر المصنف أحد الأعلام، كان شيخ خراسان في زمانه، توفى -رحمه الله- في شهر المحرم من سنة (٤٤٩).

نسبة الكتاب إليه:

أجمع أهل العلم على أن هذا الكتاب من مؤلفاته و لم أطلع على خلاف في ذلك بل أن ذلك مما بلغ حد التواتر بينهم.

سبب تأليف الكتاب:-

وقد أشار -رحمه اللّه تعالى- إلى سبب تأليف الكتاب بقوله في مقدمته: "أما بعد فإني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجهاً إلى بيت اللّه الحرام وزيارة قبر نبيه محمد ﷺ وآله وعلى أصحابه الكرام، سألني اخواني في الدين أن أجمع لهم فصولاً في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين..."[١].

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٣٠٢.

فسبب التأليف هو طلب بعض أهل العلم منه أن يكتب لهم نبذة في أصول الدين على منهج السلف الصالح.

موضوع الكتاب:

هو تقرير العقيدة السلفية في أصول الدين، الذين هم أهل الحديث المتمسكين بالسنة يقول -رحمه اللّه تعالى-: "قلت وبا لله التوفيق أن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ اللّه أحياءهم ورحم أمواتهم...".

مباحث الكتاب:

وقد اشتمل الكتاب على تقرير عدد من المباحث هي:

أولاً: شهادة أهل الحديث لله بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة.

ثانياً: بيان قولهم في صفات اللّه مما وردت به النصوص.

ثالثاً: موقفهم مما ورد في آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ التي صح سندها.

رابعاً: اعتقادهم أن القرآن كلام اللّه غير مخلوق، وذكر كلامهم في ذلك، ونقل عن ابن جرير[1] الوقف في ألفاظ العباد بالقرآن، وقد ذكر في

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١٠،١١).

الحديث عن كتاب ابن قتيبة ما هو الحق فليرجع إليه، كما بين حرمة القول المجمل (-لفظي بالقرآن مخلوق-) وبين أنه قول الجهمية.

خامساً: بيان إيمانهم باستواء اللّه على عرشه بلا كيف، وذكر الدلائل من القرآن على ذلك وقرر اعتقادهم في العلو والفوقية، وذكر بعض النقول عن السلف في ذلك.

سادساً: بيان الفرق بين أهل السنة وأهل البدع في تعاملهما مع نصوص الصفات وأن السلف يسلمون لظواهرها ولا يأولونها بخلاف أهل البدع.

سابعاً: بيان قول أهل الحديث في النزول والمجيء والاستدلال على ذلك بالقرآن والسنة والنقل عن السلف، وأطال في ذلك طرق حديث النزول مبيناً تواتره الدال على القطع باعتقاد مدلوله.

ثامناً: ذكر أحاديث الرؤية في إطار بيان حرمة عقد المعارضة بين النصوص أو اتباع ما اشتبه منها، وترك المحكم الواضح، وذكر في ذلك قصة صبيغ التميمي، وذكر بعض الآثار المحذرة من البدع وأهلها والمبينة لخطرها، وما يجب نحو الأخبار الصحيحة من وجوب التسليم لما دلت عليه والحرص على متابعة السنة.

تاسعاً: الكلام على البعث بعد الموت، والشفاعة لأهل الكبائر، والحوض، والكوثر، ورؤية المؤمنين لربهم عياناً في الآخرة، وبيان اعتقاد

أهل السنة في ذلك، وقرر اعتقادهم في الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان دائمتا النعيم والعذاب.

عاشراً: بيان اعتقاد أهل الحديث في حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

الحادي عشر: بيان اعتقادهم في مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة، إذا مات على التوحيد، وفرع على ذلك ذكر خلاف أهل العلم في كفر تارك الصلاة، الكفر المخرج من الملة.

الثاني عشر: بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في أفعال العباد حيث قرر أنهم يعتقدون أنها مخلوقة لله وواقعة بإرادة العبد.

الثالث عشر: الكلام على بعض عقائدهم حول القدر كالهداية والخير والشر وكونه بقضاء اللّه وقدره واثبات إرادة اللّه ومشيئته وإن أفعال العباد لا تقع إلا بالإرادة الكونية والمشيئة الإلهية النافذة وأشار إلى إنكار أوائل المعتزلة والقدرية لذلك وكفرهم به وتحدث عما يختم اللّه به للعبد وأنه غيب.

الرابع عشر: شهادتهم لمن مات على الإسلام بالجنة من حيث العموم لا من جهة شخص بعينه وإن عصاة المؤمنين إذا دخلوا النار لا يخلدون فيها بل مآلهم إلى الجنة ويستثنى من شهد له الرسول ﷺ بالجنة ومنهم العشرة المبشرون بها.

الخامس عشر: بيان فضائل الصحابة ووجوب محبتهم وحسن الظن

بهم واثبات خلافة الخلفاء الراشدين ﭫ وإن فضلهم بحسب ترتيبهم في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﭫ وعن جميع الصحابة أجمعين، وبيان وجوب الكف عما شجر بينهم.

السادس عشر: وجوب الصلاة خلف الأئمة المسلمين والدعاء لهم ونصيحتهم والجهاد معهم والصبر على جورهم وعدم الخروج عليهم وإن جاروا.

الثامن عشر: بيان اعتقادهم أن دخول الجنة لا يجب على اللَّه لأحد مهما عمل وأن دخولها برحمته تعالى.

التاسع عشر: الكلام على الآجال والشياطين خلقهم ووسوستهم وتسلطهم على بعض أهل الحق، وإن اللَّه هو العاصم من كيدهم.

العشرون: تحدث عن اعتقادهم في السحر والسحرة.

الحادي والعشرون: بيان بعض الآداب الشرعية لأهل الحديث: وهي عبارة عن أمور فرعية لكنها من محاسن الأخلاق مما يتعلق بالحلال والحرام والمندوبات وتجنب بعض المكروهات مع بيان اقتدائهم بالسلف الصالح وبغضهم للبدع وأهلها.

الثاني والعشرون: ذكر بعض علامات أهل البدع، مع ذكر بعض الآثار السلفية في ذلك.

الثالث والعشرون: بيان بعض علامات أهل السنة، مع ذكر بعض

الآثار السلفية في ذلك، ثم حث على التمسك بالسنة والوقوف عندها.

وختم كتابه بالدعاء، أن يجعله من المتمسكين بالسنة والمتجنبين البدع والأهواء المضلة، ثم الصلاة على النبي محمد وآله وصحبه.

منهج الكتاب:

أولاً: بيان العقائد السلفية بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة وإجماع السلف.

ثانياً: نقل مذهب السلف بالأسانيد الصحيحة.

ثالثاً: تعظيمه للسلف أهل الحديث وثناؤه عليهم.

رابعاً: تحذيره من البدع وأهلها وبيان مثالبهم.

خامساً: تعبيره عن العقائد بلفظ يشهدون.

سادساً: الاختصار مع تمام المعنى في سياقه للعقائد.

ما ينتقد على الكتاب:

أولاً: سوقه لبعض الأمور الفرعية مع أنه كتاب في الإعتقاد والذي دعاه لذلك أنها كالعلامات لأهل السنة فيما ظهر له وإن كان بعضها لم يتواتر به النص ولم يقطع به متنه.

ثانياً: توقفه قدوة بابن جرير في قضية اللفظ بالقرآن وكان الواجب

التفصيل كما صنع البخاري وابن قتيبة.

ثالثاً: قلة الاستدلال على العقائد ويبدو أن الذي دعاه إلى ذلك هو الإختصار.

رابعاً: تكراره مراراً في مواضع عدة التسليم للآثار والتمسك به ولعله فعل ذلك لمزيد لفت اهتمام من يقرأ كتابه لذلك حتى يعتني به ولا يغفل عنه.

خامساً: ترك كثيرٍ من العقائد المهمة المتعلقة بالشرك والعبادة وغيرها ولعله تركها لعدم قيام الداعي للكلام عنها لعدم وجود انحرافات تتعلق بها في زمانه أو لأن هذه المسائل التي ذكرها هي مثار الخلاف في تلك البلاد التي ورد السؤال عنها فتعلق بم لديهم دون غيره.

تحقيق الكتاب:-

طبع الكتاب عدة طبعات نذكر منها:

١- طبع في مطبعة المنيرية في ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

٢- طبع في الدار السلفية بتحقيق بدر البدر وهو في الحقيقة تخريج أكثر منه تحقيق و لم أرَ له أي تعليق و لم يدرس الكتاب دراسة علمية متأنية يذكر فيها منهج المؤلف وغير ذلك مما هو من مقتضيات التحقيق.

أهمية الكتاب:

تأتي أهمية الكتاب من عدة أمور هي:

أولاً: أنه من المصادر الرئيسية في نقل عقيدة السلف ولم يزل العلماء ينقلون عنه النقول وينسبون إليه الأقوال وممن نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب التأسيس وفي كتاب الحموية.

ثانياً: تعرضه لأهم العقائد التي تميز السلف عن غيرهم.

ثالثاً: تقريره لموقف السلف من النصوص مع مقارنته بمنهج أهل البدع مما يظهر مدى استقامة أصول السلف والإنحراف عن الحق عند أهل البدع.

رابعاً: تقريره لعقيدة الولاء والبراء بالنسبة لمن خالف السنة وجنح للبدعة.

الحادي عشر: كتاب خلق أفعال العباد

اسم الكتاب:

خلق أفعال العباد ولا خلاف بين أهل العلم في تسميته بل تواترت هذه التسمية حتى لا يعلم لها بديلاً.

مؤلف الكتاب[1]:-

لايختلف القول عند أهل العلم بأن مؤلف كتاب خلق أفعال العباد هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بردزبة

---

(١) انظر: الإكمال ذيل مشكاة المصابيح (٣/٧٩٨-٨٠١، طبقات الحفاظ (٢٤٨-٢٤٩)، الأعلام للزركلي (٦/٣٤)، الوفيات ص(١٨٠)، عقائد السلف ص(٢٧).

الجعفي المعروف بالبخاري صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ولد رحمه الله سنة (١٩٤هـ في ١٣) شوال ببخارى قرب سمرقند، مات والده وهو طفل، فتربى في حضن أمه، ذهبت به أمه إلى مكة فحجت به ثم رجعت إلى بخارى وتركت ابنها ليرتوي من بحار العلم حيث كانت قبلة مقصد العلماء من جميع البلدان ولاتزال كذلك، اعتنى بالحديث حتى برع فيه فقد تلقاه على أكثر من ألف شيخ رحل لهم في طلبه إياه في مكة والعراق والشام ومصر وخراسان حتى صار من أئمته ونقاده وجهابذ العلماء فيها فقد كان يحفظ مائة ألف حديث صحيحة ومائتي ألف حديث غير صحيحة ألف كتابه الجامع الصحيح وقد انتخبه من ستمائة ألف حديث قضى في تأليفه ستة عشر سنة، ومن أشهر شيوخه أحمد بن حنبل وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ومحمد بن يوسف الفريابي وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم كثير وقد كان رحمه الله شديد الحافظة قوي الإستحضار حتى أن أهل بغداد عرضوا عليه مائة حديث قلبوا أسانيدها فأنصت لكل واحد حتى أنهى ما عنده ثم رجع لكل منهم يعلمه ما انقلب عليه من السند فأرجع لكل حديث اسناده حتى أنهى المائة حديث، توفي رحمه الله سنة (٢٥٦) وقد ترك بعده عدداً من المؤلفات النافعة منها كتابه الجامع الصحيح وكتاب الأدب المفرد، والتاريخ الكبير، التاريخ الأوسط، التاريخ الصغير، وخلق أفعال العباد، وكتاب الضعفاء وغيرها كثير.

موضوع الكتاب:

تحدث الكتاب عن ثلاث مسائل هامة جداً وكان لها أثر في التاريخ العقدي وفتن بسببها كثير من الأئمة الجهابذ ومنهم الإمام أحمد والبخاري نفسه وهي:

أولاً: الكلام على أن القرآن كلام اللّٰه منزل غير مخلوق والرد على الجهمية القائلين بأن القرآن مخلوق.

ثانياً: الكلام حول أفعال العباد وأنها مخلوقة.

ثالثاً: بيان القول الفصل في تلفظ العبد وتلاوته للقرآن الكريم هل هي مخلوقة أم لا وقد قرر البخاري أن التلفظ والتلاوة إن قصد بها عمل العبد وأَدَاءَهُ فهو مخلوق وإن قصد بها المتلو الذي هو القرآن فإنه غير مخلوق وقد تقدم أنه لا خلاف بين الإمام أحمد والإمام البخاري في ذلك إلا أن الإمام أحمد منع من اطلاق اللفظ لما فيه من الإجمال وأما البخاري فأشار إلى وجوب التفصيل على النحو المتقدم ذكره.

مباحث الكتاب:

وهي على النحو التالي:

أولاً: أن القرآن كلام اللّٰه ليس بمخلوق ونقل كلام السلف حول ذلك.

ثانياً: الكلام على الجهمية وتاريخها ونقل كلام السلف فيهم.

ثالثاً: النقل عن السلف بما يدل على كفر من قال القرآن مخلوق.

رابعاً: الكلام على بشر المريسي وفساد مقالته ورأي السلف فيه.

خامساً: ذكر بعض معتقدات الجهمية والمعتزلة ونقل ما يدل على إنكار السلف لها.

سادساً: إيراد بعض الأحاديث النبوية على اثبات صفة الكلام وأنه غير مخلوق والقرآن من كلام اللّه فلا يكون مخلوقاً.

سابعاً: الجواب عن بعض الآيات التي اشتبهت على الجهمية وقد أجاب عنها بنحو ما أجاب الإمام أحمد.

ثامناً: الكلام على أفعال العباد وذكر الدلائل من الكتاب والسنة على ذلك والنقل عن السلف بما يدل على كفر من ادعى أنها ليست مخلوقة.

تاسعاً: ذكر نقول سلفية تدل على الفرق بين القرآن وأفعال العباد من تحسين الصوت وشراء المصحف وكتابته ونحو ذلك.

عاشراً: الحديث عن القراءة والتلاوة وهل هما مخلوقتان أم لا والإجابة عن بعض الشبهات حول ما قرره فيها.

الحادي عشر: بيان مذهب أهل السنة أن الفعل شيء والمفعول شيء آخر خلافاً للمتكلمين الذين يدعون أن الفعل عين المفعول وبناء على ذلك جعلوا القرآن مخلوقاً لفظه ومعناه كالمعتزلة أو لفظه فقط كالأشعرية والكلابية، وذكر ما يدل على ذلك من كلام السلف وعلماء السنة مع

الإشارة إلى أقوال أهل البدع في ذلك.

الثاني عشر: ذكر الأدلة على خلق أصوات العباد.

الثالث عشر: قرر أن المداد والرق وخط العبد ونحوه مخلوق وإن المكتوب في المداد والرق وبخط العبد هو القرآن ليس بمخلوق.

منهج البخاري في كتابه:-

أولاً: مصادره هي الكتاب والسنة والنقل عن السلف.

ثانياً: استعمل في كتابه طريقة استقراء النصوص وتتبعها ثم استنباط الأمر العقدي منها.

ثالثاً: ذكر أقوال الفرق الضالة والرد عليها بدلالة الكتاب والسنة.

رابعاً: الجواب عن ما تشابه على أهل البدع وذلك بعرض الآية على نظيرها أو الاستدلال باللغة أو النقل عن السلف.

خامساً: بيان تاريخ الفرق ورأي السلف في اساطينها وكبرائها.

سادساً: سوق الأحاديث والآثار بأسانيدها.

سابعاً: بيان وجه دلالة الحديث أو الآية على ما يستنبطه من عقائد.

أهمية كتاب خلق أفعال العباد:

ترجع أهميته إلى الأمور التالية:-

١- أنه مرجع لمن جاء بعده من كتب السلف لما لمؤلفه من منزلة عظيمة عندهم.

٢- اعتماده على أعلى المصادر قوة وأقواها دلالة وأكثرها هداية إلى الحق.

٣- أنه مصدر من المصادر الرئيسية في نقل مذهب السلف.

٤- لما لمباحث الكتاب من أهمية عظيمة كان لهـا الأثـر في تـاريخ عقـائد الإسلام.

٥- قطعه للنزاع في مسألة التلفظ والتلاوة وذلـك عـن طريـق تفصيـل مـا أجمل في كل منهما من معنى لأن الإجمال سبب الخلاف.

٦- لما في منهجه الإستقرائي مـن شـدة التتبـع للنصـوص وفحصهـا والاستنتاج منها مع الدقة والحذر وأخذ الحيطة مما جعله يبز مـن قبلـه ممن استعمل هذا المنهج.

٧- رده لتحريف آيـات القـرآن وأحـاديث الرسـول ﷺ ممـا يصـون دلالـة النص من ذلك كله فتسلم دلالته الوضعية فيكون مرجعاً عند التنازع.

تحقيق الكتاب:-

طبع الكتاب عدة طبعات كثير منها محقق ومن أواخرها طبعتان:

الأولى: طبعة بتحقيق الدكتـور علـي سـامي النشـار والدكتـور عمـار جمعي الطالبي وهي ضمن مجموع عقائد السلف بتحقيقهما والناشر منشـأة المعارف بالإسكندرية.

الثانية: طبعة بتحقيق الدكتور عبد الرحمـن عمـيرة، والكتـاب مـا زال

بحاجة إلى خدمة تبرز مكنوناته وفوائده من تخريج لأحاديثه وآثاره وقد ذكر لي أن الأستاذ بدر البدر قد قام بجهد في هذا المجال.

الثاني عشر: كتاب التوحيد من الجامع الصحيح للبخاري

اسم الكتاب:

كتاب التوحيد وهو الكتاب الثامن والتسعون من كتاب الجامع الصحيح وقد يسمى "كتاب الرد على الجهمية" قال الحافظ بن حجر في فتح الباري تعليقاً على عنونة الكتاب بكتاب التوحيد: "كذا للنسفي وحماد بن شاكر وعليه اقتصر الأكثر عن الفربري وزاد المستملي: "الرد على الجهمية وغيرهم"، وسقطت البسملة لغير أبي ذر ووقع لابن بطال وابن التين "كتاب رد الجهمية" و"غيرهم التوحيد" وضبطوا التوحيد بالنصب على المفعولية وظاهره معترض لأن الجهمية وغيرهم من المبتدعة لم يردوا التوحيد وإنما اختلفوا في تفسيره وحجج اثبات ظاهره في ذلك"[1]، وفي هذا الاعتراض نظر لأن من فسر التوحيد بغير معناه الحق المدلول عليه بالكتاب والسنة فهو منكر له والتعبير عن الباطل باللفظ الحق لا يخرجه عن مدلوله بحيث يكون المبتدع كصاحب السنة في ذلك وبناء على ذلك

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٣٤) السلفية تبويب محمد فؤاد عبد الباقي وتصحيح محب الدين الخطيب.

فلا اعتراض على من سمى الكتاب كتاب "الرد على الجهمية" ولو صح ما قاله الحافظ للزم الاشتراك والإجمال في جميع ما دل عليه كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ وذلك لأن المبتدعة حرفوا كثيراً من ألفاظهما رغبة في تأييد ما هم عليه من الباطل وبالتالي عدم صلاحية النصوص للتحاكم والرد عند التنازع.

مؤلف الكتاب:

هو محمد بن إسماعيل البخاري ولا خلاف بين أهل العلم في أنه من تأليفه وهو أمر مقطوع به وقد تقدمت ترجمة مختصرة له عند الكلام على كتابه خلق أفعال العباد وفيها الكفاية إن شاء الله.

وصف الكتاب:

يشتمل الكتاب على مائة وتسعين حديثاً مقسمة على ثمان وخمسين باباً بدأه بباب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد اللّه تبارك وتعالى وبدأ بحديث ابن عباس رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن[1] وختمه بباب قول اللّه تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[2][3]،ومن الملحوظ أن البخاري يجعل لكل باب عنواناً وهذا العنوان تارة يكون استنباطاً منه وتارة يكون آية قرآنية وحديثاً نبوياً وأكثر

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/٣٤٧).

(٢) سورة الأنبياء آية (٤٧).

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/٥٣٧).

كتاب التوحيد هو كون الآية عنواناً للباب منه وقد ختم البخاري كتاب التوحيد بحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان اللَّه وبحمده سبحان اللَّه العظيم)، وهو يبدأ من الجامع بحديث رقم (٧٣٧١) وينتهي بحديث رقم (٧٥٦٣).

مباحث الكتاب:

وهي على النحو التالي:

١- باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد اللَّه تبارك وتعالى وفيه خمسة أحاديث.

٢- باب قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿قُل أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ايّاًمَا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْمَاء الحُسنَى﴾[١] وفيه حديثان.

٣- باب قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينِ﴾[٢] وفيه حديث واحد.

٤- باب قول اللَّه تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحَداً﴾[٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلمُ السَّاعَةِ﴾[٤]، ﴿أنزَلَهُ بعِلمِهِ﴾[٥]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ

(١) سورة الإسراء آية (١١٠).

(٢) سورة الذاريات آية (٥٨).

(٣) سورة الجن آية (٢٦).

(٤) سورة لقمان آية (٣٤).

(٥) سورة النساء آية (١١٦)

مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إلاَّ بِعِلْمِهِ﴾(١)، **﴿إليهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾**(٢)، وفيه حديثان.

٥- باب قول اللَّه تعالى: **﴿السلام المُؤمِن﴾**(٣) وفيه حديث واحد.

٦- باب قول اللَّه تعالى: **﴿مَلِك النَاس﴾**(٤) حديث واحد مسند وحديث معلق عن ابن عمر.

٧- باب قول اللَّه تعالى: **﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيم -سُبحَان رَبِك رَب العِزَة عمَا يَصِفُون- و لله العِزَةُ وَلِرَسُوله﴾**(٥) وفيه ثلاث أحاديث.

٨- باب قول اللَّه تعالى: **﴿وَهُوَ الذِي خَلَقَ السمَوَات وَالأرض بالحَق﴾**(٦) وفيه حديث واحد.

٩- باب قول اللَّه تعالى: **﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾**(٧) وفيه ثلاثة أحاديث مسندة وواحد معلق، قال الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة رضي اللَّه عنها موقوفاً.

---

(١) سورة فاطر آية (١١).

(٢) سورة فصلت آية (٤٧).

(٣) سورة الحشر آية (٢٣).

(٤) سورة الناس آية (٢).

(٥) سورة الصف آية (١) وسرة الصافات آية (١٨٠)، وسورة المنافقون آية (٨).

(٦) سورة الأنعام آية (٧٣).

(٧) سورة النساء آية (١٣٤).

١٠- باب قول اللّه تعالى: ﴿قُل هُوَ القَادِر﴾[١] وفيه حديث واحد.

١١- باب مقلب القلوب وقول اللّه تعالى: ﴿وَنُقَلِب أفئِدَتهُم وَأَبصَارَهُم﴾[٢] وفيه حديث واحد.

١٢- باب إن لله مائة اسم إلا واحدة، وفيه حديث واحد مسند وأثر موقوف على ابن عباس رضي اللّه عنهما.

١٣- باب السؤال بأسماء اللّه تعالى والاستعاذة بها، وفيه تسعة أحاديث.

١٤- باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي اللّه تعالى، وفيه حديث واحد.

١٥- باب قول اللّه تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُم اللّهُ نَفسَهُ﴾[٣]، وقوله جل ذكره: ﴿تعلَم مَا فِي نَفسِي وَلا أعلَم مَا فِي نَفسِكَ﴾[٤] وفيه ثلاثة أحاديث.

١٦- باب قول اللّه تعالى: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلا وَجهَهُ﴾[٥] وفيه حديث واحد.

١٧- قول اللّه تعالى: ﴿وَلِتُصنَع عَلَى عَينِي﴾[٦] وقوله جل ذكره:

---

(١) سورة الأنعام آية (٦٥).

(٢) سورة الأنعام آية (١١٠).

(٣) سورة آل عمران آية (٢٨).

(٤) سورة المائدة آية (١١٦).

(٥) سورة القصص آية (٨٨).

(٦) سورة طه آية (٣٩).

﴿تَجرِي بِأَعيُنِنَا﴾[١] وفيه حديثان.

١٨- باب قول اللّه تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِىءُ المُصَوِرُ﴾[٢] وفيه حديث واحد.

١٩- باب قول اللّه تعالى: ﴿لِمَا خَلقتُ بِيَدَيَّ﴾[٣] وفيه ستة أحاديث.

٢٠- باب قول النبي ﷺ: (ولا شخص أغير من الله) وفيه حديث واحد.

٢١- باب قول اللّه تعالى: ﴿قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾[٤] وفيه حديث واحد.

٢٢- باب قول اللّه تعالى: ﴿وَكَانَ عَرشُهُ عَلَى المَاءِ، وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾[٥] وفيه احدى عشر حديثاً وأثر عن أبي العالية وابن عباس رضي اللّه عنهما.

٢٣- باب قول اللّه تعالى: ﴿تَعرُجُ الملائِكَةُ والرُوحُ إِليهِ﴾[٦]، وقوله جل ذكره: ﴿إِليهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَيِبُ﴾[٧]، وفيه خمسة أحاديث

(١) سورة القمر آية (١٤).
(٢) سورة الحشر آية (٢٤).
(٣) سورة ص آية (٧٥).
(٤) سورة الأنعام آية (١٩).
(٥) سورة هود آية (٧). وسورة النمل آية (٢٦).
(٦) سورة المعارج آية (٤).
(٧) سورة فاطر آية (١٠).

وحديث وأثر معلق موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما وأثر معلق على مجاهد.

٢٤- باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوه يَومَئِذ نَاضِرَة إِلَى رَبِهَا نَاظِرَة﴾[1] وفيه أربعة عشر حديثاً وأربع آثار معلقة عن قيس بن سعد وأبو الزبير عن طاووس وفيه أثر عن مجاهد وأثر عن عمر ﷺ.

٢٥- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين﴾[2] وفيه ثلاث أحاديث.

٢٦- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمسِكُ السَموَاتِ وَالأرضَ أَن تَزُولاَ﴾[3] وفيه حديث واحد.

٢٧- باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرهما من الخلائق وفيه حديث واحد.

٢٨- باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَد سَبَقت كَلِمَتُنَا لِعبَادِنَا الْمرسلِين﴾[4] وفيه ستة أحاديث.

٢٩- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشيءٍ إِذَا أَرَدْنَاه﴾[5] وفيه أربعة أحاديث.

---

(١) سورة القيامة آية (٢٢-٢٣).

(٢) سورة الأعراف آية (٥٦).

(٣) سورة فاطر آية (٤١).

(٤) سورة الصافات آية (١٧١).

(٥) سورة النحل آية (٤٠).

٣٠- باب قول اللَّه تعالى: ﴿قُل لو كَان البحر مِدَادَاً لِكلمَات رَبي لَنَفِدَ البَحرُ قبلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبي وَلَوُ جِئنَا بمثِله مَدداً﴾[١] وفيه حديث واحد.

٣١- باب في المشيئة والإرادة وفيه أربع آيات وسبعة عشر حديثاً وأثر معلق عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

٣٢- باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَلا تَنفعُ الشفَاعةُ عِندَهُ إلا لِمَن أَذِنَ لَهُ حتَى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قالَ رَبُّكُم قَالُوا الحقَّ وَهُوَ العليُّ الكَبيرُ﴾[٢]، وفيه أربعة أحاديث وأثران معلقان أحدهما عن مسروق عن ابن مسعود ﷺ والثاني عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري ﷺ.

٣٣- باب كلام الرب مع جبريل ونداء اللَّه الملائكة وفيه ثلاث أحاديث وأثر عن معمر معلق السند.

٣٤- باب قول اللَّه تعالى: ﴿أَنزَله بِعلمه وَالملائِكَةُ يَشهدُون﴾[٣] وفيه ثلاثة أحاديث وأثر معلق عن مجاهد.

٣٥- باب قول اللَّه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ﴾[٤] وفيه ثمانية

---

(١) سورة الصف آية (١٠٩).

(٢) سورة فاطر آية (٢٣).

(٣) سورة النساء آية (١٦٦).

(٤) سورة الفتح آية (١٥).

عشر حديثاً وفيه أثر مسند عن موسى عن معمر وعن خليفة عنه به وأثر معلق عن قتادة.

٣٦- كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم وفيه ستة أحاديث.

٣٧- باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[1] وفيه ثلاثة أحاديث.

٣٨- باب كلام الرب مع أهل الجنة وفيه حديثان.

٣٩- باب ذكر اللّه بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والبلاغ وفيه ثلاث آيات وأثران معلقان عن مجاهد.

٤٠- باب قول اللّه تعالى: ﴿فَلا تَجعلُوا للّهِ أَنْدَاداً﴾[2] وفيه أربع آيات غير العنوان وأثران أحدهما عن عكرمة والآخر عن مجاهد وهما معلقان وحديث واحد.

٤١-باب قول اللّه تعالى: ﴿وَمَا كُنتُم تَستَتِرُون أَن يَشهد عَليكُم سَمعُكُم وَلا أَبصَارُكُم وَلا جُلُودُكُم وَلَكِن ظَننتُم أَن اللَّهَ لا يَعلَمُ كَثِيراً مما تَعْلَمُونَ﴾[3]، وفيه حديث واحد.

---

(١) سورة النساء آية (١٦٤).

(٢) سورة البقرة آية (٢٢).

(٣) سورة فصلت آية (٢٢).

٤٢- باب قول اللَّه تعالى: ﴿كُلَّ يومٍ هوَ فِي شَأن﴾[١] ﴿وَمَا يَأتِيهم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿لَعلَّ اللَّهَ يُحدِث بَعدَ ذَلِكَ أمرًا﴾[٣] ومنه ثلاث آيات بآية العنوان "الترجمة" وأثر موقوف على ابن مسعود معلق وحديثان مسندان.

٤٣- باب قول اللَّه تعالى: ﴿لا تُحَرِّك به لِسَانَك﴾[٤] وفيه أثر موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه معلقاً وحديث واحد مسند.

٤٤- باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَولَكُم أَوِ اجْهَرُوا بِه إنَه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور ألا يَعلَمُ مَن خَلَقَ وَهوَ اللطِيفُ الخَبِيرُ﴾[٥] وفيه ثلاثة أحاديث.

٤٥- باب قول النبي ﷺ: (رجل أتاه اللَّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل يقول لو أوتيت ما أوتي هذا فعلت كما فعل)، وفيه آيتان وحديثان.

---

(١) سورة الرحمن آية (٢٩).

(٢) سورة الأنبياء آية (٢).

(٣) سورة الطلاق آية (١)

(٤) سورة القيامة آية (١٦).

(٥) سورة الملك آية (١٣-١٤).

٤٦- باب قول اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُهَا الرَسُول بَلّغ مَا أُنزِلَ إليكَ مِن رَبكَ وَإِن لَّم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(١) وفيه أثران عن الزهري وآخر عن كعب بن مالك وثالث عن عائشة رضي اللّه عنهما ورابع عن معمر وخامس حديث عن أنس ﷺ كلها معلقة وثلاثة أحاديث مسندة.

٤٧- باب قول اللّه تعالى: ﴿قُلْ فَأتُوا بِالتوراةِ فَاتْلُوهَا﴾(٢)، وذكر حديثاً معلقاً عن النبي ﷺ وآيتين من سورة الجمعة بدءا من قوله: ﴿مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَوراةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَا لله لا يَهدِي القَومَ الظَالِمِين﴾(٣)، وآخر معلقاً عن أبي هريرة ﷺ، وحديث واحد مسند.

٤٨- باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً وقال: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)، وذلك حديث واحد.

٤٩- باب قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً..﴾(٤) الآية، وذكر فيه حديثاً واحداً.

٥٠- باب ذكر النبي ﷺ، وروايته عن ربه، وفيه خمسة أحاديث.

---

(١) سورة المائدة آية (٦٧).

(٢) سورة آل عمران آية (٩٣).

(٣)سورة الجمعة آية (٥).

(٤) سورة المعارج آية (١٩).

٥١- باب ما يجوز من تفسير التوراة، وغيرها من كتب اللّه بالعربية وغيرها، وذكر آية وثلاث أحاديث.

٥٢- باب قول النبي ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة)، (وزينوا القرآن بأصواتكم)، وفيه ستة أحاديث مسندة.

٥٣- باب قول اللّه تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[1]، وفيه حديث واحد.

٥٤- باب قول اللّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[2]، وفيه أثران معلقان، أحدهما عن مجاهد، والآخر عن مطر الوراق، وحديثان مسندان.

٥٥- باب قول اللّه تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[3]، ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾[4]، وفيه أثر عن قتادة معلقاً، وحديثان مسندان.

٥٦- باب قول اللّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[5]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[6]، وفيه حديث معلق، وأثر معلق عن ابن عيينة،

(١) سورة المزمل آية (٢٠).

(٢) سورة القمر آية (١٧).

(٣) سورة البروج آية (٢١-٢٢).

(٤) سورة الطور آية (١-٢).

(٥) سورة الصافات آية (٩٦).

(٦) سورة القمر آية (٤٩).

وحديث معلق عن أبي ذر وأبي هريرة رضي اللّه عنهما، وحديثان معلقان لم يذكر رَاوِيهما، وخمسة أحاديث مسندة.

٥٧- باب قراءة الفاجر والمنافق، وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، وذكر فيه ثلاثة أحاديث.

٥٨- باب قول اللّه تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1]، وفيه أثر معلق عن مجاهد، وحديث واحد مسند، وهو أخر أبواب كتاب التوحيد.

شروح الكتاب:

شرح كتاب التوحيد عدة شروح:

أولاً: شرح ابن حجر وهو في ضمن شرحه للجامع الصحيح المسمى فتح الباري.

ثانياً: شرح البدر العيني ضمن شرحه للجامع الصحيح والمشهور، شرح العيني على البخاري.

ثالثاً: شرح خاص بكتاب التوحيد في مجلدين متوسطين للشيخ عبد اللّه العنيمان، و لم يقدم فيه بدراسة عن كتاب التوحيد للبخاري وظني أن ذلك كان ضرورياً وهو من أحسن الشروح لالتزامه عقيدة السلف الصالح إذ الشروح الأخرى لا تخلوا من البدع الكلامية.

---

(١) سورة الأنبياء آية (٤٧).

أهمية الكتاب:

ترجع أهمية الكتاب:

أولاً: لصحة جميع مـا ذكـره مـن الأحـاديث فهـو مصـدر موثـوق في العقيدة الصحيحة.

ثانياً: لكونه مرجعاً هاماً لمن جاء بعده.

ثالثاً: لتعرضه لأهم العقائد الخلافية من أهل السنة والجماعـة والسـلف الصالح وغيرهـم من أهل البدع واثبـات الحـق بالأدلـة الصحيحـة المقطـوع بصحتها .

منهج المؤلف في كتابه "كتاب التوحيد":

١- وضع أبواباً تبين عن مقصود المؤلف.

٢- وضع ترجمة -عنوان- لكل باب يدل على مبحثه.

٣- ايراد النصوص الكثيرة في المسائل الخلافية.

٤- بدأ الباب بآية أو آيات.

٥- ذكره تفسير السلف لبعض الكلمات الغريبة في الآيات القرآنية.

٦- اشتماله على عدد من العقائد التي تميز أهل السنة عن غيرهـم.

٧- تنويع تراجم الأبواب، فتارة يعنـون بآيـة أو آيـات، ومـرة بحديـث أو

أكثر، وثالثة باستنباط يدل على ما تحته من نصوص.

٨- قصر تراجم الأبواب، وهو ما يناسب العناوين مع الفائدة حتى قيل إن فقه البخاري في تراجمه أي عناوين أبواب كتابه الجامع الصحيح.

٩- ذكره لبعض الآثار عن السلف.

١٠- يلحظ أن المؤلف أعطى اثبات صفة الكلام ومباحثها حيزاً من كتابه لم يعطه لغيره من المباحث، وهكذا الأمر في النظر إلى وجه اللّٰه تعالى.

١١- يلاحظ أن معظم الأبواب تتعلق بمعالجة توحيد الأسماء والصفات، وأما بقية أنواع التوحيد فقليل جداً، فتوحيد الربوبية تعرض له بالإشارة في اثبات صفة الخلق، والألوهية في الكلام على الشفاعة، والقدر في باب قول اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]، وهكذا.

١٢- لم يعرج بالرد على الفرق الضالة بأسمائها.

---

(١) سورة القمر آية (٤٩).

خاتمة الكتاب

مميزات المنهج السلفي

خاتمة الكتاب

مميزات المنهج السلفي

وبتأمل ما مضى بيانه من منهج السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها والرد على أهل البدع يتبين لنا بالاستقراء أنّ أهم مميزات منهج السلف هي:-

أولاً: الوضوح والسهولة:

فليس في اعتقادهم أي نوع من التعقيدات اللفظية أو المنعوية لأن التعقيد مبعثه إما الإجمال في المعنى أو الاشتراك في اللفظ أو تعدد المعنى للفظ بسبب تعدد المصطلحات أو وجود اللفظ الدخيل الذي لا يعرف معناه أو يعرف معناه لكنه لا يناسب المعنى الذي وضع له بحيث إذا أطلق كانت دلالة اللفظ الظاهر على غير المعنى المقصود باللفظ وذلك لكون المعنى المراد باللفظ غير المعنى الذي وضع له اللفظ لغة أو شرعاً وكل ذلك منتفياً عن عرض السلف للاعتقاد والدفاع عنه وفي ردهم على أهل البدع فليس في ألفاظهم شيء من المصطلحات الكلامية والألفاظ المنطقية التي تحتاج إلى علم بالمعنى الاصطلاحي المقصود باللفظ ولا في أقيستهم من التكلف ما في أقيسة المنطقيين من وضع يحتاج إلى معرفة ودرس

وإدراك لعلاقات الألفاظ بعضها ببعض وإدراك التلازم والترابط بين المقدمات وبين المقدمات والنتائج بل هم في ذلك كله متبعون للغة القرآن الكريم ولغة السنة النبوية وهي من الوضوح والبلاغة وبلغت الغاية في الفصاحة والبيان ولأن عدم وضوح المعنى قد يوقع في الباطل أو عدم أصابة الحق الأمر الذي يؤدي إلى الضلال والميل عن الحق ومن وضوح اعتقادهم قلة تكاليفه بحيث يسهل عدده وحصره ويمكن الإيمان به والتصديق بمدلولاته وذلك إن كثرت التكاليف قد تجعل إحصاء المفردات العقدية غير ممكن لكل أحد الأمر الذي يغلق الفهم وبالتالي ترك ما دل عليه اللفظ من معتقد وهم في ذلك ينهجون نهج الكتاب والسنة في عدم التكليف بما لا يطاق ولذا كانت العقائد عندهم نوعين هما[1]:

النوع الأول: ما كان من أصول الاعتقاد التي لا يسع أحداً من المسلمين جهله وهو الضروري منه فإن العلم به من فرض الأعيان لا فرق بين العالم والجاهل لأن ذلك هو الحد بين الكفر والإيمان، قال تعالى: **﴿فمَاذَا بَعْدَ الْحَقِ إِلا الْضَلال﴾**[2].

النوع الثاني: ما كان من فروع الاعتقاد: (فهذه يلزم بها والإيمان من قدر على فهمها وإدراك معانيها والقدر فيه مختلفة فيجب على كل واحد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ص(٥١،٥٢).

(٢) سورة يونس آية (٣٢).

ما أطاقه عقله وقدر عليه ذهنه كما قال سبحانه: ﴿اتَّقُوا اللَّه مَا اسْتَطَعْتُم﴾[١] لكنه يجب على الأمة ممثلة في أئمتها إيجاد من يعلم ذلك ويتخصص فيه لدخوله في الدين المأمور بإتباعه قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[٢].

ثانياً: الاتفاق على المنهج:

وذلك أن السلف لا خلاف بينهم في منهجهم الذي سلكوه بل كلهم ينهجه ويقرر أنّ الخطأ في خلافه ويعتبر مخالفته بدعة في الدين يجب على المسلم أن يتنزه عنها وأن ما هم عليه هو الحق وكيف لا يكون كذلك والمحيل على اتباعه هو الرسول ﷺ عندما عرف الفرقة الناجية بأنها ما كان عليه هو وأصحابه يقول أبو إسماعيل الصابوني بعد أن قرر منهج السلف في الاعتقاد: "وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها ولم يثبت عن أحد منهم بما يضادها"[٣].

ويقول أبو القاسم الأصفهاني: "ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم

---

(١) سورة التغابن آية (١٦).

(٢) سورة الأنعام آية (١٥٣).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(١١١)، فقرة (١٧٤).

وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قل بل ولو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد على لسان واحد وهل على الحق دليل أبين من هذا"[1]. بخلاف أهل البدع فإنك تراهم مختلفين مع بعضهم سواء في إطار الفرق المتعددة أو في إطار الفرقة الواحدة وهذا ظاهر من استقراء آراء أهل البدع من كتب الفرق فإن كل فرقة قد انشقت على عدة فرق كل واحدة منها تضلل غيرها ممن يجتمع معها في اسمها الأم يقول أبو القاسم الأصفهاني: "وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد يبدع بعضهم بعضاً بل يرتقون إلى التكفير يكفر الابن أباه والرجل أخاه والجار جاره تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم: ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**﴾[2]، أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين والبصريون منهم البغداديين ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي ابنه أبا هاشم وأصحاب أبي هاشم

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٥).

(٢) سورة الحشر: الآية (١٤).

يكفرون أباه أبا علي وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم وهل على الباطل دلبل أظهر من هذا"[١]. وقد أشار رحمه اللَّه إلى اتفاق أهل السنة والجماعة واختلاف أهل الأهواء والبدع فقال: "وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية عن الثقات المتقنين قلما يختلف وإن اختلف في لفظ وكلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه وأما دلائل العقل فقلما تتفق بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يرى الآخر وهذا بين والحمد لله وبهذا يظهر مفارقة الاختلاف في مذاهب الفروع اختلاف العقائد في الأصول فإنا وجدنا أصحاب رسول اللَّه ﷺ ﷺ اختلفوا في أحكام الدين فلم يفترقوا و لم يصيروا شيعاً لأنهم لم يفارقوا الدين ونظروا فيما أذن لهم فاختلفت أقوالهم وآراؤهم في مسائل كثيرة مثل مسألة الجد والمشتركة وذوي الأرحام ومسألة الحرام وفي أمهات الأولاد وغير ذلك مما يكثر تعداده"[٢].

ثالثاً: النقلية والأثرية:

إن السلف يعتمدون في إثبات اعتقادهم على النقل الصحيح عن اللَّه

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٤-٢٢٨).

(٢) المرجع السابق (٢/٢٢٤-٢٢٨).

ورسوله ﷺ وعن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ويقدمونه على كل عقل أو ذوق أو كشف أو حس ولا يجعلون شيئاً من ذلك معارضاً له يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن اللّه من صفاته وأفعاله فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول ﷺ"[1].

ومصداق ذلك ما قال أبو الحسن البربهاري: "فالله اللّه في نفسك وعليك بالآثار وأصحاب الأثر والتقليد فإن الدين إنما هو التقليد يعني للنبي ﷺ وأصحابه رضوان اللّه عليهم أجمعين ومن قبلنا لم يدعونا في لبس فقلدهم واسترح ولا تجاوز الأثر وأهل الأثر"[2]، وقال الأصفهاني: "غير أن اللّه أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين وأخذه التابعون من أصحاب رسول اللّه ﷺ وأخذه أصحاب رسول اللّه ﷺ عن رسول اللّه ﷺ ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول اللّه ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحابه"[3]، ثم قال: "وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٣٢/٥).

(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٥)، فقرة (١٢٠).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢٢٣/٢، ٢٢٤).

والسنة أمامهم وطلبوا الدين من قبلهما وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني، وهو واحد زمانه في المعرفة: "ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة فإن أتى بهما وإلا رددته في نحره أو كلام هذا معناه"[(١)]، وقال: "وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الإتفاق والائتلاف"[(٢)]، وقال الأصفهاني: "والزم نص الكتاب وظاهر الحديث الصحيح اللذين هما أصول الشرعيات بقف على الهدى المستقيم"[(٣)]، وقد جاءت الآثار السلفية آمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومهما وقد بلغت حد التواتر ومنها:-

أولاً: قال ابن مسعود وابن عباس وعمران بن حصين ﷺ: أن جميع ما أمر به رسول اللَّه ﷺ ونهى عنه هو عن اللَّه وفي كتاب اللَّه فتأولوا فيه قول اللَّه عز وجل: ﴿**وَمَا آتَاكُم الرَسُول فَخُذُوه ومَا نَهَاكُم عَنهُ فانتَهُوا**﴾[(٤)(٥)].

(١) المرجع السابق (٢/٢٢٦).
(٢) المرجع السابق (٢/٢٢٦).
(٣) نفس المرجع (٢/٢٩٥).
(٤) سورة الحشر: الآية (٧).
(٥) نفس المرجع (٢/٢٩٧).

ثانياً: وعن عطاء في قوله: ﴿**وأَطِيعُوا اللَّه وأَطِيعُوا الرَسُولَ وأُولِي الأمرَ منكُم**﴾[١] قال: أولي الفقه، "أولي العلم" وطاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة[٢].

ثالثاً: وعن مجاهد قال: ﴿**أَطِيعُوا اللَّه وأَطِيعُوا الرَسُولَ وأُولِي الأمرِ مِنْكُم**﴾[٣] قال أهل العلم والفقه: ﴿**فإِن تنَازعتُم فِي شيءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّه والرَسُولِ**﴾[٤] قال: كتاب اللَّه وسنة نبيه، ولا تردوه إلى أولي الأمر شيئاً[٥].

رابعاً: قال الحسن: "إن أغبط الناس قوم قرأوا هذا القرآن وعملوا بسننه وإن أحق الناس بهذا قوم عملوا بما فيه وإن كانوا: "لايقرؤونه" وإن هذا القرآن وثاق أوثق اللَّه به المؤمنين[٦].

خامساً: قال عبد اللَّه بن مسعود: "إنا نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر"[٧].

---

(١) سورة النساء: الآية (٥٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٢/١)، فقرة (٧٥).

(٣) سورة النساء آية (٥٩).

(٤) سورة النساء آية (٥٩).

(٥) نفس المرجع (٧٣/١، فقرة (٧٧).

(٦) نفس المرجع (٨٠/١)، فقرة (٧٥).

(٧) نفس المرجع (٨٦/١)، فقرة (١٠٦).

سادساً: وعن محمد بن سيرين قال: "كانوا يرونه على الطريق ما كانوا على الأثر"(١).

سابعاً: قال شاد بن يحيى: "ليس طريق اقصد إلى الجنة من طريق من سلك الآثار"(٢).

ثامناً: قال حذيفة ﷺ: "اتقوا الله يا معشر القراء خذوا طريق من قبلكم فوا لله لئن سبقتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً"(٣).

تاسعاً: قال الزهري: "كان من مضى من علمائنا يقول الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض سريعاً فنعش العلم ثبات الدين والدنيا وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله"(٤).

عاشراً: قال عمر بن عبد العزيز: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ومن استبصر بها بصر ومن خالفها واتبع غير

---

(١) نفس المرجع (٨٧/١)، فقرة (١٠٩).

(٢) نفس المرجع (٨٨/١)، فقرة (١١٢).

(٣) نفس المرجع (٩٠/١)، فقرة (١١٩).

(٤) نفس المرجع (٩٤/١)، فقرة (١٣٦).

سبيل المؤمنين ولاه اللّه عز وجل ما تولاه وأصلاه جهنم وساءت مصيراً"[١].

رابعاً: العدالة:

العدل سمة الأمة المحمدية حيث جعلها اللّه شاهدة للرسل بالتبليغ والشاهد لا يكون إلا عدلاً قال تعالى: ﴿**وكَذَلِكَ جَعلنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ علَى النَاسِ**﴾[٢] وقال آمراً لهذه الأمة بالعدل مع العداء فضلاً عن المسلمين: ﴿**ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآن قَوْمٍ عَلَى ألاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أقرَبُ للتَّقْوَى**﴾[٣] وبين أن العدل مما شرعه اللّه في جميع رسالاته فقال سبحانه: ﴿**إنَّ اللَّهَ يَأمُرُ بالعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإيتَاءِ ذِي القُربَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالُمنكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذكَّرُونَ**﴾[٤] وأولى الناس اتصافاً بهذه الفضيلة هم أهل السنة والجماعة السلف الصالح لأنهم هم الذين يمثلون هذه الأمة في صفاء اعتقادها ونقائه ومن هذا المنطلق كان حكم أهل السنة والجماعة على الأمور نابعاً من العدل فهم لا يكفرون أحداً بذنب فعله إلا أن يكون كفراً يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّه:

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٩٤)، فقرة (١٣٤).

(٢) سورة البقرة آية (١٤٣).

(٣) سورة المائدة آية (٨).

(٤) سورة النحل آية(٩٠).

"والكف عن أهل القبلة ولا نكفر أحداً منهم بذنب ولا نخرجهم عن الإسلام بعمل إلا أن يكون ذلك حديث فيروى كما جاء وكما روي ونصدقه ونقبله ونعلم أنه كما روي نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج عن الإسلام"(١)، ويقول أبو إسماعيل الصابوني: "ويعتقد أهل السنة إن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى اللّه عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار وإذا عذبه لم يخلده فيها بل اعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار"(٢)، ويقول أبو الحسن البربهاري: "واعلم بأن الدنيا دار إيمان وإسلام وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم وموازينهم وذبائحهم والصلاة عليهم ولا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب، واعلم أن إيمانه إلى اللّه تعالى تام الإيمان أو ناقص الإيمان إلا ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام، والصلاة على من مات من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية

---

(١) شذرات البلاتين (٤٦/١).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، ص(٧١،٧٢)، فقرة رقم (١١٢).

من كتاب اللّه عز وجل أو يرد شيئاً من آثار الرسول ﷺ أو يصلي لغير اللّه أو يذبح لغير اللّه وإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام فإذا لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة"[1].

ومن هنا كان المخطيء في باب الاعتقاد على نوعين:

الأول: الخطأ فيما هو من ضرورات الدين من الأمور التي تفهم بمجرد قراءة الكتاب والسنة فهذا لا يعذر أحد بالجهل فيها لأن جهله فيها يكون عن تفريط.

الثاني: الخطأ فيما هو من الأمور الخفية التي لا تدرك إلا بكد ذهن واتعاب نفس فإن كان قد بذل جهده في فهمها لكنه أخطأه فهو معذور في الآخرة والدنيا ما لم تقم عليه الحجة وذلك ببيان أدلة الحق ووجهها فإن أصر على خلاف الحق جرت عليه أحكام الدنيا وأما في الآخرة فالله أعلم بحاله من العذر أو عدمه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن كان خطؤه لتفريقه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلاً أو لتعديه حدود اللّه بسلوك السبيل التي نهى عنها أو لاتباعه هواه بغير هدى من اللّه فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد بخلاف المجتهد في طاعة اللّه ورسوله باطناً وظاهراً الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمر اللّه ورسوله

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٣٠،٣١)، فقرة (٣١،٣٢).

فهذا مغفور له خطؤه"[١]، ويقول أبو الحسن البربهاري: "واعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين: أما أحدهما فرجل قد زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلّته فإنه هالك ورجل عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهو ضال مضل شيطان مريد في هذه الأمة حقيق على من عرفه أن يحذر الناس منه ويبين لهم قصته لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك"[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة وإن كان في المسائل العلمية ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة.. فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أوكله في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول ﷺ بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤخذه بما أخطأ تحقيقاً لقوله: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نسِينَا أو أخْطَأنَا﴾[٣]، وأهل السنة جزموا بالنجاة لكل من اتقى الله تعالى كما نطق به القرآن إنما توقفوا في شخص معين لعدم العلم بدخوله في المتقين"[٤]، وقال في موضع آخر: "فلما طال الزمان خفي على كثير من الناس ما كان ظاهراً لهم ودق على كثير من الناس ما كان جلياً لهم فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة ما لم يكن مثل هذا من

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥٩/١).
(٢) شرح السنة للبربهاري، ص(٢٣)، فقرة (٦).
(٣) سورة البقرة آية (٢٨٦).
(٤) مجموع الفتاوى (١٦٦/٢٠).

السلف وإن كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر اللّه لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين رجلاً يعملها في ذلك الزمان لأنهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك"[١].

وبذا يتبين لنا ما عند السلف من العدل مع خصومهم وبناء عل ذلك بين شيخ الإسلام ابن تيمية حكم الباغي فقال: "وأما إذا كان الباغي مجتهداً متأولاً ولم يبين له أنه باغ بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئاً في اعتقاده لم تكن تسميته باغياً موجبة لإثمه فضلاً عن أن توجب فسقه"[٢]، ولذا لم يطلق السلف مسمى الكفر إلا على من قام الدليل على كفره وخروجه من الإسلام بما كفر به وهذا مبني على أصلين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين:

أحدهما: أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول ﷺ وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق فنفي الصفات كفر والتكذيب بأن اللّه يُرى في الآخرة أو أنه على العرش أو أن القرآن كلامه أو أنه كلم موسى أو أنه اتخذ ابراهيم خليلاً كفر وكذلك ما كان من معنى ذلك وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث.

الأصل الثاني: أن التكفير العام -كالوعيد العام- يجب القول بإطلاقه

---

(١) المرجع السابق (٥٦/١٣،٥٨).

(٢) المرجع السابق (٨٦/٣٥).

وعمومه وأما الحكم على المعين بأنه كافر ومشهود له بالنار فهذا يقف على الدليل المعين فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه"[١]، ومما لايجوز اغفاله في هذا المقام، أن كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ فهو خير من كل من كفر به وإن كان في المؤمن بذلك نوع بدعة سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة أو غيرهم"[٢].

خامساً: الاجتماع على الحق:

وهذا الحق مدلول عليه بآيات الكتاب الحكيم وأحاديث النبي ﷺ وهذا فرع دلالة النصوص على وجوب الاجتماع على الحق وعدم التفرق والاختلاف الذي هو سبب الظلم والبغي وسب الأمة بعضها بعضاً واستحلال بعضهم دماء البعض الآخر منهم حيث قال سبحانه: **﴿واعتَصِمُوا بحبلِ اللّه جَمِيعَاً ولا تَفرقُوا واذكُرُوا نِعمَتَ اللّه عليكُم إذ كُنتُم أَعدَاءً فألَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم﴾**[٣]، وقال جل جلاله: **﴿ولا تَكُونُوا كالذِينَ تَفرَّقُوا واختَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البينَات وأُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ عظِيم﴾**[٤]، وقوله سبحانه وتعالى: **﴿وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيماً فاتَّبِعُوهُ**

---

(١) المرجع السابق (٤٩٧/١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠١/٣٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٠٥).

ولا تَتبعُوا السُبلَ فَتَفرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِه لَعَلَّكُم تَتَقُونَ﴾[١]، وقال جل ذكره: **﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِين مَا وَصَّى بِه نُوحاً والذِي أوحينَا إلَيك ومَا وَصَينَا به إبرَاهِيم ومُوسى وعِيسَى أن أقِيمُوا الدِين ولا تَتفرقُوا فِيه كَبُرَ عَلَى المُشركِين مَا تدعُوهُم إلَيه﴾**[٢]، وقال سبحانه: **﴿مُنِيبِينَ إلَيه واتَّقُوه وأقِيمُوا الصَّلاةَ ولا تكُونُوا مِنَ المُشركِينَ، مِنَ الذِين فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ﴾**[٣].

وتواترت الأحاديث بالأمر بالاجتماع وذم التفرق في الدين فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية) رواه مسلم[٤]، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال رسول الله ﷺ: (من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الأثنين أبعد) رواه الترمذي وصححه[٥]، وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: (الجماعة رحمة والفرقة عذاب)[٦]، قد جرى السلف على ما جرت عليه القرآن الكريم والسنة النبوية فقال علي ﷺ:

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥٣).

(٢) سورة الشورى: الآية (١٣).

(٣) سورة الروم: الآية (٣١-٣٢).

(٤) انظر: الإبانة لابن بطة (١/٢٨١،٢٨٢) رقم (١٠٨).

(٥) المرجع السابق (١/٢٨٤،٢٨٥) رقم (١١٣).

(٦) المرجع السابق (١/٢٧٨) رقم (١١٧) وأشار محققه إلى صحته.

"من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"[١]، وقال سعد بن حذيفة عن أبيه: "من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"[٢].

وقال عبد الله بن مسعود: "أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"[٣]، وقال عطاء الخرساني: "ثلاث لا تنفع اثنتان دون الثالثة الإيمان والصلاة والجماعة"[٤].

وبناء على ما تقدم كان الإجتماع على الحق من السمات البارزة المميزة لأهل السنة والجماعة التي يفارقون فيها أهل البدع يقول أبو القاسم الأصفهاني: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد ولا نرى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء وإن

---

(١) انظر: الإبانة لابن بطة (٢٨٩/١) رقم (١٢٠).

(٢) المرجع السابق (٢٩٠/١) رقم (١٢٢).

(٣) المرجع السابق (٢٩٧/١) رقم (١٣٣).

(٤) نفس المرجع (٢٢٣/١) رقم (١٦٧).

قلَّ بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد وهل على الحق دليل أبين من هذا. وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً أو أحزاباً لا تكاد ترى اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد ويبدع بعضهم بعضاً ويرتقون إلى التكفير يكفر الابن أباه والرجل أخاه والجار جاره تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف تنقضي أعمارهم ولم تتفق كلماتهم: ﴿**تَحسَبُهُم جَمِيعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأنهُم قَومٌ لا يَعقلُونَ**﴾[1][2]، ومما تقدم يتبين أن الاختلاف المذموم عند السلف هو الخلاف في أصول العقيدة وأما الأمور العملية الاجتهادية فإن ذلك اختلاف أقل أحواله الجواز والإباحة لظاهر حديث: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد)، وقد أقر الرسول ﷺ على اختلافهم في العمل عندما قال لهم: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)[3] فمنهم من قدم أحاديث الوقت وجعلها مخصصة لعموم الحديث ومنهم من جعل هذا الحديث مخصصاً لأحاديث الوقت وهكذا اختلفوا في بعض فروع الاعتقاد كالاختلاف الجاري بين ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها في رؤية الرسول ﷺ ربه في ليلة الإسراء والمعراج لكن هذا الإختلاف لم يفسد وداً ويفرق جماعة فهو ليس كالإختلاف في

---

(١) سورة الحشر آية (١٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٤،٢٢٥).

(٣) متفق عليه.

أصول الإعتقاد في المفسدة بل هو من جنس الخلاف في الفروع العملية ولذا لم يكن حراماً لعدم ترتب الكفر والإيمان عليه بل الجهل به لا يضر في الدين مع أن أكثره قد أمكن الجمع بين القولين المختلفين فزال التعارض ولذا كان من أسمائهم الجماعة إشارة لإجتماعهم على الحق الذي جاء به الرسول ﷺ وقد جاءت الأحاديث النبوية مشيرة إلى هذه التسمية ومنشأها ومأخذها فعن عوف بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار، والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار قيل يا رسول اللّه: "إن بني اسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة فقيل يا رسول اللّه من هم قال: الجماعة)[١]، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ : (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة فقيل يا رسول اللّه وما هذه الواحدة؟ فقبض يده وقال الجماعة فاعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرقوا)[٢]، فأبانت هذه الرواية عن منشأ التسمية وهي الاجتماع على الحق الذي دل عليه

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٠١) رقم (١٤٩) وأشار محققه إلى أن إسناده حسن.

(٢) نفس المرجع (١/١٠٠،١٠١) رقم (١٤٨) وأشار محققه إلى تصحيح الشيخ الألباني له في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم.

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ : (لا يجمع اللّه هذه الأمة على ضلالة أبداً -قال: (يد اللّه مع الجماعة فاتبعوا سواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار)[١]، قد أمر الرسول ﷺ باتباع الجماعة وبين أنهم أصحابه وتابعوهم وتابعوهم إلى يوم الدين، فعن زر قال: خطب عمر ﷺ بالشام فقال: "قام فينا رسول اللّه ﷺ مقامي فيكم فقال: (استوصوا بأصحابي خيراً ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يسألها وباليمين قبل أن يسألها، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ومن الإثنين أبعد فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن"[٢]، وبذا تظهر عناية السلف بجمع الدعوة إلى الجماعة ولزومها والتمسك بما كانت عليه والتحذير من مخالفتهم والميل عن سبيلهم إذ هو سبيل المؤمنين الذي يجب اتباعه كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[٣].

سادساً: الوسطية:

قد وصف اللّه هذه الأمة بأنها الأمة الوسط فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعلنَاكُم أُمةً وَسطَاً﴾[٤]، أي عدلاً خياراً ومن لازم وسطيتهم عدالتهم

---

(١) نفس المرجع (١٠٦/١) رقم (١٥٤) أشار محققه إلى أنه حسن.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٦/١) رقم (١٥٥) وأشار محققه إلى أنه حسن.

(٣) سور النساء آية (١١٥).

(٤) سورة البقرة آية (١٤٣).

ولذا صح أن يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة لأن الشاهد لابد أن يكون عدلاً حتى تقبل شهادته ووسطية هذه الأمة هي كونها على الحق بين باطل من غلا وباطل من جفا، إذ الحق وسط بين باطلين باطل الغلو وباطل الجفاء، وأولى هذه الأمة بالإتصاف بالوسطية من مثلها في كمال عقيدتها وصفائها ونقائها وهم أهل السنة والجماعة[1]، وقد تعددت مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة الدالة على كثرة فضائلهم وعلو شأنهم في الدين ومن أهم هذه المظاهر:

أولاً: وسطيتهم في أسماء الله وصفاته:

فهم وسط في باب الأسماء والصفات بين الجاحد والمعطل المنكر للأسماء والصفات، والمثبت لها على نحو ما عليه صفات المخلوقين وأسمائهم حيث اثبتوا لله ما أثبته لنفسه من أسمائه وصفاته وأثبته له رسوله ﷺ ونفوا عنه ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من النقص والعيب المنافي لكماله المقدس على حد قوله تعالى: ﴿**لَيسَ كَمثلِهِ شَيء وهُوَ السَمِيع البَصِير**﴾[2] فنفى عن نفسه مماثلة المخلوقات رداً على المثلة وأثبت لنفسه السمع والبصر رداً على المعطلة الذين جاحدوا الأسماء والصفات[3]، يقول ابن تيمية: "فهم وسط في باب صفات الله عز وجل

---

(١) انظر: الرسالة الصفدية (٢/٣١٠) الجواب الصحيح (١/٧).

(٢) سورة الشورى آية (١١).

(٣) انظر: الجواب الصحيح (١/٧)، الصفدية (٢/٣١٣).

بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تعطيل ولا تمثيل اثباتاً لصفات الكمال وتنزيهاً له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيسَ كَمثلِه شَيءٌ﴾[1]، وهو رد على الممثلة: ﴿وَهُوَ السَمِيع البَصِير﴾[2] رد على المعطلة[3].

ثانياً: وسطيتهم في أفعال الله عز وجل:

فهم وسط بين القدرية الذين نفوا القدر وقالوا الأمر أُنف وانكروا علم الله ومشيئته وخلقه لأفعال العباد وقالوا إن الله لا يقدر على مقدور العبد وعليه فهو لم يرد أفعال العباد ولو وقعت بارادته وعليه فإن ارادة العبد غلبت ارادة الرب وبين الجبرية الذين أنكروا أن يكون للعبد فعل وإرادة وقالوا الإرادة إرادة الله والفعل فعله وعلى قولهم فكل ما يحصل من فعل فهو فعل الله كالأكل والشرب والنكاح والزنا ونحوه من الأفعال صالحها وفاسدها، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً فأثبت أهل السنة والجماعة إرادة الله التي هي صفته وإرادة العبد التي هي صفته وليس إرادة الرب عين إرادة العبد بل لكل واحد منهما إرادته المناسبة له وأثبتوا فعل الرب الذي هو خلق العبد وأثبتوا للعبد فعله الذي فعله هو متعلق الثواب والعقاب

---

(١) سورة الشورى: الآية (١١).

(٢) سورة الشورى: الآية (١١).

(٣) انظر: الجواب الصحيح (١/٧)، الصفدية (٢/٣١٣).

وليس فعل الرب هو عين فعل العبد بل لكل واحد منهما فعله الذي هو صفة من صفاته وتحذو حذو ذاته قال تعالى: ﴿وَا لله خَلَقَكُم ومَا تَعمَلُونَ﴾[1] فنسب الخلق لله ونسب العمل للعبد وقال سبحانه: ﴿وَمَا تشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾[2] فأثبت للعباد مشيئة وأثبت له مشيئة وجعل مشيئته قيداً وشرطاً لمشيئة العباد فلا يحصل في ملكه تعالى إلا ما شاء وقدر فمشيئة الرب مؤثر تام في حصول فعل العبد وأما مشيئة العبد فمؤثر ناقص قد يقع بعدها الفعل إن شاءه اللَّه وقد لا يقع إذا لم يشأه اللَّه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهم وسط في باب أفعال اللَّه بين المعتزلة المكذبين بالقدرة والجبرية النافين لحكمة اللَّه ورحمته وعدله والمعارضين بالقدر أمر اللَّه ونهيه وثوابه وعقابه"[3]، ووجه معارضة الجبرية للأمر والنهي والثواب والعقاب كونهم سلبوا العبد مسؤوليته عن فعله التي يترتب عليها أمره ونهيه وثوابه وعقابه وذلك أن هذه الأمور فرع وجود إرادة العبد ومشيئته التي يتمكن بها من امتثال المأمور واجتناب المحظور الذي يترتب عليه الثواب والعقاب أي لا فعل إلا بإرادة وهم يجعلون فعله اضطرارياً لا كسب له فيه فهو كحركة رمش العين والقلب وغيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فيؤمن أهل السنة بأن اللَّه على كل شيء قدير

---

(١) سورة الصافات آية (٩٦).

(٢) سورة التكوير آية (٢٩).

(٣) الجواب الصحيح (٧/١)، انظر: الكتاب الصفدية (٣١٣/٢).

فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء اللّٰه كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فإن اللّٰه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[١].

ثالثاً: وسطيتهم في الوعد والوعيد:

فالوعد هو ما أعده اللّٰه لعباده المؤمنين من فضله وكرمه في جنة الخلد، والوعيد هو ما أعده اللّٰه لمن عصاه من عذاب النار وأهوالها، فهم وسط في هذا الباب بين الوعيدية الذين خلدوا مرتكبي الكبائر في النار من المعتزلة والخوارج والمرجئة الذين جزموا لأهل المعاصي الكبائر في الآخرة تحت مشيئة اللّٰه إن شاء غفر لهم وادخلهم الجنة وإن شاء عذبهم بقدر معاصيهم ثم ادخلهم الجنة فضلاً منه تعالى ورحمة وإلا فإنهم يستحقون العذاب والعقاب جزاء ما ساؤوا من العمل وتركوا من الواجبات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار.. "[٢]، وبين المرجئة الذين لا يجزمون بتعذيب أحد

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٧٧،٢٧٨).

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٧٨)، انظر: الجواب الصحيح (١/٨).

من فساق الأمة[1]، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية"[3].

رابعاً: وسطيتهم في أسماء الدين والإسلام والإيمان:

أسماء الدين هي الحدود الشرعية التي علق الشارع عليها أحكامه في الدنيا والآخرة فهي ألفاظ ذات مدلولات شرعية ربط الشارع بينها وبين أحكامه الشرعية إثباتاً ونفياً، فهم وسط في هذا الباب بين الوعيدية من المعتزلة والخوارج حيث أخرجوا مرتكبي الكبيرة عن مسمى الإيمان وقالوا إن فساق الأمة المحمدية ليسوا مؤمنين على خلاف بينهم حيث أطلقت الخوارج عليهم اسم الكفر وأخرجوهم عن الإسلام بارتكابهم الكبائر وقالت المعتزلة ليسوا مؤمنين لكنهم في منزلة بين الإيمان والكفر وجعلوا هذا هو معنى الفاسق عندهم وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا مرتكب الكبيرة فاسق بكبيرته كما قال تعالى: ﴿**وَإِن جَاءكُم فَاسِق بِنبأ فَتَبَيَّنُوا**﴾[2] مؤمن بإيمانه فإيمانه ناقص وحملوا على ذلك حديث:(لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) أي كامل الإيمان وأمثاله من النصوص وذلك لأن الله أطلق الإيمان على مرتكب الكبيرة فقال سبحانه: ﴿**وَإِن طَائِفَتَان مِنَ الْمُؤمِنِين اقتَتَلُوا فَأَصلِحُوا بَينَهُمَا**﴾[3]، وقال: ﴿**فَأَصلِحُوا بَينَ**

---

(١) كتاب الصفدية (٢/ ٢١٣)، الجواب الصحيح (١/٨).

(٢) سورة الحجرات آية (٦).

(٣) سورةالحجرات آية (٩).

﴿أَخَوَيكُم﴾[١] فسمى الطائفتين المتقاتلتين مؤمنين وأثبت لهما أخوة الإيمان مع قوله ﷺ : (قتال المؤمن كفر)، فدل ذلك على أن له حظ من الإيمان وله حظ من اسم الكفر فيكون مؤمناً ناقص الإيمان ويكون المراد بالكفر كفراً دون كفر وعليه فسر بعض السلف قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤمِن أَكثَرَهُم بالله إِلا وَهُم مُشرِكُون﴾[٢] أنه شرك دون شرك أي إنه شرك أصغر لأن الإيمان لا يجامع الشرك الأكبر يقول ابن تيمية: "يؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة"[٣]، وبين المرجئة الذين جعلوا مرتكب الكبيرة مؤمناً كامل الإيمان إيمانهم كإيمان أبي بكر وعمر بل كإيمان الملائكة والأنبياء فلا تضر معصية مع الإيمان كما لا تنفع طاعة مع الكفر يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان"[٤].

فلا فرق عندهم بين الأبرار والفجار فهم على نقيض ما ذهبت إليه المعتزلة والخوارج وأهل السنة والجماعة اطلقوا لفظ الإيمان حيث ورد به النص وأطلقوا ضده حيث ورد، فجمعوا بذلك بين النصوص و لم يعقدوا

---

(١) سورة الحجرات آية (١٠).

(٢) سورة يوسف آية (١٠٦).

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٧٨).

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى ٠١/٢٧٨).

تعارضاً بينها ولم يضربوا بعضها بعضاً بل وقعوا بينهـا علـى أحسـن وجـه وأعملوا كل واحد منها في محله الذي جاء به الشرع.

خامساً: وسطيتهم في أصحاب رسول الله ﷺ:

فهم وسط بين من غلا في بعضهم حتى جعله إلهـاً أو معصومـاً أو نبيـاً وأضافوا إليه من الصفات ما لا يليق نظيره إلا با لله أو نبي من أنبيائه ومـن جفافيهم فكفرهم واستحل سبهم ولعنهم ودماءهم وأما أهل السنة فدانـوا الله بحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ واعتـذروا عمـا جـرى بينهـم مـن الخلاف بأنه حصل عن اجتهاد منهم في طلب الحق فمن اصاب منهم فلـه أجران ومن أخطأ فله أجر واحد وخطؤه معفو عنـه وسـكتوا عمـا جـرى بينهم وأحسنوا الظن بهم ولم يجعلوا ولاية بعضهم مناقضة لولاية الآخر بل تولوا جميعهم ودانوا الله بالتراضي عنهم أخـذاً بقولـه سبحانه: ﴿وَالذِيـنَ جَاءُوْا مِن بَعدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخوانِنَا الذِين سَبَقُونَا بالإِيمَـان ولا تجعل فِي قلُوبنَا غِلاً للذِين آمنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]، وبقوله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لـن يبلـغ مـد أحدهـم ولا نصيفـه)، يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه ا لله: "ومن السنة ذكر محاسن أصحـاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن الذي شجر بينهـم فمـن سـب أصحاب رسول ا لله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي، حبهم سـنة

---

(١) سورة الحشر آية (١٠).

والدعاء لهم قربة والإقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة، وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر وخيرهم بعد أبي بكر عمر وخيرهم بعد عمر عثمان وخيرهم بعد عثمان علي رضوان اللّه عليهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول اللّه ﷺ بعد هؤلاء الأربعة لايجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده في المجلس حتى يتوب ويرجع"[1].

وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب السلف أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول اللّه ﷺ فقال: "وهم أيضاً في أصحاب رسول اللّه ﷺ ﷺ وسط بين الغالية الذين يغالون في علي ﷺ فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما وأن الصحابة فسقوا وكفروا والأمة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبياً أو ألهاً، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي اللّه عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما وقدحوا في خلافة علي ﷺ وإمامته"[2]، وقد بين البربهاري فظاعة جرم الواقع في

---

(١) شذرات البلاتين (٤٩/١، ٥٠).

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٧٨/١، ٢٧٩).

أصحاب رسول اللَّه ﷺ أو بعضهم فقال: "واعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمداً ﷺ وقد آذاه في قبره وإذا ظهر لك من انسان شيء من البدع فاحذره فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر"[(١)]، وقال: "وإذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى لقول رسول اللَّه ﷺ: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)[(١)]، فقد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته فلم يقل فيهم إلا خيراً وقال: (ذروا أصحابي ولا تقولوا فيهم إلا خيراً)[(٢)].

ولا تحدث بشيء من زللهم ولا حربهم ولا ما غاب عنك علمه ولا تسمعه من أحد يحدث به فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعته"[(٣)]، وقال أيضاً: (أفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء -صلوات اللَّه عليهم أجمعين- أبو بكر ثم عمر ثم عثمان)، هكذا روى لنا عن ابن عمر قال: كنا نقول ورسول اللَّه ﷺ بين أظهرنا إن خير الناس بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع بذلك النبي ﷺ ولا ينكره"[(٤)]، ثم أفضل الناس

---

(١) حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٩)، انظر: شرح السنة للبربهاري، ص(٥٠).

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده وأشار محقق شرح السنة للبربهاري إلى تصحيح الشيخ الألباني له، انظر ص(٥١).

(٣) شرح السنة للبربهاري، ص(٥٠،٥١) فقرة (١٠٤).

(٤) رواه البخاري في فضائل الصحابة (١٦/٧).

بعد هؤلاء علي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح وكلهم يصلح للخلافة ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الأول الذي بعث فيهم المهاجرون الأولون والأنصار وهم من صلى إلى القبلتين ثم أفضل الناس من هؤلاء من صحب رسول الله ﷺ يوماً أو شهراً أو سنةً وأقل من ذلك أو أكثر نترحم عليهم ونذكر فضلهم ونكف عن زللهم ولا نذكر أحداً منهم إلا بالخير لقو رسول الله ﷺ: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)، وقال سفيان بن عيينة: "من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى"[1].

سادساً: وسطيتهم في المنقول والمعقول:

فهم وسط بين المعتزلة الذين غلوا في العقول ومن تبعهم من المتكلمين حيث قدموه على المنقول وجعلوا دلالة المنقول دلالة خبرية محضة محتملة وبناء على ذلك فهو لا يفيد القطع وأما المعقول فهو مفيد للقطع فردوا بذلك ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واجماع السلف من عقائد القلوب كعذاب القبر والشفاعة ونحوها من العقائد ونفوا اسماء الله وصفاته بناء على ذلك، وبين الأشعرية الذين غلوا في المعقول فنفوا العلل والحكم التي جعلها الله مناطاً لأحكامه وشرائع دينه وقالوا انما يأمر وينهى

---

(١) شرح السنة للبربهاري، ص(٢٨) فقرة (٢٢).

بمحض الإرادة فقط لا لعلة ولا لحكمة وتوسط أهل السنة والجماعة فلم يقبلوا من المنقول إلا ما صح سنده وصحت دلالته، ولا من المعقول إلا ما كان صحيح البناء و لم يعارض كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأئمة وأئمتها قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس:-

١- غالية غلت في المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولاً من المعقول وقدمته على الحس ونصوص الرسول ﷺ.

٢- وطائفة جفت عنه فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها ما ظنته من السمعيات والحسيات وهكذا الناس في السمعيات نوعان وكذلك هم في الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان فيجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضاً بل يصدق بعضه بعضاً وإن ما علم بمعقول صريح لا يخالفه قط لا خبر صحيح ولا حسن صحيح وكذلك ما علم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل وحس وكذلك ما علم بالحس الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول"[1].

وقال في موضع آخر: "والأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- معصومون لا يقولون على الله إلا الحق ولا ينقلون عنه إلا الصدق فمن ادعى في اخبارهم ما يناقض صريح المعقول كان كاذباً بل لابد أن يكون

---

(١) الجواب الصحيح (١٣٣/٣).

ذلك المعقول ليس بصريح أو ذلك المنقول ليس بصحيح فما علم يقيناً أنهم أخبروا به يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه وما علم يقيناً أن العقل حكم به يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه بل الأنبياء عليهم السلام قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول"[1][2].

والسلف بموقفهم هذا جمعوا بين النصوص على وجه جعلها متفقة غير مختلفة فنزلوا كل نص منزلته المناسبة فما جاء من النصوص في بيان منزلة العقل حملوه على العقل الصحيح المهتدي بالشرع وهذا العقل لا يعارض الشرع لأن معارضته للشرع تعني معارضته لأصله وذلك يقتضي بطلانه في ذاته وما جاء من النصوص في التسليم لله ورسوله ﷺ فقد أجروها على ما هي عليه ولم يجعلوا العقل معارضاً للشرع فضلاً عن أن يكون أصلاً له، يقول الأصفهاني رحمه الله: "وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم وطلبوا من قبلهما وما وقع لهم من معقول وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا لله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم فإن الكتاب

---

(١) نفس المرجع (٣/١٣٦).

(٢) المحالات: المستحيلات عقلاً.

المحارات: مالا يدخل تحت فهم العقل لكنه ليس مستحيلاً في العقل.

والسنة لا يهديان إلا إلى الحق ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل"(١).

ولخص منهج المبتدعة في العقل فقال: "وأما سائر الفرق فطلبوا الدين بطريقه لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم فطلبوا الدين من قبله فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم فإن استقام قبلوه وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السنة تحت أقدامهم تعالى الله عما يصفون"(١)، وبذا يظهر لنا أن الحق في النظر في المعقول والمنقول مع السلف الصالح لأن مذهبهم هو العدل في المحاكمة، و بين المعقول والمنقول بحيث لم يلغوا واحداً منهما وفي نفس الوقت لم يغلوا في واحد منهما بل حكموا بموجب ما دل عليه الشرع من تنزيل المنقول منزلته وتنزيل العقل منزلته المناسبة له.

وبذا يحصل المقصود من تأليف هذا الكتاب بإذن الرب المعبود وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٤).

فهرس الموضوعات